الرحمن الرحیم

انسان باید مطهر و منزه ... خشم و شهوت و صفت حیوانی بود رحم و رقت ... باید ... نگاه کند ... قربت [illegible]

احتیاج ... الارحام ... بعض و علوم ... لذا ... [illegible]

الارحم ... قسمت در امور ... و در امور حسابیه ... سلطانیه و عملیه و نظریه [illegible]

نفس ... و در ... عملیات و ادراک اخلاق از افراط و تفریط [illegible]

و ... والحکمة لا رحمة در امور حساب ... معلوم ... [illegible]

... در کتاب ... احکام ... [illegible]

... سلطان ... حکایت [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

فرائض ... قال ... اعمال ... [illegible]

و اعمال ... مدخل شیطان از سه

راه است شهوة و غضب و هوا شهوة بهیمی است و غضب سبعی است و هوا شیطانیه ... [illegible]

از او ظلم است غضب نیز ... اشارت ... [illegible]

... ظلم ... ظلم ... [illegible]

و ظلم ... [illegible]

احتیاج ... [illegible]

شیطان ... [illegible]

خشم ... [illegible]

از آفت ... [illegible]

كتاب شرح عجائب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله العقول والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين **اما بعد** فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع له وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المثاب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع لله بالحقيقة وانما ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري على الاعضاء اثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه

جوله

وحيلولته بان لا يوفقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن انه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجايب صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الان من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واخلاقه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام وبالله التوفيق **بيان** معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشاؤها الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول** لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطباء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا اسم القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر

حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني** الروح
وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة
العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر
والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار فانه لا ينتهي الى جزء من
البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركتها
في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا اسم الروح ارادوا
به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء
الذين يعالجون مرض الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين
فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الانسان
وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسالونك عن الروح قل الروح من
امر ربي وهو امر عجيب رباني يعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث** النفس و
هو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب و
الشهوة في الانسان على ما سياتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل
الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عم
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان في الحقيقة
وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر و
زايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله تعالى
وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت
النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله
تعالى اخبارا عن يوسف وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء
هي النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة
بالله تعالى وبسائر المعلومات **اللفظ الرابع** العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق
بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم

الذي هو

الذي هو محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة
ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير
الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد
بقوله عم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل
مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث
فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية
والعقل العلمي وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة
المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل
لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في
الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس
يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي
وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة
الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة
فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول
بالقلب فكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر
بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله سبحانه وكرسيه
فان ذلك محال بل اراد انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي
بالنسبة الى الله تعالى فلا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا
فلنتجاوزه **بيان** جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلب والارواح
وغيرها من الارواح جنود مجندة لا يعلم حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن نشير الان الى بعض جنود
القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم
الملك والجنود في حكم الخدم فاما جنده المشاهد بالعين فهي اليد والرجل والعين والاذن واللسان
وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب مسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد
خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا
امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء

والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا
بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها
وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها
ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي
لاجله خلق وهو السفر الى الله وقطع المنازل الى لقائه تعالى فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه
من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل القلب الى الله تعالى ما لم يسكن بيوت البدن ولم يجاوز الدنيا
فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من
منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الانسان الى ان يتزود من هذا العالم
والبدن مركبه الذي به يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان
يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يندفع عنه ما ينافيه ويهلكه او يمكنه من اسباب الهلاك
فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجاذبة للغذاء
فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوة وافتقر لاجل دفع
المهلكات باطن وهو الغضب الذي يدفع به المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي
به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا
لم يعرف الغذاء لم ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق
والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه
الحكمة فيها يطول ذكره ولا يحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى يسير منها في كتاب الشكر فنقنع به فجملة
جنود القلب ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث اما على جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار
المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد
ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار و
الثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها وهي
مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة
وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش
انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة

اعنى الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث
وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم
والذوق واللمس والى ما اسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان
بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء
يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود
اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل
وتفكر وتذكر وحفظ ولولا ما خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه
كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب
وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من
العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب من الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم ان شاء الله بيان
امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك
على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء
بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد
وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على
الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة
هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط
الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى
فهمك بثلثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة
كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة
الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام
والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل
بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل ودأبه منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو من منازعته
ومعارضته في آرائه ساعة واحدة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة
هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رأيه ما دب صاحب شرطته واسلمه لوزيره
وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا

وما هو الا مدبر لا امر له مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت
الحمية الغضبية وسلطها على الشهوة واستعانت باحدهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب و
غلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح
مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى افرأيت الذي
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى واتبع هواه فمثله
كمثل الكلب وقال ومن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط
بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله المثال **الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك
كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته و
النفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار
بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد
الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره و
اهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن
ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال **الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه
ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه
اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا
فضلا ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس
مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه **بيان**
خاصية القلب للانسان اعلم ان جميع ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة
والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب
منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه وقرب واستأهل القرب من الله
سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه
امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان
بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك
بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس فاذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر

الضروري

الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح
فيه انبعث من ذاته شوقا الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة
الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدهما ويطلبهما ويبذل
المال عليهما والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر
الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب هذا الامر ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم
العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات
بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس
الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حالة الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احدهما ان
يشتمل قلبه على جملة من العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة
فيكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول فيكون حاله
بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة
فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان يحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فيكون
كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا
للكتابة لقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها
بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي
على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب وقد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء
الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة
اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي صلى الله عليه الذي ينكشف له كل الحقائق او
اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله قربا
بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله ولا حصر
لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما
ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجود
ذلك ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له
من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية ولا يعرف عاقل ما انفتح على
اولياء الله وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له

له من بعد وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون بها على احد لكن انما يظهر للقلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال عليه السلم ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلوب وتزكيتها عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتى بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله عليه السلم ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه السلم حكاية عن ربه تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم اشد شوقا وبقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وكل ذلك الاشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاوانى فما دامت مملوة بالماء لا يدخلها الهواء فكذلك القلوب المشغولة بغير الله تعالى لا تدخلها المعرفة بالله وجلاله والى ذلك الاشارة بقوله عليه السلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السموات ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة وان اشرف انواع العلوم هو العلم بالله وصفاته وافعاله وبذلك كمال الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التى لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار فى القوة على الحمل ويختص الفرس عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان بطلت منه تنزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس فى امور ويفارقهما فى امور هى خاصيته وتلك الخاصية هى من صفات الملئكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملئكة والبهائم فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على وجه العلم والعمل فقد تشبه بالملئكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر ان شاء الله فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا طريقه والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو اعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك ويجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ

مجرى صاحب بريد اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجرى القوة الحافظة التى مسكنها مقدم الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الاعضاء المحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى القوة الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله عليه واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن فى مراعاة اعدائه وهى الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او فى عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التى عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله تعالى فيستحق المقت والابعاد فى المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذى ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول وقال على عليه السلم فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى ارضه انية وهى القلوب فاحبها الى الله تعالى ارقها واصفاها واصلبها ثم فسرها فقال اصلبها فى الدين واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان وهذه اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قيل معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى مثل قلب المنافق وقيل فى قوله تعالى فى لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله اعلم ان الانسان قد اصطحب فى تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهى السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه فى نفسه امر ربانى كما قال تعالى قل الروح من امر ربى فانه يدعى لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى

العلم ويجرى اذا قرن بالجهل والاحاطة بحقايق الاشياء والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف
الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب و
الشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر ويتوصل الى
الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه
شوب من هذه الاصول الاربعة يعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في
القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن
الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع
الضاري والكلب العقور ليس كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعداوة والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير
يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج
شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو
مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة و
نوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر
عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها
قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون
دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء
والعجب منه ان ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله
ومثل حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم واما في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير
ساجدا له مرة وراكعا له اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته
انبعث على الفور في خدمته واحضار شهواته او راى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له
مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه
فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادته لهما
فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى
ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا و

الرب

والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد
سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلاجرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير
طبعا فيه ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة
وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف و
الاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم
وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء
والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة
الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق
الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق لكمال العلم وجلالته ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط
ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى و
الانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب
وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال
والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور
المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد
مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلالا فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب
في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا في قلبه وبقوله
عليه السلام من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر
قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة
القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله وهو الطبع والرين
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم و
نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال
الله تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله واطيعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع
على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا

ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى و
لم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور وهذا معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القران والسنة اما الخبر روى زرارة عن ابي جعفر
عليه السلام قال وما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فان اذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب
ذهب تلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد تلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطى البياض لم يرجع
صاحبه الى خير ابدا وهو قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعنه عليه السلام
ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر
فيه يختلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة
وانما قال الى يوم القيمة لان القلب بهذا المعنى لا يخرب بخراب البدن قال ابو حامد وعن النبي
قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلة
للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة بالحسنة ومحى اثرها
لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح ثم يتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة قال الله تعالى
ان الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل
بالذكر وانه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب
الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل
العلم هو القلب واعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي با
لاضافة الى حقايق المعلومات كالمراة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال
تلك الصورة ينطبع في المراة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع
في مراة القلب ويتضح فيها وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المراة غير فهي
ثلثة امور فكذلك هنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشياء وحصولها فيه فالعالم عبارة عن القلب
الذي يحل فيه مثال حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المعلوم
في القلب كحصول المثال في المراة فكما ان المراة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان
صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها وكدورتها وان كانت تامة
الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن جهة الصورة المطلوبة كما اذا كانت وراءها والرابع لحجاب مرسل بينها وبين الصورة ... بحيث يتعذر ان يحاذى
بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما

خلت

وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها بسبب هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب
الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه الثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على
وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه واليه الاشارة بقوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل في
قلبه كدورة لا يزول اثرها اذ غايته ان يتبع الذنب بحسنة تمحوه فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئة
لزاد لا محالة اشراق نور القلب فلما تقدمت السيئة لم يزد لا محالة اشراق نور القلب سقطت فائدة
الحسنة لكن عاد القلب الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران مبين ونقصان لا محالة
فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي لم تدنس اصلا وتمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من
غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب
ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبي صلى الله عليه واله
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان
قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق ولا يحاذي
بمراته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهية اسباب المعيشة
ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية والحقايق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر
فيه من دقايق افات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او في مصالح المعيشة ان
كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا من انكشاف جلية الحق فما
ظنك في صرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقي الرابع
الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك
لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك
يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا
ايضا حجاب عظيم به قد حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت
السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت
حجابا بينهم وبين درك الحقايق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم
ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه
ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة

المطلوب لطلبه فان العلوم المطلوبة ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا
يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على
مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص وكذلك كل
علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل
بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها
بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه فانه ان رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن متحاذي بها شطر القفا
فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة
ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي
مناسبة بين وضع المرآتين حتى ينطبع صورة في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة
الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها
ازدوارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة
في تلك الازدوارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو
بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر رباني شريف وانما فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف
واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها و
حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال
وبها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل
الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي
ذكرناها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه وقوله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات اشارة الى
بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي انه قيل لرسول الله
اين الله في الارض او في السماء قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي
ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل للنبي صلى الله عليه وآله من خير الناس فقال
كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر
ولا غل ولا حسد ولذلك قال علي عليه السلام رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب
بينه وبين ربه تجلت صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها كعرض السموات والارض

واما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة
وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار
الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار
متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله سبحانه لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت
دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء
سوى الله وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم
وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبقدر
ما يتجلى له من الله سبحانه وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب
وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكيها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة
وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه ثم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو
ايمان التقليد المحض الثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان
العوام السابقة والثالث ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ويتبين لك هذه بمثال وهو
ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلث درجات الاولى ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب
ولا تتهمه بالجزاف في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد
التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه
وارادته وقدرته وساير صفاته وبعثة الرسول وصدقه وما جاء به وكلما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه
واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب
النجاة في الآخرة واهله من اوايل رتبة اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد
وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوه من ابائهم وامهاتهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه
خطأ لانهم القي اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لانهم القي اليهم كلمة الحق
الدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته في الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في
الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل
انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال

مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا
ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف ايضا بطريق المحاكاة الا ان ذلك
لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا في قلبه ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا
الدرجة الثالثة ان تدخل الدار وتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة
وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام و
المتكلمين ويتميزون عنهم بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم و
بدرجات الكشف اما الدرجات فمثالها ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس
فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت او في بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن
انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا يتصور في تفاوت المشاهدة
للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا او غير ذلك وآخر لا يرى
الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالاضافة الى العلوم بيان
حالة القلب بالاضافة الى العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته
مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية و
العقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني
بها ما يقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت
ولا كيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة والشي الواحد
لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه العلوم يجدها الانسان من نفسه منذ الصبا مفطورا
عليها ولا يدري متى حصلت له ومن اين حصلت له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى
ان الله تعالى هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد
يسمى عقلا قال علي عليه السلام رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع ضوء الشمس ونور العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه
من العقل والثاني هو المراد بقوله عليه السلام لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب
اليه بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية بل ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل
علي عليه السلام هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين
والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة

تفقد

تفقد في الاعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى
قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا الى اوان التمييز
يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي سطر
الله به العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال
الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه
فليس قلمه تعالى من قصب ولا خشب كما ان ذاته ليست من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة
والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين
النفس اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من
عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى
باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم حتى يذكر في معرض
الامتنان ولذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وقال تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم
الدينية فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وآله وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن
الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان
العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق
التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدي اليها ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنا با
لعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي
بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين
فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء مهما فاته
الدواء فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات و
بالاعمال التي ركبها الانبياء لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى
بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم
الشرعية فان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في بصيرة العين نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل

ربما يناقض عنده العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير بذلك فينسل
من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات
وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فيعثر فيها باواني الدار فيقول لهم ما بال هذه الاواني تركت على الطريق
لم لا ترد الى مواضعها فيقال له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك والعجب
منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية
فاما العلوم العقلية فتنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم و
سائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وصفاته وافعاله
كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته
عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي عليه السلام للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان
وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في علوم
الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقائق علوم
الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين معا في الغالب فيكون احدهما
مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله اي البله في امور الدنيا وقال
بعض السلف ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من
امور الدين جحده اهل الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر
سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال الله تعالى ان
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عن عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده
في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية فقلوبهم
يتسع لجميع الامور ولا يضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها ان استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة و
قصرت عن الاستكمال فيه **بيان** الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق المجاهدين في كشف
الحق وطريق النظار في الاكتساب اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب
في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة
تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي

يحصل

يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم
الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك
العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا
ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال
يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما
حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين
اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في
مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها وكما ان الحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وتارة
يزول بهبوب ريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها
بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فينكشف فيه ما سيكون في المستقبل
بقيام وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة قد يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله
تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي
الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه
ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من
ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة والى ذلك
الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل المجاهدة الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم
يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا
الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة الى الله تعالى و
مهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم فاذا تولى الله تعالى
امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن
وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية وليس على المريد الا الاستعداد
بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه
الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض لهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل
للزهد في الدنيا والتبري عن علائقها وتفريغ القلب عن شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن

كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان ينقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ قلبه عنها
ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي
فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ
القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قران ولا بالتامل في تفسير ولا بكتبة حديث ولا غيره بل يجتهد
ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على
الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان
ثم يصبر على ذلك الى ان يمحى اثره على اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى ان
يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم
له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس
وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله
له من رحمته فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في
ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت
فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء
الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية
وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه
وافضائه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان
حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله
عليه وآله قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم
رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة
الى ان تزول وينقضي العمر دون النجاح فيها فكم من مجاهد سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين
سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال والاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا [illegible] يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي لم

لم يتعلم ذلك ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن
ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز
فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لابد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما
قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ان ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس اعلم ان عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب
ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن
نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق
الماء اليه من فوقه بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من
مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر و
اكثر فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم
الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد هذه
الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى
ينفجر ينبوع العلم من داخله فان قلت كيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من
عجائب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الاشياء
مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملئكة المقربين فكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار
في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة
العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي
خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض
ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض
وبقي هو لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى
القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم
الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا عن خيال الانسان وقلبه
والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في
اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته
في الخيال ويتبع وجوده في الخيال وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات

بيان
احدها

روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة الالهية
اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم
يسرى من وجودها فى الحس وجود فى الخيال ثم منه وجود فى القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل
اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا فى ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب
فى القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها
وعجائبها فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان يحصل له حقيقة العالم وصورته تارة من
اقتباس الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر
اليها وتارة من النظر الى الماء الصافى الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين
اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس
فيكون ذلك كتفجير الماء من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك
حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار فى الحوض منع ذلك عن التفجر من
الارض وكما ان من نظر الى الماء الذى يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب
باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك
بعالم الشهادة والملك وعالم الملك والشهادة ايضا يحاكى عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح
باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة
اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل فى عجائب الرؤيا واطلاع القلب فى النوم على ما سيكون فى المستقبل
او كان فى الماضى من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال
النبى صلى الله عليه وآله سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع
الذكر اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال فى وصفهم حكاية عن الله تعالى اقبل عليهم بوجهى اترى من
واجهته بوجهى يعلم احد اى شىء اريد ان اعطيه ثم قال عز وجل اول ما اعطيهم ان اقذف من نورى فى
قلوبهم فيخبرون عنى كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الانبياء
والاولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وذلك وهو ان علومهم تاتى من داخل القلب من الباب المنفتح الى
عالم الملكوت وعلم الحكماء ياتى من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب
وتردده بين عالمى الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى فى علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل
العلمين المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين اعنى عمل الاولياء وعمل العلماء فان العلماء يعملون

فى اكتساب نقش العلوم واجتلابها الى القلب والاولياء يعملون فى جلاء القلب وتطهيره وتزكيته
وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكى ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن
صناعة النقش والصور فاستقر راى الملك على ان يسلم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم
منها جانبا ويرخى بينهما ستر يمنع كل فريق منهم اطلاعه على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ
الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وجعلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل
الروم ادعى اهل الصين ايضا انهم فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ
فقيل كيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا الحجاب فاذا جانبهم يتلألأ منه
عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ صار جانبهم كالمرآة المجلية لكثرة التصقيل فازداد
حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ
فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية الحكماء والعلماء باكتساب نقش العلوم
وتحصيل نقشها فى القلب كفعل اهل الروم وكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت
لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار من قال التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلة القربة
له الى الله تعالى اما ما حصله من نقش العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم فلا سعادة
لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى
وصاحب الخزائن المترعة غنى وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات
الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال
الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد فى الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم
يعطى نورا اصغر منه حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدمه فيضئ تارة وينطفى اخرى فاذا
اضاء قدم قدمه فمشى واذا اطفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم
من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى
اعطى نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق اخرى ويجر رجل وتعلق
اخرى وتصيب جوانبه النار قال ولا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا ظهر تفاوت الناس فى الايمان
فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره مثل نور الشمعة وايمان الصديقين نوره كنور
النجوم والقمر وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها
ولا ينكشف فى نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف

سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال
من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان فان
هذه المقادير لا يمنع من دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار ولو دخل
لامر باخراجه اولا فان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله عليه السلام
ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف المؤمن فانه خير من
قلب الف من عوام الناس وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين
والمراد بالمؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فاراد هيهنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل على ذلك ان اسم
المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى والذين اوتوا
العلم درجات قال يرفع الله العالم فوق المؤمن سبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض
وقال ص فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب
وقال ص اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان
بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن
والخسران والمرحوم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة
دراهم الى الغني الذي يملك عشرة دراهم من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق
بينهما وما اعظم الغبن على من يبخس حظه منه قال الله تعالى وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

باب بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل المجاهدة في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا
بصحة الطريق ومن لم يجد ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا و
يشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال
النبي صلى الله عليه وآله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم
يعمل بما يعلم تاه ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه
من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق و

الباطل

والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك كان اكثر قول رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه سؤال
النور فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال وفي شعري
وبشري ولحمي ودمي نورا وسئل رسول الله عن قول الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه فقيل ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له
الصدر وانشرح وقال ص لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي عليه السلام ما
عندنا شيء اسره النبي ص الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير
قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمن خص ما انكشف
له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى
في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله تعالى
قد بينا الايات لقوم يوقنون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال العلم علمان فعلم باطن في
القلب فذلك هو النافع وسئل بعض العلماء عن علم الباطن ما هو فقال سر من سر الله يقذفه الله في
قلوب احبائه لم يطلع عليه بشرا ولا ملكا وقد قال ان من امتي محدثين ومكلمين وقرا ابن عباس وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي
انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى
مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات
لقوم يتقون خصصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول
ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي
وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى مثله الاشارة بقوله تعالى اتيناه رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضه بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما
لدنيا بل العلم اللدني هو العلم الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد الشرع و
النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا
خارج عن الحصر وقد ظهر ذلك على الصحابة والتابعين وغيرهم اقول وقد ظهر على الائمة المعصومين
من اهل البيت عليهم السلام من ذلك شيء كثير كما هو مذكور في كتاب الحجة من الكافي للكليني وفي كتاب
بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار وكتاب الخرائج والجرائح للراوندي وكتاب كشف الغمة للاربلي وغيرها

من الكتب المصنفة فى ذلك من تفرسهم عليهم السلام واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم وصفاتهم
ثم الخضر عليه السلام والحديث معه وصحبتهم للملائكة ومحادثتهم معهم وتسخيرهم للجن ونفعهم اياهم فى حوائجهم
الى غير ذلك من فنون الكرامات وقد ذكرنا بعضا منها فى كتاب اخلاق الامامة من ربع العادات ومن
الاخبار النبوية فى هذا المقام قوله عليه السلام ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور يقذفه الله فى قلب من يريد
الله ان يهديه العلم نور وضياء يقذفه الله فى قلوب اوليائه وانطق به على لسانهم العلم علم الله لا
يعطيه الا لاوليائه الجوع سحاب الحكمة واذا جاع العبد مطر بالحكمة من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ما من عبد الا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فاذا اراد الله
بعبد خيرا فتح عينى قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره قال ابو حامد والحكايات لا تنفع الجاحد ما لم
يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذى لا يقدر احد على جحده
امران احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل فى
اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من متيقظ غائص
الى الفكر لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثانى اخبار رسول الله عن الغيب وامور فى المستقبل
كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبى جاز لغيره اذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقايق
الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون فى الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل
باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة
ان يقر بان للقلب بابين بابا الى الخارج وهو باب الحواس وبابا الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام
والنفث فى الروع والوحى واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة فقط
بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجائب تردد القلب
بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب فى انكشاف الامور فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير و
كذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق
ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها
بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب مثاله
مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف ينصب اليه السهام من
الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتترآى فيها صورة بعد صورة و
لا يخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة

فى القلب

فى القلب فى كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة فى مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر فى القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة
مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة فى المزاج حصل منها فى القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة
فى النفس تبقى وينتقل الخيال من شىء الى شىء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود
فى التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة فى القلب هى الخواطر واعنى بالخواطر
ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعنى بها ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل
التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا والخواطر هى المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوى بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم
الخواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر
المحركة للرغبة ينقسم الى ما يدعو الى الشر اعنى ما يضر فى العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعنى ما ينفع
فى الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر
المذموم اعنى الداعى الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له
من سبب ومهما اختلف الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات
على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد
غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعى الى الخير يسمى
ملكا وسبب الخاطر الداعى الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذى به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك
يسمى توفيقا والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعانى المختلفة تفتقر
الى اسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد
بالمعروف وقد خلقه الله وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر
والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة فى مقابلة الالهام والشيطان فى مقابلة الملك
والتوفيق فى مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فان
الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها
والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى القلب لمتان لمة من الملك
ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله تعالى ولمة من العدو ايعاد بالشر و
تكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية وقال بعض السلف انما

فهما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما
كان للعدو جاهده ولتجاذب القلب بين هاتين اللمتين قال رسول الله صلى الله عليه واله قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه منزه عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم تنقسم
بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك
لشخصها بل لفعلها في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعل
باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب
الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملكة ولقبول اثار الشيطان صلاحا متساويا
ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض
عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة او الغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى
وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه فان جاهد الشهوات ولم
يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملكة صار قلبه مستقر الملكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو
قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى
لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال رسول الله ما منكم من
احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يامرني
الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت
لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعوه الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا
بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف
القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم فالتطارد بين جندي الملكة
والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني
اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكوها فامتلأت بالوسواس الداعية الى ايثار العاجلة
واطراح الاخرة ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى اذ هو مطرح اثر الملكة قال جابر بن عبيدة العدوي
شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص
فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك
قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك

تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اشارة الى ان الهوى
الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني
وبين صلاتي وبين قراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل
عن يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر
شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى ذكر الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون فيه
ايضا مجال للشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال فلا يعالج الشيء الا بضده
وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله والاستعاذة به والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في قوله تعالى من
شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط
على قلبه فالتطارد بين ذكر الله وبين وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار
ولتطاردهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وفي الحديث ان الشيطان واضع خطمه
على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل
اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح **فصل** وكما ان الشهوات
ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك
قال النبي صلى الله عليه واله ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان
الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى
اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
وقال رسول الله صلى الله عليه واله ان الشيطان قعد لابن ادم في طرق فقعد له بطريق الاسلام فقال له
اتسلم وتترك دينك ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتدع ارضك وسماءك
فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك
وتقسم اموالك فعصاه فجاهد قال رسول الله فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد
ذكر رسول الله معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك

مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر
الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته
لذلك قال النبي صلى الله عليه واله ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى
الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان
وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل في بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه
في علم المعاملة فمثال الباحث عن هذا كمثال من دخلت في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضراوتها فاشتغل
بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت
ودل ذلك على انه سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو
فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال
تعالى ان الشيطان لكم عدو مبين فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الله تعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو
عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي للعبد ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن
نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة ذاته وحقيقة الملائكة
فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي
ان يعلم ان الخواطر ينقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع
الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من
مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان
الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر في صورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ
اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله
تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلوم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال
يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم
ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا
الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة
العلم والنظر الى الخلق بعين الاستحقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده

الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال
فيهم رسول الله صلى الله عليه واله ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
ولذلك روي ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولكن لا اقولها
بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك
العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور من اخر هذا الربع ولعلنا
ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص وسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في
البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان
ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان بان يمعن النظر
فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي ينكشف
لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل قلبه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر عليه
غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل
اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات فاغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان
وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم
الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها
من خارج الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد الحواس
والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات
الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه و
يلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد من الشيطان
ما دام حيا نعم قد يقوى الانسان بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه مكره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد
والمدافعة ما دام يجري الدم في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة
والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها فمهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل
لا يندفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل لبعض السلف اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا عنه راحة
فلا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل على دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه واله

ان المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذلك
فقال تذيبني بكتاب الله تعالى واهل التقوى لا ينسد عليهم ترصد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعني الابواب
الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون
اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان
كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الكثيرة والعبد فيه مثاله مثال المسافر
الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع
شمس مشرقة فالعين البصيرة هاهنا القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد
من كتاب الله تعالى وسنة رسوله فيما يهتدي به الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة غامضة قال عبد الله بن مسعود
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن
شماله فقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الاية وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يعني تلك الخطوط فبين رسول الله كثرة طرقه وقد
ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين
عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما
روي عن النبي انه قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان
دواها عند الراهب فاتوا بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه
الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه فقال
الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتاك اهلها فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها
فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فالقى اليهم
الشيطان انها مدفونة عنده فنبشوا فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها
وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واخلصك منهم فقال ماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين
فقال له الشيطان اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين وهو الذي قال الله فيه كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر
كل ذلك لطاعته له في قبوله الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن
ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض

الى البعض

الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه اشار بقوله عليه السلام من حام حول
الحمى يوشك ان يقع فيه بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب اعلم ان القلب مثاله مثال حصن
والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا
بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابواب الحصن من لا يعرف ابوابه
وحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة وهي فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به
فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة
ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب
التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمة الحرص والحسد فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه
حرصه واصمه اذ قال رسول الله حبك للشيء يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان
فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته
وان كان منكرا او فاحشا فقد روي ان نوحا لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر راى
في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي
وابدانهم معك قال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن
بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالاثنين
فقال الثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد
فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما واما الحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص
ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل فاذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان
ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال
يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت ذنبا واريد ان اتوب
فاشفع لي الى ربي ليتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال الله تعالى يا موسى قد قضيت
حاجتك مره ان يسجد لقبر ادم فخرج موسى فلقي موسى ابليس فقال له امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب
عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا فكيف اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي
حقا بما شفعت الى ربك فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في قلبك وعيني
في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره
ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست لك بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك

اليها قصدا شار فى هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه
وامتناعه عن سجوده لادم منشاؤه الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبياء لابليس باى شئ
تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اى اخلاق بنى ادم اعون
لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبى الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبنى
ابن ادم واذا رضى جئت حتى اكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى اكون فى راسه ومن ابوابه العظيمة
حب التزين بالثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب ابن ادم باض فيه
وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين
بالثياب والدواب ويستخدمه فيها طول عمره فاذا اوقعه فى ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض
ذلك يجره الى البعض ولا يزال يؤديه من شئ الى شئ الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان
واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع من الطعام
وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روى ان ابليس لعنه الله
ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلم فراى عليه معاليق من كل شئ فقال يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال
هذه الشهوات التى اصيب بها بنى آدم قال فهل لى فيها شئ قال ربما شبعت فشغلناك عن الصلوة وعن
الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال يحيى لله على ان لا املا بطنى من طعام ابدا فقال ابليس ولله على
ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع فى الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان
يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال
يتفكر فى حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل فى الوصول الى ذلك واقل احواله الثناء
عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد روى صفوان بن سليم
ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال يا ابن حنظلة احفظ عنى شيئا اعلمكه قال لا حاجة لى به قال
تنظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر
كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت فى الامور قال رسول الله العجلة
من الشيطان والتانى من الله وقال الله تعالى خلق الانسان من عجل وقال الله تعالى وكان الانسان عجولا
وقال تعالى لنبيه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغى ان يكون
بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة يحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج
الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى روى انه لما ولد عيسى عليه السلم اتت الشياطين ابليس

فقالت

فقالت اصبحت الاصنام قد نكست على رؤسها فقال هذا حادث قد حدث فطار حتى جال خافقى الارض
فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملئكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد
البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان يعبد الاصنام بعد هذه
الليلة ولكن ايتوا من بنى ادم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر
اصناف الاموال من العروض والاثاث والدواب والعقار وكلما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو
مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه
مائة شهوة يحتاج كل واحد الى مائة دينار فلا يكفيه مائة واحد بل يحتاج الى تسعمائة اخرى و
قد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالان وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى
تسعة الاف وتسعمائة ليشترى بها دارا او يعمرها ويشترى بها جارية ويشترى اثاث البيت ويشترى
الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعى شيئا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع فى هاوية اخرها
عمق جهنم ولا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه واله قال ابليس لشياطينه لقد حدث
امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤا وقالوا ما ندرى قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال
قد بعث محمد بن عبد الله فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبى فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا
قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله
ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلم توسد حجرا فمر به ابليس فقال
يا عيسى رغبت فى الدنيا فاخذه من تحت راسه ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة
من ملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم
بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم الى ان يتوسده
ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته للنوم هذا فى حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة
والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف
الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو
الموعد للكانزين كما نطق به القران العظيم قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبنى على ابن ادم
فلن يغلبنى على ثلث ان امره باخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه وقيل ليس للشيطان
سلاح على الانسان مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ فى الباطل ومنع منه من الحق وتكلم بالهوى و
ظن بربه ظن السوء ومن افات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هى معشش الشيطان

روى ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه واله قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض
وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل
لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير
قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد
قال النساء ومن ابوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء
والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة
مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه
غلبت حلاوته على قلبه فيشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور ويظن انه يسعى في الدين وهو ساع
في اتباع الهوى والشيطان ترى الواحد منهم يتعصب لعلي عليه السلام وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في
خلافته ثوبا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ وترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ويتجمل
باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي عليه السلام ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيمة فليت شعري
من اخذ ولدا عزيزا لانسان وهو قرة عينه وحبة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقرضه
بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى علي
عليه السلام من الاهل والمال والولد بل من نفسه والمقيمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع
ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم
القيمة عند علي عليه السلام وعند اولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه اولياء الله في امة
محمد لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان مات محبا لعلي عليه السلام
فالنار لا تحوم حوله وكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له
كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني
في العمل والسيرة التي هي سلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا
اقول ومما ورد في ذلك من طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام
قال قال لي يا جابر ايكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا اهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه
وما كانوا يعرفون يا جابر الا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلوة والبر بالوالدين
والتعهد للجيران من الفقراء واهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القران وكف
الالسن عن الناس الا من خير وكانوا امناء عشائرهم في الاشياء قال جابر يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احدا

بهذه الصفة فقال يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل ان يقول احب عليا واتولاه ثم لا يكون
مع ذلك فعالا فلو قال اني احب رسول الله فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما
نفعه حبه اياه شيئا فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله
اكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب الى الله تعالى الا بالطاعة وما معنا براءة من النار
ولا على الله لاحد من حجة من كان لله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو وما تنال
ولايتنا الا بالعمل والورع وقد ذكرنا هذا الحديث في كتاب العلم من ربع العبادات وفي كتاب اخلاق الامام
واداب الشيعة من ربع العادات ايضا وانما اعدنا ذكره هاهنا لشدة مناسبته لهذا المقام وباسناده
عن حنان بن سدير قال قال ابو الصباح الكناني لابي عبد الله عليه السلام ما نلقى من الناس فيك فقال ابو
عبد الله وما الذي تلقى من الناس فيّ فقال لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول جعفري خبيث
فقال يعيركم الناس بي فقال ابو الصباح نعم قال فما اقل والله من يتبع جعفرا منكم انما اصحابي من اشتد ورعه
وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء اصحابي وباسناده عن ابي الحسن الاول عليه السلام قال كثيرا ما كنت اسمع ابي
يقول ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن وليس من اوليائنا من هو في قرية فيها عشرة
الاف رجل فيهم خلق لله اورع منه قال ابو حامد فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان فقد اهلك به
اكثر العلماء وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم
واشتد الى الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم
ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا مهمات
دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال بعض السلف بلغنا ان ابليس قال سولت
لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء فقد
صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم
حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات
قال عبد الله بن مسعود رض قعد قوم يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع
فاتى فرقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون
الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه العظيمة
حمل العوام والذين لم يمارسوا العلوم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وفي صفاته في امور لا
يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك في اصل الدين او يخيل اليهم في الله خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا

او مبتدعا وهو بذلك فرح مسرور متبجح بما وقع فى صدره يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة
وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقوام اعتقادا فى عقل نفسه
واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنه واحرصهم على السؤال من العلماء روى ان
رسول الله صلى الله عليه واله قال ان الشيطان يأتى احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تعالى
فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله وبرسله فان ذلك يذهب عنه فالنبى
لم يأمر فى علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما
حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامى لو زنا او
سرق لكان خيرا من ان يتكلم فى العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم فى الله وفى دينه وقع فى الكفر
من حيث لا يدرى كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق با
لعقايد والمذاهب لا تحصر لها وانما قصدنا بها اوردناه المثال ومن ابوابه العظيمة سوء الظن
بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ومن حكم بشر على
غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر فى القيام بحقوقهم
او يتوانى فى اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكان ذلك من المهلكات
ولذلك منع الشرع من التعرض للتهم وقال اتقوا مواقع التهم حتى ان رسول الله احترز منها
روى عن على بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيى اخبرته ان رسول الله كان معتكفا فاتيته
فحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا
فدعاهما فقال انها صفية بنت حيى قالا يا رسول الله افنظن بك الا خيرا قال ان الشيطان ليجرى
من ابن ادم مجرى الدم وانى خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق رسول الله على دينهما فحرسهما
وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين فى احواله فيقول مثلى لا يظن به الا الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم
واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين
الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا فيجب الاحتراز عن عين السوء
عن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسىء الظن با
لناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث فى الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث
هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم القلب فى حق كافة الخلق فهذه

بعض

بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفى هذا القدر ما ينبه
على غيره فليس فى الادمى صفة مذمومة الا وهى سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فصل
فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا
بالله العلى العظيم فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة
وذلك يطول ذكره وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة
الى كتاب مفرد على ما سيأتى شرحه ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان
بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر
لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة فيكون الذكر حديث النفس
لا سلطان له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان كمثل كلب جائع
يقرب منك فان لم يكن فى يديك لحم وخبز فانه ينزجر عنك بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه
ان كان بين يديك شىء من ذلك وهو جائع فانه يهجم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت
الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشى
القلب ولم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من
الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد
الى الذكر خنس الشيطان دليل قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وساير الايات والاخبار
الواردة فى الذكر فمهما طمعت فى ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما يندفع عنهم كان مثالك
كمثل من يطمع فى ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة فيطمع فان ينفعه
الدواء كما نفعه الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فان الذكر دواء والتقوى احتماء يخلى
القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة
بنزول الدواء فى معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الله
تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه
وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر
عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان
منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك فراقب قلبك اذا كنت فى صلوتك كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق

مثال كلب جائع عند اللحم

وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا وهمها كلها حتى انك لا تتذكر ما فاتك من
فضول الدنيا الا في صلوتك ولا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فيها تظهر
مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان
بل ربما يزيد عليك الوساوس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص
من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وتفر الشيطان منك ولذلك قال وهب
ابن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اى انت مطيع له وقال بعضهم
يا عجبا لمن يعصي الله بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال
ادعوني استجب لكم وانت تدعوه فلا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد
شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعوني استجب
لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقراتم
القران ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله ص وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له
وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم
ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وفرشتم عيوب
الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فصل فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان
واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال
عن صفته كل البقل من حيث تؤتى به ولا تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار
وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما طريق
الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب
كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل
كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو
صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب
الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب [illegible]
زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء
يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملئكة كثرة وقد
ذكرنا في كتاب الصبر والشكر السر في كثرة الملئكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة

اسماء الشياطين وعملهم

قال رسول

قال رسول الله صلى الله عليه واله وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من
ذلك للبصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو
بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
لاختطفته الشياطين وقال يونس بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشئون معهم
وقال جابر بن عبد الله ان ادم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني
لا اقوى عليه قال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال الله تعالى واجزي
بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال يا رب زدني قال الله تعالى باب التوبة مفتوح ما دام
في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال الله
تعالى لا يولد له ولد الا ويولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم وتتخذون صدورهم
بيوتا قال رب زدني قال تعالى اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وعن ابي درداء قال قال رسول الله صلى الله عليه واله خلق الله الجن
الجنة ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم
الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف
في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا فقال له
انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن بني ادم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد
الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا
كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في
عناء واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا
انفسهم واما الصنف الاخر فهم معصومون مثلك لا نقدر منهم على شيء فصل فان قلت كيف يتمثل
الشيطان لبعض الناس دون بعض واذا راى صورته فهي صورته الحقيقية او هو مثال يتمثل به وان
كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين على صورتين حتى
يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك
حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة كما راى النبي ص جبرئيل في صورته مرتين وذلك انه ساله
ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء فطلع له جبرئيل فسد الافق من المشرق الى المغرب وراه

مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان
يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب
القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه باذنه ويقوم ذلك مقام
حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي ينتهي الى رتبة
لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في
النوم كما روي ان رجلا سال ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل يشبه
البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه
واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس و
مثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة وقد راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو
الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد
وان يظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي
يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم
الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب
عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل
من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا يكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل
الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في
الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان
الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في
صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فيكون تلك الصورة عنوان المعاني
ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث ويدل الشاة على انسان
سليم الجانب وهكذا جميع ابواب الرؤيا والتعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا
يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب تارة بطريق
التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى على مثال
المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله
كالنائم بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصدها وما يعفى عنه ولا

يواخذ

يواخذ به اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه ايات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا
على سماسرة العلماء بالشرع فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها
وعنه قال يقول الله للحفظة اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة وان هم بحسنة
ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو
دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وان
عملها كتبت عليه سيئة وفي لفظ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك
يدل على العفو اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي باسناده عن احدهما عليهما السلام قال
ان الله تعالى جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت
له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه ومن عمل بها كتبت عليه سيئة قال ابو حامد فاما
ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه
مسؤلا تدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى وقال عز وجل ولا تكتموا الشهادة ومن
يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
والحق في هذه المسئلة عندنا انه لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا
ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا
صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو
حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث
النفس الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث
الهمة والنية ما لم يندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما
يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل
الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذه
الهمة قد يكون لها مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس كدت
تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيه فيترك العمل
وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة

احوال القلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما
الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا الميل وهيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان
تحت الاختيار وهما المراد بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر
التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس
كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان
من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني
ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه
ولو اصبته في كل يوم لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليست معها عزم على الفعل
هي حديث النفس ولذلك شاور فيها رسول الله اذ لم يكن معها عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو
الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف
فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به
الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة و
امتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع يحتاج الى قوة عظيمة بجهد في مخالفة
الطبع وهو العمل لله تعالى اشد من جهده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة
لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفا
من الله كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في
الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلعم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل بسيئة
وهو ابصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها
من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله تعالى فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب
او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله انما يحشر الناس على
نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا
ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي صلى الله عليه واله
قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف
يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة

ونقض

ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت حسنة فاما فوات المراد بعائق فليست بحسنة واما الخواطر
وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف
لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء اناس من
الصحابة الى رسول الله صلعم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت
في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلعم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا
قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها **اقول** ومن طريق
الخاصة ما رواه في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل ان هذه الاية عرضت على الانبياء
والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلعم وعرضها على امته فقبلوها فلما
راى الله تعالى منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا قبلت الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد
عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الاية قال ابو حامد فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب
هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على
القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ
باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اي مما يدخل تحت الاختيار فان وقع البصر من غير اختيار
على غير ذي محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانها لا محالة مختارة وكذلك
خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه واله
التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم والتقوى في القلب وقال صلعم البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا
حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي
فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة
فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت
زوجته كل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح **بيان** ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع
بالكلية عند الذكر ام لا اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا
في هذه المسألة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله لان النبي صلعم قال اذا ذكر

خنس الشيطان والخنوس هو السكوت فكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصلها ولكن يجري في القلب
ولا يكون لها اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول
بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة تنعدم عند الذكر في لحظة
وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وذلك
كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانها اذا ادبرت بسرعة رايت النقط دواير لسرعة تواصلها بالحركة
واستدل هولاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا و
قالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان
قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله
عليه واله ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه
يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي الصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن
كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد من الفرق الى صنف واحد من
الوسواس فاخبر عنه والوسواس ثلثة اصناف الصنف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان
الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات
طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن
الشهوات شديد ولكن على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده
وجدد ايمانه ويقينه وخنس الشيطان وهرب اذ لا يقدر ان يقول ليس الصبر على النار اشد من
الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه
عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في علمه وعمله فيقول له اي عبد يعرف الله
كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه
التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس
هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسوسة ينقطع بالكلية عن العارفين
المستبصرين بنور الايمان والمعرفة الصنف **الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها
وهذا ينقسم الى ما يعرف العقل يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان
عن تهييج يؤثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا ربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة
في دفعه فيكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة الصنف **الثالث** ان يكون وسواسه

بمجرد

بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في الصلوة في غير امر الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر
تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوق
جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب
ويبعد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية حتى لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال رسول الله صلعم
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلولا انه
متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب قد استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا
نرى القلب المستوعب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا
يخطر له غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص قلبه في فكره بحيث
لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز مجتاز بين يديه كان كانه لا يراه فاذا
تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على
الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة هذه الاقسام واصناف
الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص من
الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه ابدا بعيد او محال ولا ينقطع وسوسة عروض
الدنيا وتفقدها الا بالزهد والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه
الشيطان في صلوته عن التفكر في ديناره وانه كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم
به وكيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوسواس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص
من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن انه لا يقع عليه الذباب وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس
الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان
امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم عليه ما ليس
بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه
الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانه اخر درجة
ويعلم انه لو جاوزها افلت منها الى الجنة **بيان** سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات
اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الاثار والاحوال من الابواب التي
وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء وتاثر به اصابه من جانب اخر ما يضاده
فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى والتفت القلب اليه نزل الملك به وصرفه عنه

ان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة
يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون مهملا واليه
الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلعم على عظيم صنع الله في عجائب
القلب وتقلبه كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله
صلى الله عليه وآله ثلثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال عم مثل القلب
في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانه وقال عم مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا
لبطن وهذه التقلبات من عجائب صنع الله وعجيب صنع الله في تقلبها من حيث لا يهتدي اليه ولا يعرفه
الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد
بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر من خبائث الاخلاق وتنفجر منه خواطر الخير
من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع
على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه
الى العمل به فينظر الملك فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار
المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات
اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام لا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر
عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل
هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من
دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من
مكايد الشيطان بل يقف عليه الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب
بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف
والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك
وهو القلب الذي اقبل الله تعالى عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمئنة القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس
بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملكوت

ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف
وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة
الهوى فتستولي النفس له وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانحباس جند
العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل
عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان با
لوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه
حتى ينطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا تقدر على ان تنظر وهكذا تفعل غلبة
الشهوات بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق
فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى
فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب
الاشارة بقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
الى قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع
الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشياء ولكنه
اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه
فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه
عند الغضب مهما استحقر او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم
او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان
الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفئ به انوار البصيرة فينطفئ منه نور الحياء والمروة والحياء والايمان و
يسعى في تحصيل مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبتدي فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر
فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهواتها الى نصرة خاطر الشر فيقوى الشهوة
وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها
الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة معرفتها بالعواقب فتميل النفس الى
نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع
عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك

ملاذ الدنيا لهم فيتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا ويضحك عليك اهل الزمان
اترضى ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلانى
ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عليه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل
الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة افتقنع بلذة يسيرة
وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم النار اتغتر
بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك
بمعصية غيرك ارايت لو كنت فى صيف ووقع الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد
الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار
فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال القلب بين هذين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان
يغلب من هو اولى به فان كان الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها
غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله واوليائه ومساعدا لحزب
الشيطان واوليائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الغالب
على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر
الاجلة بل مال الى حزب الله تعالى فظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن اى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب على القلوب اعنى التقلب
والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين
فهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزاين القلب فانه من خزاين
الملكوت وهى اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له
الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعاصى وسلط عليه اقران السوء والقى فى
قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون
الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله وبهذه الحيل وما يجرى مجراها يوسع قلبه لقبول
الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ان ينصركم الله فلا غالب
لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد

لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وجعل خلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق
لها اهلا فاستعملهم بالمعصية وعرف الخلق علامات اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان الابرار
لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر
الان على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما
ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بذلك من لا يقنع بالظواهر
ولا يجتزى بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية
له ومقنع ان شاء الله ه هذا اخر كتاب شرح عجايب القلب من المحجة البيضاء
فى احياء الاحياء ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب
الاخلاق ومعالجة امراض القلب والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى
الله على محمد وآله
الطاهرين
ه

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن
تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى
اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل خواص عباده تهذيب الأخلاق
بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة على محمد عبده ونبيه وحبيبه و
صفيه وبشيره الذي كان يلوح نور النبوة من أساريره ويستكشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره
وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام عن ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل
ولم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره أما بعد فإن الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال
الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق
السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث
المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الأبواب المفتوحة
من القلب إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من
القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه
مرض يفوت حيوة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الأطباء
بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج
لأمراض القلوب وفيها فوت حيوة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ
لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى
تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في معالجتها وإصلاحها فمعالجتها هي المراد بقوله تعالى
قد أفلح من زكيها وإهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير إلى
جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل للعلاج لخصوص الأمراض

فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد
مناهجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك
ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم
بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس
ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ثم بيان
شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان
الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر
فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى
لنبيه وحبيبه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه وإنك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة كان خلق رسول
الله القرآن وسأل رجل رسول الله عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين ثم قال هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق وقال أثقل ما يوضع في الميزان تقوى الله والخلق الحسن وجاء رجل إلى رسول الله
من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله
ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه
فقال ما الدين فالتفت إليه فقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم فقال سوء
الخلق وقال يا رسول الله أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها
قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله أي الأعمال أفضل قال
حسن الخلق وقال ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله إن
فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار
وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله يقول أفضل ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله
الإيمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء
الخلق وقال رسول الله إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق
ألا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حسن الخلق خلق الله الأعظم وقيل يا رسول الله
أي المؤمنين أفضلهم إيماناً قال أحسنهم خلقاً وقال إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه
وحسن الخلق وقال أيضاً سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال

رسول الله انك لامرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن براء بن عازب قال كان رسول الله
احسن الناس خلقا واحسنهم خلقا وعن ابن مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول اللهم قد حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله ص يكثر الدعاء فيقول
اللهم انى اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابى هريرة عن النبى ص قال كرم المرء دينه و
مروته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسالون
النبى ص يقولون ما خير ما اعطى العبد قال ص حسن الخلق وقال ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن
فلا يعتدن بشئ من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس
وكان من دعائه ص فى افتتاح الصلوة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف
عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله ص يوما اذ قال ان حسن
الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال ص من سعادة المرء حسن الخلق وقال ص لابى ذر
يا اباذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت
المراة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هى قال لاحسنهما خلقا كان
عندها فى الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال ص ان المسلم المسدد ليدرك
درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفى رواية اخرى درجة الظمآن فى الهواجر وقال
انس قال النبى ص ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة
وقال ص سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال ص ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل
درك جهنم **اقول** وقد ذكرنا الاخبار فى فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق من طريق الخاصة فى
اول كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ربع العادات فلا نطول الكلام باعادتها قالت الآثار قال
لقمان الحكيم لابنه يا ابنى اى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال
قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن
الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا
قال يا بنى اذا اجتمعت فيه هذه الخمس فهو تقى نقى ولله ولى ومن الشيطان برئ وقال الحسن من ساء
خلقه عذب نفسه وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل
السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق
احب الى من ان يصحبنى عابد سيئ الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيئ الخلق فى سفره فكان يحتمل منه

ويداريه

حسن الخلق

ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال ارحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد
اربع يرفع العبد اعالى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال
الايمان وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر
معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال ما بين الله تعالى فى كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم
قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس واساس الايمان حسن
الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى محمد ص
واقرب الخلق الى الله تعالى السالكون آثاره بحسن الخلق **بيان** حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

الاقوال فى حقيقة حسن الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا فى حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته
ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا
العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول بعضهم
حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من
شدة معرفته بالله وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال ابو عثمان هو
الرضا عن الله فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات
ايضا وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان
مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اى حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة
ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك
بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والروح المدركة بالبصيرة اعظم قدرا
من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته الى نفسه فقال تعالى انى خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى
الله تعالى والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة يصدر
عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة
المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى
هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة
عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر عنه الافعال
بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء

والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل و والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما و
الرابع هيئة النفس وبها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن
وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون
خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء وليس هو عبارة عن القدرة لان نسبة القدرة الى الامساك
والاعطاء بل الى الضدين واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك
لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا
على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهى الهيئة التى بها تستعد النفس لان يصدر منها
الامساك والبذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة
الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر
فكذلك فى الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة
واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهى قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق
والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا انصلحت
هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها فى ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما
تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى ان تكون تحت اشارة الحكمة اعنى اشارة العقل
والدين واما قوة العدل فهى ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مرتبته
منزلة الناصح المشير وقوة العقل هى القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب
هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج ان يؤدب حتى يكون استرساله
وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد
فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق
مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذى
يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة
الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمى تهورا
وان مالت الى الضعف والنقصان سمى ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمى

شرها وان مالت الى النقصان سمى خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان
والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال فى الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذى يختص باسم
الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعنى بالحكمة حالة
للنفس بها يدرك الصواب من الخطا فى جميع الافعال الاختيارية ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها
تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فى الاسترسال والانقباض على حسب
مقتضاها ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها ونعنى بالعفة تأدب
قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها
اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى واصابة الظن والتفطن لدقائق
الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها
يصدر البله والغمارة والحمق والجنون واعنى بالغمارة قلة التجربة فى الامور مع سلامة التخيل وقد
يكون الانسان غمرا فى شىء دون شىء والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح لكن سلوكه
للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة فى طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا
ينبغى ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة
والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وامثالها وهى اخلاق
محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس و
الانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة
والقناعة والورع والامانة والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط
والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة
والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن
الاخلاق فى هذه الصفات والفضائل الاربعة وهى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقى فروعها
ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وآله والناس بعده متفاوتون
فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله
وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون
به فى جميع الافعال ومن انفك عن جميع هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين

في الحكمة والعدالة

مراتب جميع الاربعة

في انه لم يجمع الاعتدال في هذه الاربعة الا رسول الله

العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان المبعد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك فينبغي
ان يقتدي به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار القران الى
هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط الشهوة والمجاهدة بالنفس
هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العدل وحد الاعتدال وقد وصف الله الصحابة
فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة
بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان** قبول الاخلاق للتغيير
بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية
النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته وزعم ان
الاخلاق لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير فاستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن
كما ان الخلق هو صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه
قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك الخلق الباطن
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة
وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير
فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وهو محال وجوده فنقول لو كان
الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس
والكلب من الاكل من الصيد الى التادب والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك
تغيير الاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للادمي
واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوان
وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة
قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل
الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلا ان انضافت اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية
فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة

لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه ولو اردنا اسلاسهما وانقيادهما بالرياضة
والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات
مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافهما سببان احدهما قوة الغريزة في اصل
الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها
امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة يخلق له الشهوة
ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد
يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب
الاولى هو ان الانسان الغافل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه
خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته ايضا باتباع اللذات فهو سريع القبول للعلاج فلا يحتاج
الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان **الثانية**
ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهوته
واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول
اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخرى ان يغرس
في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنها بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم
الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى على ذلك
فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال و
الرابعة ان يكون مع نشوئه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر
واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهو اصعب المراتب وفي مثله قيل ومن
العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال
فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الاخر الذي
استدلوا به وهو ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق
فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان
الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة لو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة
الوقاع لانعدم النسل ولو انقطع الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك و
مهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال

وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط و
التفريط فالمطلوب فى صفة الغضب حسن الحمية بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون
فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة
وانما يصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب و
الشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلم لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه واله
انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول
الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد
الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر واحدا منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط
لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغير الخلق فانه ربما يستولى الشهوة على الانسان بحيث عقله على
دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة
والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذى يدل على ان المطلوب هو الوسط فى الاخلاق
دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب شرعا وهو وسط بين طرفى التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى
عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود وقال
الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى فى الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله
خير الامور اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا
العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا
وشرط القلب ان يكون سليما بينهما اى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا
على انفاقه فان الحريص الى الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص الى الامساك مصروف القلب
اليه وكمال القلب فى ان يصفو عن الوصفين جميعا فاذا لم يمكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين
وابعد من الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما كانه خال عن الوصفين
كذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر
الاخلاق فكلا طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد المريد
ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم امساك المال راسا ولا يرخص له فى شىء من ذلك لانه لو رخص له
فى ادنى شىء منه اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد

قلع الاصل حتى يتيسر الى القدر المقصود ولا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ
يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة
قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل والشرع
وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد
كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير بغير معلم عالما وبغير مؤدب مؤدبا كعيسى ويحيى وكذا سائر الانبياء عليهم السلام
ولا يبعد ان يكون فى الفطرة والطبع ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا
وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم
والوجه الثانى لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة واعنى بها حمل النفس على الاعمال
التى يقتضيها الخلق المطلوب ومن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف بتعاطى فعل
الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظبه عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا
يتيسر عليه فيصير بنفسه جوادا وكذلك من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر
فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد لنفسه ومتكلف الى ان يصير
ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير
الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ ببذل المال دون الذى يبذله عن كراهية والمتواضع
هو الذى يستلذ التواضع ولن يترسخ الاخلاق الدينية فى النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة
ولم يترك جميع العادات السيئة ما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة
ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال رسول الله جعلت قرة عينى فى الصلوة ومهما كان
العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة
عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها
لكبيرة الا على الخاشعين وقال لعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما يكرهه خير كثير ثم لا
يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان
بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك
لما سئل رسول الله عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان
الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق

اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى القلب وانما تتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات
وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء احب اليه من الله
سبحانه ومن لقائه فلا يستعمل جميع الا على الوجه الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من
المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذى يوصله الى الله سبحانه وذلك بان يكون موزونا بميزان
الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به ومستلذا ولا ينبغى ان يستبعد مصير الصلوة قرة عين ومصير
العبادات لذيذا فان العادة تقتضى فى النفس عجايب اعجب من ذلك فانك ترى الملوك والمتنعمين فى
احزان دائمة وترى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل
معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله واخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا
فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه وصرفه نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف
طول نهاره فى حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها و
تحليقها فى جو السماء وعودها بل ترى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط
على ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك يتبجح بنفسه وبقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك
فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار
ولا يبالى بها بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال
قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر ووشم
الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه حتى يباهى به مع المخنثين
حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة
العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف
فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه الى القبايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه
مدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى
اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته و
عبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوة
غريب من ذاته عارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى
طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببا حياتها فكل قلب مال
الى حب شيء سوى حب الله فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب

الله تعالى واعانته له على دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق
الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من
عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض اثرها على
الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجرى على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر
فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق فى الكتابة صفة له نفسية حتى يصير كاتبا
بالطبع فلا طريق له الى ذلك الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة
طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال
يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة فى نفسه فيصدر منه فى الاخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر
منه فى الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذى جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع
منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد
ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على
قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى
افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس
من نيل هذه الرتبة لتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها
بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا
توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة فى يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس
بالكسل وهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصى يجر بعضها الى بعض حتى
يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره فى تفقه النفس
بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة وكذلك الطاعة الواحدة
لا يحس تاثيرها فى تزكية النفس وتطهيرها فى الحال ولكن لا ينبغى ان يتهاون بقليل الطاعة فان الجملة
الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفى فلها
لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يتهاون بتعطيل يوم وليلة وهكذا
على التوالى يسوف نفسه يوما يوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يتهاون بصغائر المعاصى
ويسوف نفسه بالتوبة على التوالى اما ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه
التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه عن مخالبها

وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية
ولذلك قال علي عليه السلم الايمان يبدو في القلب لمعة بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض
فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق
ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون
بالطبع والفطرة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح
اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة
طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم
وتيسرت له اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه
الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان** تفصيل الطريق الى
تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال
سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ
البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضايل
والاخلاق الجميلة لها وجلبها اليها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل وكسب الصحة له وجلبها اليه و
كما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما يعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية و
الاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة فانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
اي بالتعود والتعلم يكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى
بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس يخلق ناقصة للكمال وانما يكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق
والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان
مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي
ان تسعى لحفظها وحفظ صحتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال
والصفا فينبغي ان يسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا
تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي
مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع
ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات

لعلاج

لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل مرض
القلب اولى فان مرض البدن يحصل منه الموت ومرض القلب والعياذ بالله منه يحصل منه عقاب
يدوم بعد الموت ابد الاباد فكما ان كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص
ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف
به مقدار النافع منه والضار فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقص الذي يعالج بها الاخلاق
لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان
العلة من حرارة او برودة وان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف ذلك
التفت معه الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله ثم يعالج
بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان
يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما
ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد
من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي سنه وحاله ومزاجه وما
يحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته **اقول** ثم ذكر ابو حامد في ذكر جزئيات طريق تعليم
الشيخ للمريد ولما كان بناء اكثرها على ايجاب متابعة من يجوز عليه الخطا وعلى نهج اخرى يخالف طريقة
اهل البيت عليهم السلم كما ياتي بيانه طوينا على ان ما لا باس به من كل ذلك كان مما تكرر ذكره في كلامنا
سابقا ولاحقا **بيان** علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة اعلم انه كما ان كل عضو من اعضاء
البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او
يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليدان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار
فكذلك مرض القلب هو ان يتعذر فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب
الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات و
الاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة
والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع
والابصار وغيرها بل بمعرفة الاشياء على ما هي واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها
اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه
ومن علامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم

الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية فمن كان عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح من البدن وان وجد في نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء والمرض قد استولى عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عود الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى فانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى يغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط من ذلك وفي غاية البعد من الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله للمستحق فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسرها حتى ينقطع علاقة قلبك من المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب منه الا امساكه لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك ولا الامساك على البذل فكل قلب صار كذلك فقد اتى الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى يرتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما

ينفك

ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبعة عشر مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم اذ قد وجب قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة فرأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء الطريق في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق **الاول** ان يجلس بين يدي بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان بعضهم يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة ويخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا يخلو اصدقاؤك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط فقال ماذا اصنع باقوام يخفون علي ذنوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان ينبهوا على عيوبهم بنصيحة غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب يخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او الافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح

بمثله ويقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغله العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون
هذا من قساوة القلب التي تثمرها كثرة الذنوب واصل كل ذلك من ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يلهمنا
رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه
وفضله **الثالث** ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدى المساويا ولعل
انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه
عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقول على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع
بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم **الرابع** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما
بين الخلق فيطالب نفسه بتركه وما يراه محمودا يطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة
المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد
من الاقران لا ينفك القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شئ منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن
كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المودب
قيل لعيسى عليه السلام من ادبك فقال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حال من فقد
شيخا ذكيا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد
الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك
الذي هو بصدده **بيان** شواهد النقل من ارباب البصاير وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة
امراض القلوب بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين
الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت
عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان
درجات كما ان للعلم درجات والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم و
الذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه
وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم
كلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى
قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلعم المؤمن بين خمس شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر
يقاتله وشيطان يضله ونفس ينازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدته وروى ان الله تعالى اوحى

الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى
محجوبة وقال عيسى عم طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال عم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا
بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس
وقال عم المجاهد من جاهد نفسه في الله تعالى وقال عم كف اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها في معصية الله
اذ تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر برحمته وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس
باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام
وحمل الاذى عن جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام
السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ اشد من الحلم عند الجفاء
والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت
عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من
الظلم والانتقام فتامن بوايقها في ساير الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوايل افاتها فتصير عند
ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره
في الميدان والملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس
من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت
عليه النفس صار اسيرا في جب شهواتها مسجونا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد
اجمع العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح
بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيا للذل
ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة تصير الملوك
عبيدا وان الصبر والتقوى يصير العبيد ملوكا فقال يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقال علي عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان
الطريق الى سعادة الاخرة لا يتم الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما
علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس
بشئ مما لا يوجد معها في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن
وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منها انس به والفه واذا مات تمنى
الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عنه

الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله تعالى وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوائق
الفكر والذكر فقط فمن لا يقدر على حقيقة ذلك فليتقرب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر
الله تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضروريات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة
الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني رجل استغرق الدنيا قلبه الا
من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين
لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر قوة غلبة
ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار
لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب
عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سببا للبعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف
بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج من الحاجة من الدنيا ايضا وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا
فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم تمنع النفس من التنعم من المباح فان النفس اذا لم
تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت
الا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما
اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان
الذي يشتهي به الحلال هو الذي يشتهي بعينه الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام
ولم يتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى آفات المباحات ووراء هذه
آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير
ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك لان الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق
فيخرج من القلب الحزن والخوف وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا
بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله الا
متاع الغرور فاولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية
بطرة بعيدة من التاثر بذكر الله تعالى واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية
قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها
وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب من نوقش في
الحساب في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم في الدنيا

والاخرة

والاخرة بالخلاص عن اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما
يفعل بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا
في بيت مظلم ويخاط عيناه حتى يحصل له الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه من طبع
الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه
وكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ
السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر
الله عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي
يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يكثر بكاؤه وجزعه عند الفطام
ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما فيوما وعظم تعبه
في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير طبعا له فلو ورد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي
ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الباذي للدابة في الابتداء تنفر من السرج واللجام والركوب ولكن
يحمل عليه قهرا ويمنع عن الانسراح الذي الفه بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث يترك
في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك يؤدب النفس كما يؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان يمنع
عن الاشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت فيقال لها احبب ما احببت فانك مفارقه
فاذا علم انه من احب شيئا يلزمه فراقه فيشقى لا محالة لفراقه وشغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله
تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة
حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغير ذلك شهرا ليتنعم
به سنة فكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة
فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله
والاصل فيه ان يترك كل احد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في
الوعظ او بالعز في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به
فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع في الدنيا فكره ذلك وتالم به
فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان بها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس
ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو له في نفسه من
شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة

ولا بد من ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام **بيان** علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان
فهو جاهل بعيب نفسه واذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه انه
قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامات حسن الخلق فان حسن الخلق
هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها
ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك ليعلم بها حسن الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله
اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود هذه الصفات علامة
حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل
بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله ص المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن
الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت و
ذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رأيتم المؤمن
صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل
لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله
تعالى فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحياء
قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا
مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى لله
ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن علامة المؤمن والمنافق فقال
ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم
المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق
راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم
ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن
يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد

والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد واول ما يمتحن به حسن الخلق
الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق
احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله ص كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذب رداءه جذبا شديدا
وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت عنق رسول الله ص قد اثرت فيه حاشية البرد
من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله ص فضحك ثم امر
له بعطاء ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم وروي ان عليا عليه السلم دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام
اليه فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك
فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله **اقول** ثم ذكر ابو حامد حكايات عن الصوفية زعم انها تدل
على حسن اخلاقهم بتذليل انفسهم للناس وقد عرفت من طريق اهل البيت عليهم السلم ان الله لم يأذن للعبد
ان يذل نفسه فلا حاجة هنا الى نقلها وقد ذكرنا في كتاب اخلاق الامامة وآداب الشيعة من ربع العادات
من اخلاق اهل البيت ع وكلماتهم في محاسن الاخلاق وصفات المؤمنين ما فيه بلاغ لقوم عابدين وكذا
في كتاب آداب الصحبة والمعاشرة من ذلك الربع وافعال اهل البيت عليهم السلم واقوالهم هي الحجة و
القدوة في كل باب والله الموفق **بيان** الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تأديبهم وتحسين
اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش
وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد
في الدنيا والآخرة وشاركه ابواه في ثوابه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر واهمل اهمال البهائم
شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قوا
انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته
بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه
الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول
امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام
لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما
بدا فيه مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك
بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى رأى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار

يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب
وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه
واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول
بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من ياكل
ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ولا يده ويعود الخبز
القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر
الاكل بالبهائم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل
الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان وان يحبب
اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال
يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره
ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين تعودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة
كل من يسمعه ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا
حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب
ثم ينبغي ان يشتغل في المكتب بتعلم القران واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس
في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء
الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما
ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى لاجل ذلك بما يفرح به ويمدح
بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك
ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله سيما اذا ستره الصبي واجتهد
في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك فان عاد ثانيا فينبغي
ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس
ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط
وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه ولا يوبخه الا احيانا وينبغي للام ان تخوفه
بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن
يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة

المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح
فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل
ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه ولا يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر
على اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ويعود التواضع و
الاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا فيه بدا له
حشمته ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة
وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يتبصبص في
انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما اكثر مما يحذر
من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من آفة السموم على الصبيان
بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة
غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل على
الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وان
ذلك فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا وكاذبا حتى لا يتعود في الصغر ويمنع من ان يبتدا
بالكلام ويعود ان لا يتكلم الا جوابا بقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه
سنا وان يقوم لمن فوقه ويوسع المكان له ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن
اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فانه يسري لا محالة من القرناء السوء
واصل تاديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب و
لا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك
والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الادب
بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه
وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه
وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب
بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلوة ويؤمر بالصوم في بعض
الايام من شهر رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كلما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة
واكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكلما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما

قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان
بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار
قرار وان الاخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا
للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعمه فاذا كان صالحا كان الكلام عند البلوغ واقعا
مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب
والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن
التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر وانما ابواه يميلان
به الى احد الجانبين قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه **بيان** شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة
اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الاخرة مشتاقا اليه سالكا
سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في
الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا حرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه
بالله ورسوله واليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير
صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة
الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة
فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان
وسبب عدم الايمان عدم الهداة المذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا
وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم و
ليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من
العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن المنهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق
العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى
غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه
غيره وانبعث له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية
الارادة وله معتصم لا بد له من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه
وعليه وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق فاما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة

فيرجع

فيرجع حاصلها الى رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب
ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية والسد
بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه
عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله
تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي
اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى
قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى
الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا
فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه
متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا **اقول**
هذا انما يصح على مذهب العامة حيث يتعصبون في الاصول للاشعري والمعتزلي ونحوهما من اهل
الاراء وفي الفروع للحنفي والشافعي وشبههما من اصحاب الاهواء واما على مذهبنا الحق من وجوب التمسك
بحبل اهل البيت عليهم السلام الذين هم مشايخنا وحصوننا فالانتماء اليهم شرط الاهتداء لاحكام
الدين والتعصب لهم يزيد السالك في سلوكه يقينا الى يقين قال واما المعصية فهي حجاب لا يرفعها
الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم و
ارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة
كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لا يعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها
اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا بامتثال الاوامر والانزجار
عن النواهي ثم الترقي الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة كان كمن تطهر وتوضأ
ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاد
يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة
ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادي المهلكة من غير خفير ودليل
فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على
القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به
تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا

يبقى فى نشابته شيئا ولا يترد و يعلم ان نفعه فى خطائه اكثر من نفعه فى صواب نفسه لو اصابه
اقول لذا جاز على الشيخ الخطاء بما يكون فساده اكثر من صلاحه بل الحق انه لا يجوز الاعتماد فى الاعتقاد
والعمل الا على معصوم من الخطاء والزلل وعرف عصمته من الله تعالى وليس الا ائمتنا عليهم السلام ثم من اذنوا
لنا فى الاخذ عنه من شيعتهم الاخذين عنهم وعن محكماتهم قال الصادق عليه السلام اياك ان تنصب رجلا
دون الحجة فتصدقه فى كل ما قال وقد ورد عنهم ع فى الاداب والسنن وكيفية السلوك فى كل امر ما يغنى
عن كثير مما سرده ابو حامد وسائر الجهد قال فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه
ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهى اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذه
بحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص
دم القلب فيبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفواد وفى ذوبانه رقته وفى رقته مفتاح المكاشفة
كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلية
بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار
الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع
فى تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسياتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين واما السهر
فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره وينضاف الى الصفاء الذى حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب
الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الاخرة وحقارة الدنيا
وآفاتها فيتم بر رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير
ممكن والنوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب
فقد قيل فى صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع راى
سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا
يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام او شراب او تدبير امر فينبغى ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام
يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه
فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع
والبصر فانهما دهليز القلب والقلب فى حكم حوض ينصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس و
مقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج عنه الماء
اللطيف الطاهر وكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال اكثر

مما ينقص

مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم فان لم يكن
له مكان مظلم فليلف راسه فى جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد
جمال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المدثر
ويا ايها المزمل فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق
فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله
الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب فى قطعها
ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهى اعنى تلك الصفات اسرار العلائق التى قطعها فى اول الارادة
واثارها اعنى اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والشوق الى المعاصى فلابد وان يخلى
الباطن عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك با
ختلاف الاحوال فرب شخص يكفى قد كفى اكثر الصفات فلا يطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق
المجاهدة هو مضادة الشهوة ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره واذا
كفى ذلك او ضعف بالمجاهدة فلم يبق فى قلبه علاقة يشغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام و
يمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو
لباب الاوراد وثمرتها اعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه
ملتفتا الى علائقه قال الشبلى الحصرى ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التى تاتينى شئ
غير الله فحرام عليك ان تاتينى وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب
حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد
بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند
ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول لا اله الا الله او الله الله
او سبحان الله او ما يامره الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة اللسان ويكون الكلمة
كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ
فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب
حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشئ خلا عن غيره اى شئ
كان فاذا شغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب
والخواطر التى يتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشئ

منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا بل فليجتهد فى دفع ذلك و
مهما دفع الوسواس كله ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوسواس من هذه الكلمة وانها ما هى وما
معنى قولنا الله ولاى معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر يفتح عليه باب الفكر وربما
يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب
لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى القلب
ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالى به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغى ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما
يجد فى قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق فى ارادة فينبغى ان يظهر
ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينبغى ان ينظر فى حاله ويتامل فى
ذكائه وكياسته فان علم انه ان تركه وامره بالفكر تنبه فى نفسه بحقيقة الحق فينبغى ان يحيله على
الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف فى قلبه من النور ما ينكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا
يقوى عليه مثله رده الى اعتقاد الصحيح القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من
فهمه وينبغى ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها فكم من مريد اشتغل
بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد فلم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة
وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه
لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا
كان من الهالكين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم بدين العجائز وهو تلقى اصل
الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر فى العدول عن ذلك
كثير ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس فى المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر
لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين
للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد فى صف القتال ينبغى ان يسقى القوم ويتعهد دوابهم
ليحشر يوم القيمة فى زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه
قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما
التفت الى شئ من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا فى طريقه ووقوفا بل ينبغى ان يلازم حاله

جملة عمره ملازمة العطشان الذى لا ترويه البحار ولو افيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع
عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق
قال ان تكون فى الدنيا كانك عابر طريق وقال قلت له مرة اخرى دلنى على عمل اعمله اجد فيه قلبى مع الله
فى كل وقت على الدوام فقال لى لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لى منهم قال فلا تسمع
كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى من ذلك قال فلا تعاملهم قلت انا بين اظهرهم فلابد لى من معاملتهم
قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع
كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله على الدوام هذا مما لا يكون ابدا اقول
فقد اطال ابو حامد فى كلامه الخوض فى اودية الضلال وادعى جواز ما هو من قبيل المحال على انه ابداء
شريعة واحداث بدعة شنيعة مع اشتماله على اعراضه على المهالك والمفاسد التى لا ينجو منها من الف
الف واحد ولو كان طريق الى الحق اهدى مما ارسل به نبينا صلى الله عليه وآله لجاء به دونه لانه
شرع خير الشرايع كما انه خير الانبياء وقد ورد فى التنزيل وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله فلا محالة فيما جاء به كفاية للاهتداء وليس فيما جاء به شئ مما تكلفوه بل
انما وردت النصوص على خلاف ما وضعوه اما رفضهم المال والجاه بالمرة فقد ورد الحث الاكيد على
طلب الحلال واحرازه قدر قوت السنة من المال وان من القى كله على الناس فهو ملعون ومن اذل
نفسه فهو ملوم ملعون وانما المذموم حب المال والجاه لا احرازهما بقدر الضرورة من دون حب
واما ترك التعصب فقد ورد ان افضل القربات الحب فى الله والبغض فى الله وان الدين انما هو الحب و
البغض وما فى معناه واما البيتوتة فى بيت وحده فقد ورد اجرى ما يكون على الانسان واشد ما يهجم
به اذا كان وحده واما الاقتصار فى الاوراد على كلمة واحدة فقد ورد فى فضل تلاوة القرآن والدعاء
ما ورد وان مخ العبادة الدعاء وطلب الحاجة الى الله تعالى هذا مع ما ورد فى فضل الجمعة والجماعات
وبركة التزاور والاجتماعات وفى الحديث المتفق عليه بين الخاصة والعامة لا رهبانية فى الاسلام
وان من رهبانية امتى الصيام وفى حديث آخر ان رهبانية امتى الجلوس فى المساجد الى غير ذلك
مما يباين طريقة هؤلاء فهؤلاء المبتدعون جمعوا بين الجهل وسوء الادب مع الله ورسوله اما الجهل
فلكونهم ما عرفوا وجود الحكمة فيما كلف الله به عباده من الاوامر والنواهى على حسب ما يليق بهم
وبما هو اوفق لافهامهم وامزجتهم واما سوء ادبهم فمعارضتهم له سبحانه ولرسوله بما وضعوه
من عند انفسهم مما زعموه طريقا الى معرفة الله تعالى وهم الذين رووا عن النبى صلى الله عليه وآله

انه قال من احدث فی دیننا ما لیس منه فعلیه لعنة الله والملئکة والناس اجمعین قیل یا رسول الله
وما حدث امتك قال ان یبتدع بدعة یحمل الناس علیها وفی خبر اخر ان لله ملکا ینادی کل یوم من خالف
سنة رسول الله لم تنله شفاعته وهم الذین قالوا امثال الجانی علی الدین بابداع ما یخالف السنة
بالنسبة الی من یذنب ذنبا مثال من عصی الملك فی قلب دولته لا کنسبة الی من خالف امره وفعل
معینة وذلك قد یغفر واما قلب الدولة فلا ثم ما یقولون نحن نستطیع ان نفعل کذا وکذا ونستطیع ان
لا نفعل فقال علیه السلم قل له هل تستطیع ان لا تذکر ما تکره وان لا تنسی ما تحب فان قال لا فقد
ترك قوله وان قال نعم فلا تکلمه ابدا فقد ادعی الربوبیة ولا یتم ایضا الا بمتابعة شیخ لا یخالفه
فی شیء مما یاتی به ویذر کما قالوه والشیخ جائز الخطا باعترافهم فانهم لا یشترطون العصمة فیه
وعلی هذا فیجوز ان یکلف المرید بما فیه هلاکه فی دینه او دنیاه کما اعترفوا به ایضا ونحن قد
راینا ذلك فمنهم من مات من ریاضته ومنهم من فسد دینه ولهذا قال مولانا الصادق علیه السلم
ایاك ان تنصب رجلا دون الحجة فتصدقه فی کل ما قال وهذا احد معانی قوله سبحانه والذین
اجتنبوا الطاغوت ان یعبدوها فان متابعة مثل هذا الشیخ المبتدع الذی لا یقول عن الله وجاز
علیه الخطا عبادة الطاغوت علی انا نری اکثر مشایخهم الذین سلکوا هذه الطریقة الشنعاء و
حملوا الناس علیها کانوا فی حیرة وعمی من معرفة الامام علیه السلم مع ان بناء معرفة الدین علما وعملا
علی معرفة الامام المنصوب عن الله تعالی بالوحی وقد قال النبی صلی الله علیه واله فی الحدیث المتفق
علیه بین الخاصة والعامة من مات ولم یعرف امام زمانه فقد مات میتة جاهلیة ومن اضل ممن اتبع
هواه بغیر هدی من الله ان الله لا یهدی القوم الظالمین وعن الباقر علیه السلم کل من دان الله بعبادة
یجهد فیها نفسه ولا امام له من الله فسعیه غیر مقبول وهو ضال متحیر والله شانی لاعماله ومثله
کمثل شاة ضلت عن راعیها وقطیعها فهجمت ذاهبة وجائیة یومها فلما جنها اللیل بصرت بقطیع من
غیر راعیها فحنت الیها واغترت بها وباتت معها فی مربضها فلما ان ساق الراعی قطیعه انکرت راعیها
وقطیعها فهجمت متحیرة تطلب راعیها وقطیعها فبصرت بغنم مع راعیها فحنت الیها واغترت بها فصاح
بها الراعی الحقی براعیك وقطیعك فهجمت ذعرة متحیرة نادة لا راعی لها یرشدها الی مرعاها او
یردها فبینا هی کذلك اذا اغتنم الذئب ضیعها فاکلها وکذلك والله من اصبح من هذه الامة لا امام
له من الله ظاهر عادل اصبح ضالا تائها وان مات علی هذه الحال مات میتة کفر ونفاق واعلم ان ائمة
الجور واتباعهم لمعزولون عن دین الله قد ضلوا واضلوا فاعمالهم التی یعملونها کرماد اشتدت به الریح

فی یوم عاصف لا یقدرون علی شیء مما کسبوا ذلك هو الضلال البعید وعن الصادق علیه السلم والله
لو ان ابلیس سجد لله تعالی بعد المعصیة والتکبر عمر الدنیا ما نفعه ولا قبله الله تعالی ما لم یسجد لادم کما
امره الله ان یسجد له وکذلك هذه العاصیة المفتونة بعد نبیها وبعد ترکهم الامام الذی نصبه نبیهم
فلن یقبل الله لهم عملا ولن یرفع لهم حسنة حتی یاتوا الله من حیث امرهم ویتولوا الامام الذی امروا بولایته
ویدخلوا الباب الذی فتحه الله ورسوله لهم فان قلت فما الطریق الی معرفة اسرار الدین وتحصیل الیقین
فاعلم ان الله تعالی خلقنا وجعل لکل منا شرعة ومنهاجا ولیس لعامة الناس ان یسلکوا مسلك الحکماء
الالباء او ینهجوا منهج الربانیین من العلماء فان جناب الحق جل ان یکون شریعة لکل وارد او یطلع علیه
الا واحد بعد واحد والمؤمن الموقن اعز من الکبریت الاحمر ثم لا بد لمن اراد الشروع فی تحصیل العلم المکنون
عند اهله المضنون به علی غیر اهله ان یکون شابا صحیح المزاج زکیا امینا عفیفا صدوقا مهذب الاخلاق
بریا عن الریاء والنفاق مبغضا الفضول الدنیا معرضا عن المکر والغدر والخیانة ونحوها معظما
للعلم والعلماء مقبلا علی الفرائض الشرعیة والوظائف فرائضها ونوافلها بعد ان تعلم احکامها وعرف حلالها
وحرامها وکان قد اخذها من اهلها وامامها قال الصادق علیه السلم ان اية الکذاب ان یخبرك بخبر
السماء والارض فاذا سئل عن شیء من مسائل الحلال والحرام لم یکن عنده شیء ثم بعد ذلك کله
اشتغل بتحصیل هذا العلم من طریقه وعلی وجهه بتقدیم الاتیان بالفرائض ثم النوافل ثم مراعاة الاداب
والسنن ثم الصبر علی البلایا والمحن وملازمة الذکر ومداومة الفکر حسب المقدور والتخلی عن
الشهوات النفسانیة والخواطر الشیطانیة بالمقدور وجعل الهموم هما واحدا مع اخلاص النیة
وصفاء الطویة والعمل بما یتعلمه شیئا فشیئا ومراقبة النفس آنا فآنا حتی یصیر العلم عیانا له بعد حین
ویترقی من علم الیقین الی عین الیقین الی حق الیقین والعمدة فیه الزهد فی الدنیا ومتابعة الشرع
من طریق ائمة الهدی وملازمة التقوی قال الله تعالی واتقوا الله ویعلمکم الله وقال ان تتقوا الله
یجعل لکم فرقانا وقال ولو ان اهل القری امنوا واتقوا لفتحنا علیهم برکات من السماء والارض وقال و
من یتق الله یجعل له مخرجا ویرزقه من حیث لا یحتسب وقال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا
وقال امیر المؤمنین علیه السلم ان من احب عباد الله عبدا اعانه الله علی نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف
فزهر مصباح الهدی فی قلبه الی ان قال قد خلع سرابیل الشهوات وتخلی من الهموم الا هما واحدا انفرد
به فخرج من صفة العمی ومشارکة اهل الهوی وصار من مفاتیح ابواب الهدی ومغالیق ابواب الردی
قد ابصر طریقه وسلك سبیله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العری باوثقها ومن الحبال

بانتها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قال ابو حامد فاذن منتهى الرياضة ان يجد المريد قلبه
مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه
مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمة الله ما لا يجوز
ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شي من ذلك فاعظم القواطع عليه ان
يتكلم به وعظا او نصحا او يتصدى للتذكير فيجد للنفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة
الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها با
لحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان
ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين
الخلق لدعوة عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر
في اقرانه من يكون احسن كلاما منه واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه
عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله
تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على
اصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذا وجده ضايعا وتعين عليه ذلك
شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ المنبهون و
المحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون
المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له اوايل الطريق فان
ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين سبحانه
ان الشر قديم في الطباع غالب على الانسان وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال سبحانه ان هذا
لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا غاية منهاج رياضة المريدين وترتيبه في التدريج الى
لقاء الله اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه و
لسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان
شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث
فيه العجب والكبر والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه
الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات
بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في افات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحسد

الحقد

والحقد وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في ذم حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء
وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق
المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع ربع المهلكات فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح
لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية
الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله

والحمد لله رب العالمين هذا اخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق
ومعالجة امراض القلب من المحجة البيضاء في احياء
الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب
كسر الشهوتين شهوة
البطن والفرج
والحمد لله
اولا و
اخرا

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه وهو الذي يحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويؤذيه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناديه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ودواعيه وكل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثر ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معصيته والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد

فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان

ولم يجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله ونبينه في فصول يجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم بيان القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المريد من ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة العين والفرج بيان فضيلة الجوع وذم الشبع قال رسول الله صلى الله عليه واله جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله لا يدخل ملكوت السموات قلب من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال عم سيد الاعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة قال الحسن قال عم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال قال رسول الله عم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان رسول الله عم كان يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك قال عم ان الله يباهي الملئكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة تركها لاجلي الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال عم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال عم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة ابن زيد ان اقرب الناس الى الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا هم الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملئكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله وافترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيعوا الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلد ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا اذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر

ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر الله الذى ذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول
عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الدنيا ولهم الشرف فى الاخرة يا اسامة اذا رايتهم فى بلد
فاعلم انهم امان لتلك البلد لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم
لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فانك تدرك
بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملئكة ويصلى عليك الجبار وقال عيسى
اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك نبينا وفى التورية مكتوب
ان الله ليبغض الجسم السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحر و
لاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارى السمين وفى حديث مرسل ان الشيطان ليجرى من ابن ادم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفى الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال المؤمن
ياكل فى معاء واحد والمنافق ياكل فى سبعة امعاء اى ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المؤمن ويكون شهوته
سبعة امثال شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة لان الشهوة هى التى تقبل الطعام وتاخذه كما تاخذ
المعاء وليس المعنى زيادة عدد امعاء المنافق على معاء المؤمن وعنه ادموا قرع باب الجنة يفتح لكم
قيل وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمآن وروى ان ابا جحيفة تجشا فى مجلس رسول الله
فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا فى الدنيا وكانت عائشة
تقول ان رسول الله لم يمتل شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدى
واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى
من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم ما
بهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فان اصبر اياما يسيرة احب الى
من ان ينقص حظى غدا فى الاخرة وما من شى احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت فوالله ما استكمل
بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه واله
فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال اما والله انه
اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال صلى الله عليه واله اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع
فى الاخرة فان ابغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة
فى الجنة اقول روى فى الكافى باسناده عن ابى عبد الله عليه السلم قال كثرة الاكل مكروه وعنه
قال قال رسول الله بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد وعنه عليه السلم

قال كان

قال ان البطن ليطغى من اكلة واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى
الله اذا امتلا بطنه وعنه عليه السلم قال قال ابو ذر اطولكم جشاء فى الدنيا اطولكم جوعا فى الاخرة
او قال يوم القيمة وعنه قال الاكل على الشبع يورث البرص وعنه عليه السلم قال كل داء من التخمة
ما خلا الحمى فانها ترد ورودا وعنه قال ليس لابن ادم بد من اكلة يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم
طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا سمن الخنازير
للذبح وعن ابى جعفر عليه السلم قال اذا شبع البطن طغى وعنه عليه السلم قال ما من شى ابغض الى الله من بطن
مملو وفى مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلم قال قلة الاكل محمودة على كل حال وعند كل قوم
لان فيه المصلحة للباطن والظاهر والمحمود من الماكول اربعة ضرورة وعدة وفتوح وقوت فالضرورة
للاصفياء والعدة لقوام الاتقياء والفتوح للمتوكلين والقوت للمؤمنين وليس شى اضر لقلب المؤمن
من كثرة الاكل وهى مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح
وطعام للقلب وصحة للبدن قال رسول الله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه وقال داود عليه السلم
ترك اكل اللقمة مع الضرورة اليها احب الى من قيام عشرين ليلة قال النبى صلى الله عليه واله المؤمن
ياكل بمعاء واحد والمنافق ياكل بسبعة امعاء وقال ويل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله
قال الحلق والفرج وقال عيسى بن مريم ما امرض القلب باشد من القسوة وما اعتلت نفس باصعب
من بغض الجوع وهما زماما الطرد والخذلان قال ابو حامد واما الاثار قال لقمان لابنه يا بنى
اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال شقيق العبادة
حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة وقال الفضيل الهى اجعتنى واجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى
بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك فباى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين
منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة
وفى التورية اتق الله تعالى واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائى احب الى
من قيام ليلتى الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله فى خزانة لا يعطيه الا لمن احب وكان سهل التسترى
يطوى نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه
حتى قال لا يوافى يوم القيمة عمل بر اكبر من ترك فضل الطعام والاقتداء بالنبى فى اكله وقال لم ار لا
كياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة من الاكل الكثير وقال
وضعت الحكمة والعلم فى الجوع وجعل الجهل والمعصية فى الشبع وقال ما عبد الله بشى افضل من مخالفة

الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة
فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاكل ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين
فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا ما صار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر و
الخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت
عنه الوساوس وقال اذا اقبل الله تعالى على العبد ابتلاه بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله تعالى
وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالصبر والجوع والجهد وقال
ما اظن احدا على وجه الارض شرب من هذا الماء حتى يروى فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع
من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها
بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء الظن
عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله تعالى ما صافى عبدا الا بالجوع
ولا والاهم الله الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزمار
هو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلى
كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل الاكل
قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلم مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل ولم يخطر بباله
الاكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا ر[illegible] فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ
قد اظله فقال له عيسى يا ولي الله بارك الله فيك ادع [illegible] لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز
فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضر شيء
اكله من غير فكر وخاطر وروي ان موسى عليه السلم لما قربه نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلثين ثم
عشرة على ما ورد في القران وانه امسك بغير تبيت يوما فزيد عشرة ايام لاجل ذلك **بيان فوائد**
الجوع وافات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين هو وما سببه وليس فيه الا ايلام
المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه
وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراها فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع
به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهيته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه ومر المذاق وهو غلط منه
بل نفعه في خاصيته في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على
علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جاع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان

لم يعرف

وان لم يعرف علة المنفعة كما ان شرب الدواء انتفع به وان لم يعرف عين المنفعة وعلتها ووجه كونه نافعا
ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الاولى** صفاء القلب وايقاد القريحة
وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى
يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل
الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك قال ابو سليمان عليك
بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي وقال احيوا قلوبكم بقلة الضحك
والشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ويقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كا
لمطر وقال م من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه واله
نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة من الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة
من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت الحور العين حوله حتى يصبح **الثانية** رقة القلب وصفاؤه
الذي به يتهيا لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن
القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال
فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما يكون
الي العبادة اذا التصق بطني بظهري [illegible]يد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد
ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن [illegible]ب اذا جاع وعطش صفا ورق فاذا شبع وروي عمي وغلظ
فاذن تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهذه فائدة ثانية **الثالثة**
الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى و
لا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها
اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تاخرت عنها وما لم
يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا
نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا ذليلا مضطرا الى مولاه
مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صم الدنيا وخزائنها فقال لا بل اجوع
يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرح باب من ابواب النار
واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح

له باب من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر
الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع
والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات
القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل
ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة
ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في مقاساة
بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة
وهذا احد الاسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك لما
قيل ليوسف لم تجوع وفي يدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين
احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعوه الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله والشبعان في غفلة
والم الجائع الخامسة وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة
بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها
يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة كلها في ان تملكه نفسه
وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع وتضعفها فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدم فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر
فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون
ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة ان اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن
الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام
فان الجائع لا يتحرك عليه فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش والنميمة والكذب
وغيرها فيمنعه الجوع عن ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس
على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها فاذا
شبع الرجل لا يملك فرجه وان منعته التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك
عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش
به مناجاته وربما عرض له ذلك في اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة الفرج واللسان مثالا والا فجميع معاصي

الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز
البحت سنة لا يخلط معه شيئا من الشهوات ويأكل بنصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء
السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه فلذلك كان يقول
بعض المشايخ لاصحابه على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر
وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر و
النوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا يخفى وفي النوم فوته ومهما غلبه النوم فان تهجد
لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ايضا ذلك من التهجد ويحوجه الى
الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه فيفوته صلوة الليل ثم يحتاج
الى مؤنة الحمام وربما يقع عينه على عورة في الحمام فان فيه ايضا اخطارا قد ذكرناها في كتاب الطهارة
وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان ان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع عن عبادات كثيرة
لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له السابعة تيسير
المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل
وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت
الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر
ربحه قال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت
ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على
وقته ولم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفى منه خزانة باقية
في الاخرة لا اخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام
على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته وفيه ضرر ومن جملة الفوائد
الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل
واسبابه الى العبادة فيه ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا
بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو
سليمان الداراني الى ست افات في الشبع فقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر
حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات

وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والسباع يدورون حول المزابل الثامنة يستفيد من قلة الاكل
صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق
ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الفكر والذكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد
والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحوج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب من انواع
واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطباء هنديا وروميا وعراقيا
وسواديا فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه
عندي الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو الماء الحار وقال
السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرق المعدة وهذا داء والماء
الحار يرخي المعدة وهو داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل حتى تشتهيه
وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول
النبي صلى الله عليه وآله ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما
في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال ع البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا
كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة
بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال
بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار من الاكل ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان وان اضر
ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا
ففي الصوم والجوع وقلة الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر
وغيرهما التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع
صار بطنه غريما ملازما له يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل
فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو
غاية الذل والمؤمن خفيف المؤنة قال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك اروح
لنفسي وقال آخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الزيادة فهو
خير غريم لي وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن السعر من الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه
بالترك قال سهل الاكول مذموم في ثلث خصال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا
يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم

على الدنيا

خفة المؤنة

ابواب الجنة والنار

على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه
الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال ع اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع
برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب و
تخلى لعبادة الله وتجارة الآخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه لا
تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة العاشرة ان يتمكن من الايثار والتصدق
بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما جاء في الخبر فما ياكله
فخزانته الكنيف وما يتصدق فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى
او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله
الى رجل سمين البطن فاومى باصبعه الى بطنه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته
لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا رجالا كان الرجل منهم يمسي وعنده من
الطعام ما يكفيه فلو شاء لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله تعالى
فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب عن كل فائدة فوائد لا تنحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة
عظيمة لفوائد الآخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح باب
الدنيا وباب الرغبة وكل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد
تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك
رتبة المقلدين في الايمان بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن اعلم ان على المريد في ماكوله وبطنه اربع
وظائف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب
مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ويبقى ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير
قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول
المشتهيات وتركها اما الوظيفة الاولى في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل
الكثير وانتقل دفعة الى الاكل القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه
قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد
نفسه الى واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او
جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن
وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات

التدريج في تقليل الاكل

اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذى لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التسترى اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنتين منها وهى الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال بل ينبغى ان لا يبالى ولو ضعف حتى يصلى قاعدا ورأى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلوته قائما مع قوة الاكل اقول هذا ليس بشئ لانه خلاف ما يظهر من آثار اهل البيت عليهم السلام فالصواب ان يحافظ السالك على قوته مهما امكنه كما يحافظ على حيوته وعقله كما قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ويأتى تمام الكلام فيه قال الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة فى اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشئ مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن فى حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة فى الجمع للقلة وهو لما دون العشرة الدرجة الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن فى حق الاكثرين ويكاد ينتهى الى ثلثى البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شئ للذكر وفى بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله ثلث للنفس الدرجة الرابعة ان يزيد على مقدار المد الى المن ويشبه ان يكون وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعنى فى حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالشخص والسن والعمل الى ان يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده عن الطعام وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فانه لا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احديها ان لا تطلب النفس الادام بل تاكل الخبز وحده بشهوة اى خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت اداما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اى لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذى لا يضعفه عن العبادة التى هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون فى كل يوم قريبا من نصف مد وهو على ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفى التمر احتيج الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابوذر رضى الله عنه يقول طعامى فى كل

جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله والله لا ازيد عليه حتى القاه فانى سمعته يقول اقربكم منى مجلسا يوم القيمة واحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول فى انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم فى ثوب وراح فى الآخر ولم تكونوا كذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وقال بعض السلف المؤمن مثل العنز يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلعا وسرطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط الوظيفة الثانية فى وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوى ثلثة ايام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقع بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره فى حاله وطمع فى اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور وكلمه فى ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب كان المسيح يطوى اربعين يوما وانه معجزة لا تكون الا لنبى صادق فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما قال وازيدك ايضا فطوى على تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن احدا ان يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وانساه جوعته وحاجته الدرجة الثانية ان يطوى يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة الدرجة الثالثة وهى ادناها ان يقتصر فى اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك هو اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى ابو سعيد الخدرى انه كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون فى كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وآله لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين فى يوم من الاسراف فكان اكلتان فى يوم سرفا واكلة واحدة فى يومين اقتادا واكلة فى يوم قواما بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله ومن اقتصر فى اليوم على

اكلة واحدة فيستحب له ان ياكلها في السحر قبل طلوع الصبح فيكون اكلة التهجد قبل الصبح ويحصل
له جوع النهار بالصيام وجوع الليل للقيام وخلوا القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم و
سكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته وفي حديث عائشة كانه يواصل الى السحر **اقول**
وذلك بشرط ان لا يجعل ذلك صوم وصال بل افطر بعد المغرب فان الوصال من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حرام على امته كما رويناه عن اهل البيت عليهم السلام **قلت** وان كان يلتفت قلب الصائم الى الطعام
بعد المغرب وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد ايضا فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين فان كان
رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا
يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان
يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل في يوم فطره قبل الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي
الطرق في مواقيت الاكل وتقاديره وشاعره **اقول** روي في الكافي باسناده عن ابن ابي شهاب عن عبد
ربه قال شكوت الى ابي عبد الله عليه السلام ما القى من الاوجاع والتخم فقال تغد وتعش ولا
تاكل بينهما شيئا فان فيه فساد البدن اما سمعت الله تعالى يقول ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعنه
قال قال امير المؤمنين عليه السلام عشاء الانبياء بعد العتمة فلا تدعوه فان ترك العشاء خراب البدن وعنه
عنه عليه السلام قال ترك العشاء مهرمة وينبغي للرجل اذا اسن ان لا يبيت الا وجوفه من الطعام ممتلى وعنه
ان في الجسد عرقا يقال له العشاء فاذا ترك الرجل العشاء لم يزل يدعو عليه ذلك العرق الى ان يصبح
يقول اجاعك الله كما اجعتني واظماك الله كما اظماتني فلا يدعن احدكم العشاء ولو بلقمة من خبز او شربة من
ماء وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما بال اصحابي لا ياكلون اللحم ولا يشمون الطيب ولا ياتون
النساء اما اني اكل اللحم واشم الطيب واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال من اتى عليه اربعون
يوما ولم ياكل اللحم فليستقرض على الله تعالى ولياكله ولقد بلغ ابو حامد في التقشف في هذا الباب ما بلغ
ولا احصاه ولم نتعرض له في كل من اقواله بل اكتفينا بما ذكرنا وحذفنا بعض حكاياته عن الصوفية مما
تمجه الطباع السليمة كنقله عن سهل بن عبد الله انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم اقتات بثلثة دراهم
في ثلث سنين الى غير ذلك **قال** الوظيفة **الثالثة** في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ
البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة
وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع
من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك

زينة الله التي اخرج لعباده
نوع الطعام

بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا لقلبه بلذائذ الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى و
تصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه من شهواتها وضيق عليها وحرمها
لذاتها صارت الدنيا عليه سجنا ومضيقا واشتهت نفسه الانقلاب منها ويكون الموت اطلاقها
واليه اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام
على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من افات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا
نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وآله شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وليس هذا بتحريم بل هو مباح
على معنى انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن داوم عليه فلا يعصي ايضا بتناوله ولكن يتربى
نفسه في التنعم ويانس بالدنيا ويسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة
يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقال صلى الله عليه وآله شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ونبتت عليها اجسامهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله الى
موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فيمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من
تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله ذلك عنهم غاية
السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما من اين فقال
امرت بسوق الحوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا
تنبيه على ان تيسر اسباب الشهوات ليس من علامات الخير وعن النبي صلى الله عليه وآله ايما امرئ اشتهى
شهوة فرد شهوته واثرها على نفسه غفر الله له وعنه عليه السلام اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من ماء
القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار واشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم
بلذائذ الدنيا وقد امتنع السلف من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي
ذكرناها وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة و
الشهوات ليست من الضرورات حتى قال بعضهم الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه
هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل من نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا
ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي عليه السلام من ترك اللحم
اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان المداومة على اللحم ضراوة كضراوة
الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى

اكل مخ الحنطة
علامات الملكات وشرائطها
علامات السعادة

عليه وربما طلبت النفس الاكل لتنشط على الجماع ويتحبب الاتيان على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعاودم
الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فهو اقرب للشكر وفى الحديث اذيبوا
طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ومهما اشتهى شيئا من طيبات الفواكه فينبغى
ان يترك الخبز وياكل الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون قوتا ولا يكون تفكها ولئلا يجمع للنفس بين عادة
وشهوة ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ
لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها
فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض ابواب الخبز شهوة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس فى الشهوات
فى المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى ان يقال اذهبتم طيباتكم فى
حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد فى نفسه ويترك شهوته يتمتع فى الاخرة بشهوته وقال
تعالى كلوا واشربوا بما اسلفتم فى الايام الخالية وكانوا قد اسلفوا بترك الشهوات لا باكلها وهذا مثل
ترك شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف
احوال الناس اعلم ان المطلوب الاقصى فى جميع الاحوال هو الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفى
قصد الامور ذميم وما اوردناه فى فضائل الجوع ربما يومى الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن
من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع
بالمبالغة فى المنع منه على وجه يومى عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان يطلب غاية الجوع
حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية
بعيد فيعلم انه لا ينتهى الى الغاية فانه ان اسرف مسرف فى مضادة الطبع كان فى الشرع ايضا ما يدل على
اسائته كما ان الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبى صلى الله عليه وآله من حال
بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة
الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا
فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل
القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملئكة فانهم
مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع
والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمى البعد عن هذه الاطراف

تقديم اللطيف

ترك شهوة

مثال النملة والحلقة المحمية

المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض
فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لا يقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على
المركز الذى هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التى فى
الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملئكة خارجون
عن الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملئكة فى الخلاص فاشبه احواله بهم
البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الاخلاق المتقابلة وعنه
عبر بخير الامور اوسطها واليه اشار قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان ولا شبع
تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما
فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحة متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد
من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع وغيره الى ان تعتدل
فاذا ارتاضت واستوت رجعت الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده
بما لا يتعاطاه هو بنفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه
قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والاباء
عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذى لا يحس بالمه فى اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر
حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكى
طريق الاخرة اما صديق واما مغرور اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه
عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغنى عن تاديب نفسه
الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر
فتنظر المغرور الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح
من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذى يدل على ان تقدير الطعام
بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق
عن بلوغ رتبة الكمال ان رسول الله لم يكن له تقدير وتاقيت فى طعامه قالت عائشة كان يصوم
حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول اعندكم من شئ فان قالوا نعم
اكل وان قالوا لا قال اذن اصوم وقد كان يقدم اليه الشئ فيقول اما انى كنت اردت الصوم ثم ياكل و
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوما وقال انى صائم فقالت عائشة قد اهدى الينا حيس فقال

كنت اردت الصوم ولكن قربته وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقال له
ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف
في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمني ودفع ابرهيم بن ادهم الى
بعض اخوانه دراهم فقال له فقال خذ بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق فهذا كله
فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما كثيرا
ودعا نفرا يسيرا فقيل اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في
الثياب والاثاث فالبصير باسرار المعرفة يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال
بيان افة الرياء المتطرق الى من يترك اكل الشهوات او يقلل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات
افتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احدهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات
فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويا كل في الخلوة ما لا يا كل في الجماعة وهذا
هو الشرك الخفي وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهره فان هذا
صدق الحال وهو يدل على فوات المجاهدة في الاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال
هما نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين
صادقتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان
الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا اخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم
اعين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره واثبته في باطنه فالعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي
ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات ويظهر من نفسه الشهوة
اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات فيعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين
ولكن يبتغي به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد
في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين
فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا
وبالفقر سرا **اقول** لا ارى صدقا في تلبيس الحال ولا اجرا في مثل هذه الفعال بل ارى كذبا بحتا ورياء
صرفا ونظرا الى الناس واظهار الملابس **قال** فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه
والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستر واصلاحا لغيرك

لانه

لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه
الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم انه من اطلع عليه ليس يقتدي
به في الفعل فلا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات الافة **الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات ولكن
يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع
شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة
اهم من كسر شهوة الطعام فليا كل فهو اولى به قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها
فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت
على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي
فان اظهرت شهوتها اليها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف
عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية **اقول**
لا يشبه هذا بكلام مولانا الصادق عليه السلام بل هو بكلام الصوفية اشبه **قال** وبالجملة من ترك
شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى الحية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من
شهوة الطعام **القول** في شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما
ان يدرك لذته فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار
والمها اعظم الام الجسد فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك بالم محسوس ولذة
مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه
فائدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد
قيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق
اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وآله الا انه قال في تفسيره
الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وآله يقول اللهم اني اعوذ بك من شر
سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوات لما كان للنساء سلطنة
على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه
الوان فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال موسى من انت قال انا ابليس
قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئتك لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت
عليك قال به اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه

واستكثر علم و شى ذنوبه واحد وكذلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كت صاحبه دون اصحابه حتى افتنه بها ولا تعاهد اسعهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا مضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمنعها الا كت صاحبه دون اصحابه حتى احول بينه وبين الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتا علم موسى ما يحذر به بنى ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم يايس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شئ احوف عندى منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتى وبيت ابنتى اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندى وانت سهمى الذى ارمى به فلا اخطى وانت موضع سرى وانت رسولى فى حاجتى فنصف جندى الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهى افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوى شهوتهم ليستكثروا من الوقاع كما يتناول بعض الناس ادوية يقوى المعدة لتعظم شهوتها للطعام ومثال ذلك الاكمن بلى بسباع ضارية وبهائم عادية فنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الام يريد الانسان الخلاص منها فان قلت فقد روى فى غرايب الحديث عن النبى صلى الله عليه واله قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرنى باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته تسع نسوة وجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتنعم اقول هذا الحديث من طريق الخاصة هكذا شكوت الى جبرئيل كثرة الازواج وامرنى بالهريسة وعلى هذا سقط السؤال قال والامر الثانى انه قد ينتهى هذه الشهوة ببعض الضلال والجهال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمة لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهى اشهى الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حيثما اتفق حيث اعتقد ان الشهوة لا تنقضى الا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة اين اتفق فتكتفى به وهذا لا يكتفى بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة محتالا لاجلها وما العشق الا سبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد يستولى على طائفة بحيث ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق

فى اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين فى العسر واليسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور واما اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازى نزوع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة مطيعة للعقل والشرع فى انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح وقال معاشر الشباب عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد فى ابتداء امره لا ينبغى ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه واله فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله ولا يقاس الملائكة بالحدادين وكيف يقاس غير رسول الله به وكان استغراقه بحب الله بحيث كان يخاف احتراق قلبه الى حد كان يخشى فى بعض الاحوال ان يسرى ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عائشة احيانا ويقول كلمينى يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه وقد كان له طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله فى مثل هذا فهو مغرور لان الافهام يقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزب فى الابتداء الا ان يقوى فى المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم ينقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره وتفرق همه وربما وقع فى بلية لا يطيقها اقول الحاجة الى النكاح فى الابتداء اكثر منها فى الانتهاء فينبغى لمن اراد المعرفة ان يتزوج تزوجا لا يشغله عنها كالمتعة ونحوها وقد مضى تحقيق هذه المباحث مفصلا فى كتاب اداب النكاح قال وزنا العين من كبائر الصغائر وهى تؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها فتنة وقال داود لابنه يا بنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدو الزنا قال النظرة والتمنى وقال الفضيل يقول ابليس هى قوسى القديمة وسهمى الذى

لا اخطابه يعنى النظرة وقال النبى م النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله
ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال م ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا
وفتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت من النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و
يحفظوا فروجهم وقال م لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما
البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشى والفم يزنى وزناه القبلة والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك
الفرج او يكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال النبى صلى الله
عليه واله احتجبا عنه فقلنا اوليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز
للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة فى الماتم والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على
المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم
لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينيه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى
به فان الشر فى الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر
بالشهوة الى وجه الصبى حرام بل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحى
لم يحل له النظر فان قلت كل ذى حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان
مكشوفة لا محالة فاقول قلت لست اعنى تفرقة العين فقط بل ينبغى ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة
بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها
فانه لا يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك لا يشتهى ملامسة الازهار
والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافى وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها ويدرك التفرقة
بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما
وجد ذلك الميل فى قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن وبين الاثواب المنقشة والسقوف
المزخرفة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون
وقال بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار كخوفى عليه من غلام امرد يجلس اليه
عن بعض السلف قال سيكون فى هذه الامة ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون
وصنف يعملون فاذن افة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له
ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت على شهوتى فى بدء ارادتى
فاكثرت الضجيج الى الله فرايت شخصا فى المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت اليه فوضع

يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى فاصبحت وقد زال ما بى وبقيت معافى سنة
ثم عاودنى واشتد فرايت شخصا فى المنام يخاطبنى فيما صدرى وجبينى ويقول ويحك كم تسال الله دفع
ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عنى وولد لى ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغى ان يترك
شرط الارادة فى ابتداء النكاح ودوامه اما فى ابتدائه فالنية الحسنة وفى دوامه فحسن الخلق وسداد
السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك فى اداب النكاح فلا نطول باعادته واما صدق
ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة المهر
وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة
بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغى ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول
والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة فى
دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى ابيها وقالت
قد تحيرت فى هذا الرجل انا فى منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء معى او قبلى اليه
وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها
من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغى ان يكون وان قدر على الترك فهو له اولى
اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك لا يشغله عن حاله كما روى ان
محمد بن سليمن الهاشمى يملك غلته ثمانين الف درهم فى كل يوم فكتب الى كبراء اهل البصرة وعلمائها
فى امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تبارك
قد ملكنى من غلة الدنيا فى كل يوم ثمانين الف درهم وليس يمضى الليالى والايام حتى اتمها مائة
الف درهم وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبينى الى ما سالت فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فان الزهد فى الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابى فهيئ زادك وقدم
لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقسموا تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت
واما انا فلو ان الله تعالى خولنى امثال الذى خولك واضعافه ما سرنى ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذا
اشارة الى ان كل ما يشغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده فى العزوبة خاليا عن
الشهوات بحيث لم يتشوش حاله فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به ودواء هذه الشهوات ثلث الجوع وغض
البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم ينفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذى يستاصل مادتها
فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان

من قلبها الا اتاه من قبل النساء. وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما من شيء اخوف عندي من النساء. وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة قال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني ابنته بمحضر من كان على درهمين او ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت افكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي حتى افطر به وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد فافكرت في كل انسان اسمه سعيد بالمدينة الا سعيد ابن المسيب فانه لم ير منذ اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا انا به فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لا ارسلت الي فاتيتك قال لا انت احق ان تؤتى فقلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء وقال بارك الله فيكما ولكما برحمته فانصرف فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شانك فقلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ امي الخبر فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثة ايام ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظ الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان بعد الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد السلام علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك منها شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم. قال عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء بارد والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح.

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها

قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر فيحصل بهذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله سبعة يظلهم الله يوم القيمة في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روى عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انك تعلم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فنأى بي في طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا وولدا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها عشرين ومائة دينار على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى قدرت عليها قالت اتق الله يا عبد الله لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من احب الناس الي وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء

الشهوة فعف وهرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير
من حيث انه قد يتهاون به ولا يعظم الخوف منه والافات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد
لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال ع لك الاولى وعليك الثانية اى النظرة وقال العلاء بن زياد
لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظرة تزرع فى القلب شهوة وقلما يخلو الانسان فى ترداداته عن وقوع
البصر الى النساء ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى ان يقرر على نفسه
ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل
له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ وتألم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتى حالتيه
عن معصية وتألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطا
عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق روى عن بكر بن عبد الله
المزنى ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها فى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها
عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لى ولكنى اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه
فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بنى اسرائيل فسأله
فقال ما لك فقال العطش فقال تعال ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لى
من عمل فادعو قال فانما ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى
القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذى دعوت
وانت الذى امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بامرك فاخبره بالقصة فقال الرسول التائب
من الله بمكان ليس لاحد من الناس مكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة
شاب متعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت
اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه
وهو يريد المسجد فقالت يا فتى اسمع منى كلمة اكلمك بها ثم اصنع ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت
له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع منى كلمة اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها
هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفى هذا جهالة منى
بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العباد الى مثل هذا منى والذى حملنى على ان لقيتك فى هذا الامر بنفسى
لمعرفتى ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد فى مثال القوارير ادنى شىء يعيبه وجملة
ما اكلمك به ان جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى امرى وامرك قال فمضى الشاب الى منزله فاراد

ان يصلى

ان يصلى فلم يعقل كيف يصلى فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة فى موضعها
فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان فى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى ايتها المرأة ان الله تبارك
وتعالى اذا عصى حلم فاذا عاد العبد فى المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة
تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا
فانى اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثوا الامم لصولة الجبار العزيز فانى والله
قد ضعفت عن اصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وان كان ما ذكرت حقا فانى ادلك على طبيب يداوى
الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصدى اليه على صدق المسألة وارجى اليه
فانى متشاغل عنك بقوله وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم و
لا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام
فوقفت على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا تراه فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان
الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدى الله تعالى وبكت بكاء شديدا وقالت اسأل الله الذى بيده مفاتيح
قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن على بموعظة احملها واوصنى بوصية اعمل
عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت الجارية وبكت بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت
بيتها واخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى بكاء
فقيل له مم بكاؤك وانت قد ايئستها من نفسك فيقول انى قد ذبحت طمعها منى فى اول امرها وجعلت
قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى وانا استحيى من الله ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده والحمد لله هذا آخر

كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء

ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان

والحمد لله اولا واخرا

كتاب آفات اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله
وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم به عما حواه
القلب وتعقله ويكشف سره الذى ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من

علم حصّله ونطق سهّله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله الذي
اكرمه وبجّله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وبيان فضله ودين سهّله صلى الله عليه واصحابه
ومن قبله ما كبّره عبد وهلّله **اما بعد** فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه
صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان
ثم انه ما من موجود او معدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول
له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل
الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان ان اهمله مرخى العنان سلك
به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم
الا حصايد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا و
الاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد في اطلاق اللسان فيه او يذم غامض
عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في
تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر عن مصايده
وحبايله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع
افات اللسان ونذكره واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد
ما ورد من الاخبار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر افات الكلام فيما لا يعني ثم آفة
فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام
بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به العادة المتفاصحين المدعين
للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان ثم آفة الغناء
والشعر ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب
في القول واليمين وغوايله ثم بيان ما يرخص فيه من الكذب ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
ثم بيان آفة الغيبة وحدها ثم بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة
ثم بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب ثم بيان الاعذار المرخصة
في الغيبة ثم بيان كفارة الغيبة ثم آفة النميمة وما يجب في ردها ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين
المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقايق الخطاء في فحوى الكلام

لاسيما

لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم آفة السؤال اعني سؤال العوام عن صفات
الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وما يتعلق بذلك وهي تمام الافات وجملتها عشرون
آفة **بيان** عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك
مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلعم من صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة
وحزم وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه و
قال عقبة بن عامر قلت لرسول الله صلعم ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يتكفل لي بما بين لحييه
ورجليه اتكفل له بالجنة وقال من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن و
الذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر
افات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار
قال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد
البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك
امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت لرسول الله
حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وقال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه
ثم قال هذا وقال انس بن مالك قال رسول الله صلعم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه
حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال صلعم من سره ان يسلم فليلزم
وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلعم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تشكو
اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن ابن مسعود انه كان على
الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واصمت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شيء
تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلعم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن
اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اوصني قال
اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار

بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت
وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت
وقال الحسن ذكر لنا ان رسول الله قال رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا
لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع على ذلك قال فلا تنطقوا
الا بخير وقال سليمان بن داود عليه السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن براء بن عازب
قال جاء اعرابي الى رسول الله فقال دلني على عمل ادخل به الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمان
وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال لا تخزن لسانك الا من خير
فانك بذلك تغلب الشيطان وقال ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول وقال
اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله
الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في
الباطل وقال النبي ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه
وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى العبادة عشرة
اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار عن الناس وقال نبينا صلى الله عليه واله من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به اقول روي في مصباح
الشريعة عن مولانا الصادق عليه السلام انه قال الصمت شعار المحققين بحقايق ما سبق وجف به القلم
وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والاخرة وفيه رضا الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل
قد جعله الله سترا على الجاهل وزينا للعالم ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة
وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب لسانك عما لك منه بد لا سيما اذا لم
تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله تعالى وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه
فيكتب ما يتكلم به ويحاسب نفسه عشية ما له وما عليه ويقول اواه نجا الصامتون وبقينا وكان
بعض اصحاب رسول الله يضع حصاة في فمه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجه الله اخرجها
فان كثيرا من اصحابه كانوا يتنفسون تنفس الغرقى ويتكلمون شبه المرضى وانما كان سبب هلاك الخلق و
نجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده وانه من اخلاق الانبياء وشعار الاصفياء ومن علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطايف الصمت وائتمن على
خزاينه كان كلامه وصمته كله عبادة ولم يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وفي الكتاب المذكور
عنه عليه السلام ايضا انه قال الكلام اظهار ما في قلب المرء من الصفا والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين

علي بن ابي طالب عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله
وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة
واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل
لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك
بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد
واسرع عقوبة عند الله تعالى واشدها علامة واعجلها سامة عند الخلق منه واللسان ترجمان الضمير و
صاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول
ما كان منه لغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان قال بعض الحكماء احفظ لسانك عن خبيث
الكلام وفي غيره لا تسكت ان استطعت واما السكينة فهو هيئة حسنة رفيعة من الله تعالى لاهلها
وهم امناء اسراره في ارضه فصل قال ابو حامد واما الاثار قال طاوس لساني سبع ان اطلقته
اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة ال داود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على
شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد
فان من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قلل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم
الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار
يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من احد يكون لسانه
منه على بال الا رايت صلاح ذلك في ساير عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت
فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع
اربعة ملوك على ذم الكلام ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت و
لا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني
وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل
اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمد لم يتكلم بعد العشاء الاخرة اربعين عاما وقيل ما تكلم
الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه
عند المساء فان قلت هذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سبب كثرة افات اللسان من الخطاء والكذب
والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل و
التحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان وهي

حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقتدر على ان يلزم اللسان
بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سنأتي بتفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت
سلامة فلذلك عظم فضل هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر و
السلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ويدلك على فضل لزوم الصمت هو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض و
قسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه و
كذلك ما فيه ضرر ومنفعة والمنفعة لا تفي بالضرر واما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال
به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا
الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقايق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام
امتزاجا يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقايق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا
ان ما ذكره رسول الله صلعم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم
ولا يعرف ما تحت كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها
ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الان نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ
قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة الآفة الاولى
الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة
والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم
بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي
هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند
الفكر ما يعظم جدواه اذ لو هللت الله او سبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة
ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال
من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر من حيث فاته الربح العظيم بذكر الله
فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا اعتبارا ونطقه الا ذكرا هكذا قاله النبي صلى الله عليه واله
بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا
قال النبي صلعم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا
يوم احد ووجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك يا بني الجنة

يا بني

يا بني فقال النبي صلعم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلعم فقد
كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه فقال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك
بالجنة يا كعب فقال من هذه المتألية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا
قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهنا الجنة لمن لا يحاسب ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب
عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب
قال قال رسول الله صلعم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل رجل اسمه عبد الله بن سلام
فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلعم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال
اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلعم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن
الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم
فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم
في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان السفيه
يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك
عنه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل
عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه
ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال آخر لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك
واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر تتعلم من فجوره ولا تطلعه
على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر
في حال او مآل مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك
من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو
سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية
نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك
كله مضيع زمانك فانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسأل غيرك عما لا يعنيك وانت بالسؤال
مضيع وقتك وقد الجأت ايضا صاحبك بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه
آفة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسأل غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا

عبادته فيدخل عليها الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر والاعبادة السر تفضل
عبادة الجهر بسبعين درجة وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياه وتاذى به وان احتال لمدافعة
الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة
الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما
يحدث به غيرك فتقول ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين وربما يمنع مانع
من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسال عن مسائل
لا حاجة بك اليها والمسؤول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم
بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على
داود وهو يسرد الدرع ولم يكن راها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة
فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسها فقال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل
فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل كان قد تردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك
ولم يسال فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة
بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان الموت بين يديه
وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله
وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما علاجه من حيث العمل فالعزلة وان يضع في فيه حجرا وان
يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير
المعتزل شديد جدا **الافة الثانية** فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني و
الزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه و
يقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة وهو
مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر وقال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول
الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسول الله او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك في معيشتك
التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت عليه صحيفته التي املاها صدر نهاره
وكان ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة انه قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه

اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله
في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه واعلم ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم
محصور في كتاب الله تعالى قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد
قال صلى الله عليه وآله طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس
الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول
الله في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا
وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق
في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول
الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه
فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب عليه كذبا **اقول** قد جاء من طريق الخاصة الرخصة في مثل هذه
الكذبة وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت
واكثر او اقل وروي ان سليمن بن داود عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول و
يخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق رافعا راسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز راسه فسال
سليمن فقال عجبت من الملائكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون
وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر يرسل لسانه رسلا
رسلا وقال عمر بن دينار تكلم رجل عند النبي ص فاكثر فقال النبي ص كم دون لسانك من باب فقال شفتاي
واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال في رجل اثنى عليه فاستغرق في الكلام
ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل في لسان وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان
كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من
الاستماع وان من وجد من يكفيه فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان
ورأى ابو الدرداء امراة سليطة اللسان فقال لو كانت هذه خرساء لكان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في
خصلتين فضول المال وفضول الكلام اي ما لا يعنيه فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه
وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني **الافة الثالثة** الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايات احوال
النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة
فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا

تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا بد من ان يغلب عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمة ما تهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في الوصول اليها من غير حاجة دعت الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان الحديث في ذلك كله خوض في الباطل **الآفة الرابعة** المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال ذروا المراء فانه لا يفهم حكمته ولا يؤمن فتنته وقال من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه عبادة الاوثان وشرب الخمر وملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدال وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء والجدال وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن ابي سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال ممارياً وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخا لك عن قلى قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم الجدال

والمراء

والمراء اكثر وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة تكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او من جهة اللغة او العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذا وكذا واما في قصده بان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت عنه او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن فاما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه من جهة القدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروهة عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر له خطاءه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان واما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويوذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما بالمراء والجدال فالمواظب عليهما مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه واتحاده واما علاجه فبان يكسر الكبرياء الباعث على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سنذكر ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه قيل لداود الطائي لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما قال لان من يسمع من غيره خطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه

الصبر عنه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة
لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا
اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة
واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة يخيل اليه انه حيلة منه في
التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه
بالجدل فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله رحم الله من كف لسانه عن اهل
القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان عليه السلم يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود
المجادلة مدة واثنى عليه ووجه لنفسه بسببها عزا وقبولا يقوى فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها
نزوعا فاذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه
الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها الآفة الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء
والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار
مزيد الكياسة والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام
ليستوفي به مالا او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا
على كلام سبق فقد قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان ابغض الرجال الى الله الالد
الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال
بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر
ابن عبد الله بن ابي بكر فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا
واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل
للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك ابدا قال عرفت انه حق قلت لا
ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من
الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول
الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بالحق بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف الحق في اي جانب
هو يكون يخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد
في الخصومة من اي جانب هو يكون على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة
كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد

بقهر

بقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال ومن الناس من يصرح به فيقول انما قصدي
عناده وكسر عرضه واني اذا اخذت عنه هذا المال رميته في البئر ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد و
اللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج
على الحاجة من غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط
اللسان في الخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين
المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطيل اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشوش خاطره حتى انه في صلوته يشتغل بمحاجة خصمه فلا
يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدا كل شر وكذلك الجدال والمراء فينبغي ان لا يفتح بابه الا لضرورة
وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب
في خصومته سلم عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه اذا كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه
فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد
فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن
والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله
او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال رسول الله يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقال الله
وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا لان
الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت
عليه وقال انس قال رسول الله ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها
الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عم مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول
هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا ص الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو
بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقيل البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين
لا يسخط ربك الا انك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال
بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح وهذا كله في فضل كلام الطيب وتضاده
الخصومة والمراء واللجاج والجدل فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر
للصدر الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات و
المقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت

الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وآله إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني
مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقالت فاطمة قال رسول الله شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم
يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وآله ألا هلك المتنطعون ثلاث
مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه أيضاً كل سجع متكلف
وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات إذ قضى رسول الله بغرة الجنين
فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال رسول
الله أسجعاً كسجع الكهان فأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه فينبغي أن يقتصر في كل شيء على
مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ
الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب لأن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها و
لرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به وأما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق
والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك
مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة الثامنة** الفحش والسب وبذاء اللسان وهو منهي عنه مذموم ومصدره
الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وآله إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى
رسول الله أن يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون و
تؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وآله ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي
وقال صلى الله عليه وآله الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها وقال صلى الله عليه وآله أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون
بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا
من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال يا عائشة
لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وآله البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل أن يكون المراد
بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ويحتمل
أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه
إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره
مقروناً بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه فإن الأولى في مثله الإغماض و
التغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وآله إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق وقال جابر بن سمرة
كنت جالساً عند رسول الله وأبي أمامي فقال صلى الله عليه وآله إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن

حد الفحش

الناس إسلاماً أحسنهم أخلاقاً فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات
الصريحة ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها
فيه وأهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها
ويتعلق بها قال ابن عباس إن الله حيي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول و
الصحبة كنايات عن الجماع الوقاع وليست بفاحشة وهنا عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها
في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش بعضها أفحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد وأوائلها مكروهة
وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول
والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فإن هذا أيضاً مما يخفى فكلما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي
أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك
كذا بل يقال قيل في الحجرة أو قيل من وراء الستر كذا أو قالت أم الأولاد كذا والتلطف في هذه الألفاظ
محمود والتصريح يفضي إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص
والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح في ذلك داخل في الفحش و
جميع ذلك من آفات اللسان والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب قال أعرابي لرسول الله أوصني فقال عليك بتقوى الله
وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً
من خلق الله تعالى قال فما سببت شيئاً بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني
وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال المتسابان
ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وآله سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وآله ملعون من سب
والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه فقال
يسب الرجل فيسب أباه فيسب الآخر **أقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله لعرض الخيل فمر بقبر أبي أحيحة فقال أبو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فوالله
إن كان ليصد عن سبيل الله ويكذب رسول الله فقال خالد ابنه بل لعن الله أبا قحافة فوالله ما كان يقري
الضيف ولا يقاتل العدو فلعن الله أهونهما على العشيرة فقداً فألقى رسول الله خطام راحلته على غاربها
ثم قال إذا أنتم تناولتم المشركين فعموا ولا تخصوا ثم وقف فعرضت عليه الخيل ثم ساق الحديث إلى أن ذكر أنها
لعنهم رسول الله وعد منهم من لعن أبو بكر قال فقال رجل يا رسول الله أبو جهل لعن أبو بكر فقال نعم يلعن

ابآء الرجال وامهاتهم فيلعنون ابويه ويدخله قوله ومن يلعن ابويه ابو بكر بن ابي قحافه لانه لعن ابا
اباجهم فلعن ابنه اباه ومعلوم ان من لعنه رسول الله صلى الله عليه واله لايصلح للخلافة الآفة الثالث
اللعن اما الحيوان او الجماد او الانسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه واله المؤمن ليس بلعان وقال
لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الاحق عليهم القول وقال
عمران بن حصين بينما رسول الله في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال
خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد وقال ابو
الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وقال ان اللعانين لايكونون شفعاء ولا شهداء
يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله على بعير فلعن بعيره فقال النبي يا عبد الله لاتسر معنا عليه
ملعون قال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من
يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهي الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان
يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا عظيما وانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع
عليه احد غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر و
البدعة والفسق وللعن في كل واحدة ثلثة مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين
والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف اخص منها كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس
وعلى القدرية والخوارج وعلى الزنادقة والظلمة واكل الربوا وكل ذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة
خطر لان معرفة البدعة غامضة فما لم يجئ فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي
المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله
وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنه كقولك فرعون لعنه الله
وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك
زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا اقول
قد ثبت عن اهل البيت عليهم السلم جواز لعن المتأمرين على امير المؤمنين عليه السلم ظلما وعدوانا والمتسمين بخلفاء
رسول الله زورا وبهتانا ومن والاهم على ذلك من اعوانهم وانصارهم باشخاصهم واعيانهم وما ثبت
عنهم فقد ثبت عن الله وعن رسوله عندنا وعلى هذا فقد ثبت جواز لعنهم لنا باشخاصهم على ما ذكره
ابو حامد ثم اقول قد تكرر ذكر اللعن في كلام الله تعالى وكلام رسوله وكلام اهل البيت على وجه افاد انه من
جملة العبادات المقربة الى الله سبحانه وانه يجوز ان ينسب الى الشخص المعين اذا عرف بكفر او نفاق او فسوق قال

في غائلة التحرز عن اللعن

ثلث مراتب لعن

اسمه

الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين وهذا في معنى الامر وقال الله تعالى اولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون وجعله الله وسيلة الى اثبات دعوى النبوة وحجة على الجاحدين لها في المباهلة مع نصارى
نجران حيث قال سبحانه ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ولجاوا الى الصلح وبذل الجزية ولم يجدوا
الى ترداد القول سبيلا وكذا اللعان بين الزوجين سقط الحد عنهما وموجب لنفي الولد بحيث لاينسب الى
الملاعن ابدا وربما اوجب الحد على المراة اذا نكلت من غير شهود ولا بينة وقد روي ان النبي صلى الله عليه واله
قال لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال في ابي سفيان حين هجاه بالف بيت اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي
لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة الى غير ذلك وقد لعن امير المؤمنين عليه السلم جماعة وروي انه كان يقنت في
الصلوة المفروضة بلعن معوية وعمرو بن العاص وابي موسى وابي اعور السلمي مع انه عليه السلم احلم الناس
عن ذنب واعظم قدرا من ان يحرج نفسه النفيسة ذلة بشر فلولا انه كان يرى لعنهم من اقرب القربات لما
كان يتخير محله في الصلوات المفروضات وقد روى العامة ان عائشة لعنت عثمان ولعنها وخرجت غضبى
عليه الى مكة وقد روى اصحابنا ان امير المؤمنين عليه السلم كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش
يعني بهما ابا بكر وعمر وقد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب ان الصادق عليه السلم كان ينصرف من
الصلوة بلعن اربعة رجال منهم ابو بكر وعمر ومن نظر الى ما وقع للحسن عليه السلام مع معوية واصحابه
وكيف لعنهم وقذفهم بالفحش على ما رواه العامة وتتبع ما ورد من الاثار عن الائمة الاطهار عليهم السلم
في الكافي للكليني ره وغيره من كتب الحديث والادعية في لعنهم من يستحق اللعن من رؤساء الضلال
والتصريح باسماء هؤلاء علم ان ذلك من شعب الدين وشعائره بحيث لا يختلجه شك ولا يعتريه ريبة
وفي الكافي عن ابي الحسن موسى عليه السلم انه قال لعن الله ابا حنيفة كان يقول قال علي وقلت وفي رواية قالت
الصحابة وقلت واما حديث لاتكونوا اللعانين فلعله نهي عن ان يكون السب خلقا لهم بسبب المبالغة فيه
والافراط في ارتكابه بحيث يلعنون كل احد كما يدل عليه قوله لعانين لانه نهي عن لعن المستحقين والا
لقال لاتكونوا لاعنين فان بينهما فرقا يعلمه من احاط بدقايق لسان العرب واما ما روي ان امير المؤمنين عم
نهى عن لعن اهل الشام فان صح فلعله عليه السلم كان يرجو اسلامهم ورجوعهم اليه كما هو شان الرئيس
المشفق على الرعية فلذلك قال ولكن قولوا اللهم اصلح ذات بيننا وهذا قريب من قوله تعالى في قصة فرعون
فقولا له قولا لينا واما ما ذكره ابو حامد في هذا الكلام في لعن يزيد لعنه الله فينبغي ان يطوى ولا يروى
قال ولايجوز ان يروى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق قال لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا
ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان لاصحح الله جسمه ولا سلمه الله

في جواز لعن الكفار ولو كان مازحا

وما يجرى مجراه فكل ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة
يوم القيمة الآفة الخامسة الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما لا يحل فلا نعيده اقول
حاصل ما ذكره هناك ما اورده فى اخر ذلك الكتاب من ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا
وقد يكون مستحبا وقد يكون مباحا اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبتهم شهوة الدنيا فلا
يحرك منهم الا ما هو غالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين
ولكن يتخذه عادة له فى اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت
الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة هذا كلامه
وفى الكافى عن الصادق عليه السلام فى قول الله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الغناء
وعنه عليه السلام فى قوله تعالى لا يشهدون الزور قال الغناء وعنه ع قال الغناء عش النفاق وعن الباقر
عليه السلام الغناء مما وعد الله عليه النار وتلا هذه ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
وعنه ع اذا ميز الله بين الحق والباطل فاين يكون الغناء وفى التهذيب عن الصادق عليه السلام انه سئل
عن بيع جوارى المغنيات فقال شراؤهن وبيعهن حرام وتعليمهن كفر واستماعهن نفاق وعنه عليه السلام
المغنية ملعونة ملعون من اكل كسبها وعنه عليه السلام اجر المغنية التى تزف العرائس ليس به باس ليست
بالتى يدخل عليها الرجال وعن الباقر عليه السلام انه سئل عن كسب المغنيات فقال التى يدخل عليها الرجال
حرام والتى تدعى الى الاعراس ليس به باس وهو قول الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله وفى كتاب من لا يحضره الفقيه سأل رجل على بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت فقال
ما عليك لو اشتريتها فذكرتك الجنة يعنى بقراءة القران والزهد والفضائل التى ليست بغناء واما
الغناء فمحظور انتهى وفى الكافى عن الباقر عليه السلام قال رجّع بالقران صوتك فان الله يحب الصوت الحسن
يرجّع به ترجيعا وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله اقرؤوا القران بالحان العرب
واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق والكبائر فانه سيجئ بعدى اقوام يرجعون القران ترجيع الغناء و
النوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم وقد ذكرنا فى كتاب اداب
تلاوة القران من ربع العبادات اخبارا اخر فى هذا الباب ويستفاد من مجموعها اختصاص حرمة الغناء
وما يتعلق به من الاستماع والاجر والتعليم وغيرها بما كان على النحو المتعارف فى زمن بنى امية وبنى
العباس من دخول الرجال عليهن وتكلمهن بالاباطيل ولعبهن بالملاهى والعيدان والقضيب واما ما سوى
ذلك فمندوب اليه كالترجيع بالقران وما يكون منه وسيلة الى ذكر الله تعالى والدار الاخرة واما مباح

او مكروه

او مكروه كما ذكره ابو حامد ولا يبعد ان يختلف الحكم فى بعض افراده بالاضافة الى تفاوت درجات الناس
فانه لا يليق بذوى المروات ما يليق بمن دونهم قال ابو حامد واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه
قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله ص لان يمتلى بطن احدكم قيحا ودما حتى يريه خير له من
ان يمتلى شعرا وسئل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر
وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال ص ان من الشعر لحكمة نعم مقصود
الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب وقد امر رسول الله ص حسانا بهجو الكفار والتوسع
فى المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول حبيب الشاعر ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا
كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت
بين يدى رسول الله ص اشعار لو تتبعت لوجدت فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عائشة كان رسول
الله ص يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله ص فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد
نورا قالت فبهت فنظر الىّ فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك
يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو راك ابو كبير الهذلى لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة
ابو كبير الهذلى فقلت يقول ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل واذا نظرت
الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله ص ما كان بيده وقام الىّ
فقبل ما بين عينى وقال جزاك الله خيرا ما سررت منى كسرورى منك اليوم ولما قسم الغنائم امر
للعباس بن مرداس باربع قلائص من الابل فانبعث العباس يشكو فى شعر له وفى اخره وما كان
بدر ولا حابس يفوقان مرداس فى المجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع وقد
كنت فى الحرب ذا تدرء فلم اعط شيئا ولم امنع فقال ص اقطعوا عنى لسانه فذهب ابو بكر حتى اختار
مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله ص اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول
انت وامى انى لاجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم
رسول الله ص وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين اقول لم يبين ابو حامد معنى الشعر و
انه على اى كلام يطلق كما يبين نظائره من الافات فاعلم ان الشعر يطلق على معنيين احدهما الكلام
الموزون المقفى سواء كان حقا او باطلا وعليه يحمل حديث ان من الشعر لحكمة وحديث ان لله كنوزا
تحت عرشه ومفاتيحه فى السنة الشعراء وكذا ما ورد فى مدح الشعر ونفى الباس عنه كما سنذكره

فى الشعر

فان المراد منه ما كان حقا من الموزون المقفى ليس فيه تمويه والمعنى الثاني الكلام المشتمل على التخيلات
الكاذبة والتمويهات المزخرفة التي لا اصل لها ولا حقيقة سواء كان لها وزن وقافية ام لا وعليه يحمل
ما ورد في ذمه وهو المراد من قول قريش حيث نسبوا القرآن الى الشعر وقالوا للنبي صلى الله عليه وآله انه شاعر فان القرآن
ليس بموزون ومن هذا القبيل مجادلات المتكلمين في المذاهب وشبهاتهم المزخرفة المضلة قال الباقر
عليه السلام في قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون هل رأيت شاعرا يتبعه احد انما هم قوم تفقهوا لغير الله فضلوا
واضلوا وقال بعض علمائنا انها نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا امر الله هل رأيتم شاعرا قط يتبعه
احد وانما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فيتبعهم الناس على ذلك قال الم تر انهم في كل واد يهيمون
يعني يناظرون بالاباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب يذهبون يعني بهم المغيرين دين الله
وانهم يقولون ما لا يفعلون يعني يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون ويأمرون
بالمعروف ولا يعملون قال وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم فاما ما ورد في مدح الشعر بالمعنى الاول
ما كان منه حقا من طريق الخاصة فمنه ما رواه الصدوق في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده
عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال قال ابو عبد الله عليه السلام من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا
في الجنة وباسناده قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس وباسناده عن الحسن بن
الجهم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما قال فينا مؤمن شعرا يمدحنا به الا بنى الله له مدينة في الجنة
اوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام
انه سأله رجل عن اول من قال الشعر فقال آدم قال وما كان شعره قال لما انزل الى الارض من
السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض
مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح الحديث وفي التهذيب باسناده عن خلف
بن حماد عن الرضا عليه السلام قال قلت ان اصحابنا يروون عن آبائك ان الشعر ليلة الجمعة ويوم الجمعة
وفي شهر رمضان وفي الليل مكروه وقد هممت ان ارثي ابا الحسن عليه السلام وهذا شهر رمضان فقال ارث ابا الحسن
في ليلة الجمعة وفي شهر رمضان وفي الليل وفي سائر الايام فان الله تعالى يكافئك على ذلك وفي الصحيح عن
علي بن يقطين عن الكاظم عليه السلام قال سألته عن انشاد الشعر في الطواف فقال ما كان من الشعر لا بأس
به فلا بأس به وفي الصحيح عن علي بن جعفر عن اخيه الكاظم عليه السلام قال سألته عن الشعر أيصلح ان ينشد
في المسجد قال لا بأس واما ما ورد في ذم الشعر بالمعنى الاول ما كان باطلا فمنه ما رواه جعفر بن ابراهيم في
الصحيح عن زين العابدين قال قال رسول الله من سمعتموه ينشد الشعر في المسجد فقولوا فض الله فاك

انما

انما نصبت المساجد للقرآن فانه محمول على الشعر الباطل وكذا ما رواه سماعة في الموثق قال سألته عن نشيد
الشعر هل ينقض الوضوء او ظلم الرجل صاحبه او الكذب فقال نعم الا ان يكون شعرا يصدق فيه او يكون
يسيرا من الشعر الابيات الثلاثة والاربعة فاما ان يكثر من الشعر الباطل فهو ينقض الوضوء ولعل المراد
نقض ثواب الوضوء به واستحباب اعادته لا وجوب ذلك واما ما رواه حماد بن عثمان وغيره في الصحيح
عن الصادق عليه السلام قال لا ينشد الشعر بليل ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار فقال له اسماعيل
يا ابتاه وان كان فينا قال وان كان فينا واما ما رواه حماد ايضا في الصحيح عنه عليه السلام قال يكره رواية
الشعر للصائم والمحرم وفي الحرم وفي يوم الجمعة وان يروى بالليل قال قلت وان كان شعر حق قال وان
كان شعر حق فمحمول على الموزون المشتمل على التخيلات المزخرفة الكاذبة وذلك لان كون موضوعه
حقا لحكمة او موعظة او كونه فيهم لا يخرجه عن المبالغات الشعرية الكاذبة فان لم يكن مشتملا على شيء
منها فلا بأس بالوزن **الآفة العاشرة** المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال
رسول الله لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او
تجهيلا واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط
فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة
عليه مذموم واما الافراط منه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك يميت القلب ويورث الضغينة
في بعض الاحوال ويسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله انه
قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح
كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال رسول الله ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيضحك بها جلساؤه
يهوي بها ابعد من الثريا وقال بعضهم من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من
شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه
مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم
قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها فقال لا
قال ففيم الضحك قال فما رؤي ضاحكا حتى مات ونظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان
هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وقال الآخر لعله يضحك
ولعل اكفانه قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي
فهذه آفات الضحك فالمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع فيه

الصوت كذلك كان يضحك رسول الله وقال القاسم مولى معوية اقبل اعرابي الى رسول الله على قلوص
له صعب فسلم فجعل كلما دنى الى النبي ليساله نفر به فجعل اصحاب رسول الله يضحكون به فعل ذلك
ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم
ملأ من دمه واما اذا ادى المزاح الى اسقاط الوقار فقد قيل من مزح استخف به وقال بعضهم لابنه يا
بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنى فيجتري عليك وقال اخر اياكم والممازحة فانها تورث
الضغينة وتجر القطيعة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال
قيل اتدرون لما سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح
ويقال المزاح مسلبة للبها ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله واصحابه فكيف
ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا
تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان
المزاح حرفة ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير
كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا ثم روى ابو هريرة انهم
قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن
عباس فقال اما كان رسول الله يمزح قال نعم فقال الرجل فما كان مزاحه انه كسى ذات يوم امراة من
نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحلقي واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروي ان
النبي كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي فقال لها لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال
انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة
يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي فقالت ان زوجي يدعوك فقال من هو الذي بعينه بياض فقالت
لا والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال ما من احد الا بعينه بياض واراد
به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال نحملك على ابن
البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال رسول الله هل من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به وروى علقمة
عن ابي سلمان رسول الله كان يدلع لسانه للحسين بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له وقال عيينة بن بدر
الفزاري والله ليكون لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال رسول الله ان من لا يرحم لا
يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله معالجة لضعف قلوبهم
من غير ميل الى هزل فقال لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق

الاخر

الاخر فتبسم رسول الله قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى
نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله فقال يا ابا عبد الله عليه السلام مالك مع النسوة
فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرد منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة
وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني
انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت
اتفرد منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد ذلك قال قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم
اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى
به الى النبي فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة
لعنك الله فقال النبي لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة
الا اشترى منها ثم جاء به الى رسول الله ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان
بثمنه جاء به الى النبي وقال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله اولم تهده لنا فيقول
يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله ويامر لصاحبه بثمنه فهذه
مطايبات مباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت
للقلب **الآفة الحادية عشر** السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من
قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص على
وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
بحضرة المستهزئ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة حكيت انسانا فقال ما احب اني
حكيت انسانا وان لي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك على
الناس من الجرائم والذنوب عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة
وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم
هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه
فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله

من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة
به والاستصغار له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك
وهذا انما يحرم في حق من يتاذى فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية من جملة
المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم منه استصغار يتاذى به المستهزئ به لما فيه من
التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت
مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من العيوب
فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها والمذموم امثالها **الآفة الثانية عشر** افشاء السر وهو
منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله ص اذا حدث الرجل
الحديث ثم التفت فهي امانة وقال مطلق الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك
وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة **الآفة الثالثة عشر** الوعد الكاذب فان اللسان سباق
الى الوعد ثم ان النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال تعالى يا
ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال ص العدة دين وقال ص العدة عطية وقال الواى مثل الدين او افضل
والواى الوعد وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقال انه
واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره **اقول** ومن طريق الخاصة عن
الصادق عليه السلام انما سمي اسمعيل صادق الوعد لانه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة
فسماه الله صادق الوعد ثم ان الرجل اتاه بعد ذلك فقال له اسمعيل ما زلت منتظرا لك قال
ابو حامد وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي ص قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي
والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلث انتظرك
وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي
تجيء وكان رسول الله ص اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو
الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا
يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله ص ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمر اربع من كن فيه كان منافقا
ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء فاما من عزم على الوفاء

ومن

افشاء السر والوعد الكاذب والكذب

وعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة
النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين
وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله ص تطلب منه خادما وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي يا رسول الله
في يدي فذكر موعده لابي الهيثم وجعل يقول كيف موعدي لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من وعده
له مع انها كانت تدير الرحا بيديها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا يقسم
غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت
فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال رسول الله ص هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة
موسى التي دلت على عظام يوسف كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني
شابة وادخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اشح من صاحب الثمانين
والراعي وقد قال ص ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه
وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **اقول** قد سبق جواز خلف وعد النساء والصبيان اذا وعدوا لتطييب
نفوسهن **الآفة الرابعة عشر** الكذب في القول واليمين وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال ص
كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله
لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله ص برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان
يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها
احدهما فقال اوجب احدهما الاثم والكفارة وقال النبي ص الكذب ينقص الرزق وقال التجار هم الفجار قيل
يا رسول الله اليس قد احل الله البيع فقال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال ص ثلثة لا
يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره
وقال ص ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال
ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلثة يحبهم الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله
عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان مع قوم
في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه وثلثة
يشنأهم الله التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال ص ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به
القوم ويل له ويل له وقال ص رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر

جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة
وعن عبد الله بن جراد انه سأل النبي ص فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا رسول الله هل يكذب المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله ص فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال
ابو سعيد سمعت رسول الله ص يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب
وقال ص ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل
مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله ص الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله
تعال اعطك فقال رسول الله ص وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة
وقال ص لو افاء الله تعالى على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال
وكان متكيا الا اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال
ابن عمر قال النبي ص ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال النبي ص
تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا
يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال ص ان للشيطان كحلا
ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وقال ص من حدث بحديث وهو
يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله
يوم يلقاه وهو عليه غضبان ويروى ان النبي ص رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه السلم على كل خصلة
يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة ما كان من خلق اشد عند رسول الله ص من
الكذب ولقد كان رسول الله ص يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث
لله تعالى منها توبة وقال موسى ع يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه
وقال لقمان لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال ص في مدح الصدق
اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال معاذ
قال رسول الله ص اني اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث واداء الامانة ووفاء العهد وبذل الطعام وخفض
الجناح وقال علي عليه السلم اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال مالك بن دينار
قرأت في بعض الكتب ما من خطيب الا ويعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت
شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني اتركه انفة

بيان

بيان ما رخص فيه من الكذب اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب وعلى
غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره
ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا
كما لو كان في الصدق قتل نفس بغير حق فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن
التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق
فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة
دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان
لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب مباح الا
انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه
والى ما لا يقتصر فيه على حد الواجب ومقدار الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة
والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت سمعت رسول الله ص لا يرخص في شيء من الكذب
الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته
والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بكذاب من اصلح بين اثنين
فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء بنت يزيد ان رسول الله ص قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل
كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله
كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الآخر
فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي ص فقال يا ابا
كاهل اصلح بين الناس ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي ص اكذب اهلي قال لا خير في الكذب
قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وقال النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان
يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها وقال
علي عليه السلم اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه
واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها
اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما له فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه
السلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكرها ويقول ما زنيت ولا شربت وقال

قال رسول الله من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة
اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان
يسئل عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل
واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها
او يعتذر الى انسان بالكذب وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه
ان الكذب محذور ولكن ان صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب
وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما
وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح بالضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة
مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب
ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض
غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات
المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة
الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله قالت ان لي ضرة وانا اتكثر من زوجي
بما لا يفعل اضارها بذلك فهل لي فيه شيء فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال النبي
من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا
فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه
فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان
لا يرغب في المكتب الا بوعد ووعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة
ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد
الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما
يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر ليعلم ان المقصود الذي كذب له
هل هو اهم في الشرع من الصدق او لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما يؤدي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في
فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال من كذب

عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة ههنا اذ في الصدق مندوحة عن
الكذب ففيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط
وقعها وما هو جديد على الاسماع فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب
على رسول الله وعلى الله ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب
على رسول الله من الكبائر التي لا يقاومها شيء بيان الحذر من الكذب بالمعاريض قد نقل عن السلف
ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن ابن عباس وغيره اما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب وانما
ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح
جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض
فقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت
ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام
وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارأيت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق وكان
ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكره قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس ههنا وهذا
كله في موضع الحاجة واما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا وهو
مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي
ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين فقال يا بني اتق
الكذب اياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة
وهو غرض باطل فلا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله لا تدخل
الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير واما الكذب الصريح كما يعتاده الناس من
مداعبة الحمقاء بتغريرهم بان امرأة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب فهو
حرام وان لم يكن الا مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه وقال رسول الله
لا يستكمل المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما قوله ان الرجل
ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض
المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك
مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا
وان طلبت مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان

بالمبالغة فيها الخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه
وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة
التي هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن
فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وآله خذي منه قالت فاخذته
على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت
يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه يعد ذلك كذبا قال ان الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة
كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا
سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب
وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه من مراقبة اهل الورع ومن تركها انسل لسانه عن اختياره
فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف
انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان
يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم
وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه
او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وآله من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد بين
شعيرتين **الآفة الخامسة عشر** الغيبة والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع
وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة وقال ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله كل المسلم على المسلم
حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال لا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وآله
اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر
له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم
فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليمان بن جابر
اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك
في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم

فانه

فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته واوحى الله الى موسى ع
من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس
امر النبي ص الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء
فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لافطر فيأذن له والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله
فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحيان ان تأتياك فأذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده
فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب
فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم
فرجع الى النبي ص فاخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه
لما اعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي ص
ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما
احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال
انس خطبنا رسول الله ص فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله
في الخطيئة من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وآله فاتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال اما انهما ليعذبان في كبيرة اما احدهما فكان
يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يتنزه عن بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل
كسرة فغرست على قبر فقال النبي ص اما انه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول
الله صلى الله عليه وآله ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي ص
معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه
وسمع علي بن الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار وعن مجاهد في
قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة قال الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وكان الصحابة
يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال
بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال بعضهم يبصر احدكم القذى
في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وقال آخر يا ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب
الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك واذا فعلت ذلك كان شغلك

فى خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون
على جيفة كلب فقال عيسى ع ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على ان لا يذكر
شئ من خلق الله الا احسنه اقول قال بعض علمائنا انه ليس المقتضى لما قاله عيسى ع كون كلام الحواريين
غيبة بل الوجه فيه ان نتن الجيفة ونحوه مما لا يلايم الطبع غير مستند الى فعل من يحسن انكار فعله كما ان
الحواريين ظاهر فى الانكار كما لا يخفى وكان عيسى ع نظر الى ان الامور الملايمة وغيرها مما هو من هذا القبيل
كلها من فعل الله تعالى على مقتضى حكمته ومقام الشكر على الاولى والصبر على الثانية وفى اظهار
الحواريين لانكار نتن الرايحة دلالة على عدم الصبر او الغفلة عن حقيقة الامر فصرفهم عنه الى امر يلايم
طباعهم وهو شدة بياض اسنان الكلب وجعله مقابلا للامر الذى لا يلايم وشاغلا لهم عنه وهذا معنى
لطيف تبين لى من الكلام ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق باسناده الى النبى ص قال من مشى فى
غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة خطاها فى جهنم وكشف الله عورته على رؤس الخلايق ومن
اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وعن ابى
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الجلوس فى المسجد انتظار العبادة ما لم يحدث
فقيل يا رسول الله وما الحدث فقال الاغتياب وروى ابن ابى عمير عن ابى عبد الله عليه السلام قال من قال فى
مؤمن ما رات عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى
الذين امنوا لهم عذاب اليم وعن المفضل بن عمر قال قال لى ابو عبد الله عليه السلام من روى على مؤمن رواية
يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط عن اعين الناس اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله
وعن الصادق عليه السلام قال الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل الحسنات كما تاكل النار الحطب بيان معنى
الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه او فى نسبه
او فى خلقه او فى فعله او فى قوله او فى دينه او فى دنياه وحتى فى ثوبه وفى داره وفى دابته اما البدن
فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما
يكرهه واما النسب فان تقول ان اباه نبطى او هندى او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او حجام
او بشئ مما يكرهه كيف كان واما الخلق فبان تقول انه سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان
عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه واما فى افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب
شارب خمر ومتهاون بالصلوة وبالصلوة لزكوة لا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات و
ليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة و

والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى
لاحد على نفسه حقا ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤم وينام فى غير وقته ويجلس
فى غير موضعه واما فى ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كبير العمامة وقد قال قوم لا
غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ما روى انه ذكرت لرسول الله ص
امراة كثرت صومها وصلوتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة
فقال فاخيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم
يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله ص والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر
غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه واله فى حد الغيبة فكل
هذا وان كنت صادقا فيه فانه فيه مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روى ان النبى ص قال
هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان فى اخى
ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر
رجل عند رسول الله ص فقالوا ما اعجزه فقال رسول الله ص اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا
ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة انها ذكرت امراة فقالت انها
قصيرة فقال النبى ص اغتبتها وقال الحسن ذكر الغير بالسوء ثلثة اقسام الغيبة والبهتان والافك و
الكل فى كتاب الله الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك
وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى اراني قد اغتبته وذكر ابن
سيرين ابرهيم فقال النخعى ولم يقل الاعور وقالت عائشة لا يغتابن منكم احد احدا فانى قلت لامراة
مرة وانا عند النبى ص ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظى الفظى فلفظت بضعة من لحم اقول
هذه الاخبار العامية لا تصلح لاثبات حكم شرعى و لا سيما مع وجود الداعى لهم الى اختلاق مثلها فان
كثرة عيوب ائمتهم ونقايص رؤسائهم تحوج الى سد باب اظهارها بكل وجه ليروج حالهم ويامنوا نفرة
الرعية عنهم وكما ان فى التعرض لاظهار عيوب الناس خطرا او محذورا وكذلك فى حسم مادته وسد
بابه فانه تقرير لاهل النقايص ومرتكبى المعاصى على ما هم عليه كذا قال بعض علمائنا وفى مصباح
الشريعة عن الصادق عليه السلام صفة الغيبة ان يذكر احد بما ليس عند الله عيب ويذم ما يحمده اهل العلم فيه
واما الخوض فى ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا
سمع به وكنت معافا عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط

ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك
فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا وعنه عليه السلام الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه
اما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا وفي خبر اخر هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وثبت
عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد وخص بعض العلماء تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق لان
ادلة الحكم غير متناولة لاهل الضلال لان الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد اخوة الايمان فلا يتناول
من لا يعتقد الحق **بيان** ان الغيبة لا يقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير
نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز
والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة دخلت
علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال صلعم قد اغتبتها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا
او كما يمشي فهو غيبة بل اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم
احد اللسانين وذكر المص شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار
المحوجة الى ذكره كما ياتي واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين
اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا
معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز وكان رسول الله صلعم اذا كره من انسان
شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي
العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم
يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود
ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول
الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة
الحياء نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم
مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور و
ابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين
في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين
المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادات من غير علم فانه يتبعهم
ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه بعض الحاضرين

فيقول

فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في
تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا
فلان من الاستخفاف فنسال الله ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام واظهار الدعاء بل لو قصد
الدعاء لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك
المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله تعالى مطلع على خبث ضميره
وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك
الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب منه فانه انما يظهر ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيه
فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما علمت انه كذلك ما عرفته الى الان الا بالخير وكنت
احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق للغيبة غيبة بل الساكت
شريك القائل قال رسول الله صلعم المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه
فلان النوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلعم لياكلا مع الخبز فقال رسول الله صلعم قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه
فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والاخر المستمع وقال للرجلين
اللذين قال احدهما لصاحبه اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع
لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه وان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر
فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهي لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم
ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي
ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلعم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله
الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق وقال ابو الدرداء قال النبي صلعم من رد على عرض اخيه بالغيبة كان حقا
على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه
من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق
المسلمين فلا نطول بالاعادة **بيان** الاشياء الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن
يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية **الاول**
تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب يغضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى الغيظ بذكر مساويه وسبق اللسان
اليه بالطبع اذا لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع عن تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير
حقدا ثابتا ويكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة

الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه
لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة
في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض
معهم في ذكر العيوب والمساوي فيهلك معهم **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه
او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته
او يبتدي بذكر ما هو فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول
ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرا
منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر
غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة
وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت
في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس**
الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد
سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه
يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك
يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب
الهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب
الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشاؤه
التكبر واستصغار المستهزى به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور
خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول** ان ينبعث من الدين
داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا و
يكون تعجبه من المنكر ولكن حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار
به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف
يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسببه ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد
غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا
فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدري والترحم والتغم ممكن

دون ذكر اسمه ليبطل بذلك ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان
اذا راه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره
على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم
يظنون ان التعجب والترحم والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة
حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة
رسول الله صلعم فسلم عليهم فردوا السلام عليه فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس
والله لبئس ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فاخبره بما قال قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل
رسول الله صلى الله عليه وآله وحكى له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه فساله فقال له قد قلت ذلك
فقال رسول الله صلعم لم تبغضه قال انا جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي قط الا هذه المكتوبة قال فساله
يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود فساله فقال لا قال والله
ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فساله يا رسول الله هل رآني قط
افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا قط ولا مسكينا ولا رايته
ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فساله هل رآني نقصت
منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك **اقول** وفي مصباح
الشريعة عن الصادق عليه السلام ان اصل الغيبة يتنوع بعشرة انواع شفاء غيظ ومساعدة قوم وتهمة وتصديق
خبر بلا كشفه وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال فان اردت السلامة فاذكر الخالق لا المخلوق
فيصير لك مكان الغيبة عبرة ومكان الاثم ثوابا **بيان** العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة اعلم ان مساوي
الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف
اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط
الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه تنقل يوم القيمة حسناته الى من اغتابه
بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنة نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك متعرض لسخط الله ومشبه بآكل
الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان
ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب
والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنة العبد وروي ان رجلا
قال للاخر بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما ورد من الاخبار

لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه
وذكر قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحي من ان يترك
نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق
بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض
الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا
يلوث نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه انه
بري من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له
واذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية
اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا
الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول اني امضيت غضبي عليه
لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها واجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال
ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وقد قال من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه
وقال من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور
شاء وفي بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة
فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر
غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه
بسوء بل ينبغي ان تغضب لله على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة
واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت
الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من
سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل
ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك
ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء
بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على
ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففي ما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت
عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردي نفسها

من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني
وقد اهلكت نفسها فكذلك افعل لكنت من جهلها وحالك مثل حال البهائم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك
واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته
ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك
بثلب غيرك عيبا الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من
المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين
لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة
فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين نكالين فقد قصدت محسودك
فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك
وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك وتنقل اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة
وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله
وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحياتك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به
وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك
فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيامة على ملأ من الناس ويسوقك
تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصر الله اياه وتسليطه على
الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك
اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان
يكون مرحوما اذ احبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة فانما حبب
اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير متعرضا لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا
اخرجك الى الغيبة فينبغي ان تتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك
لا تأمن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط
والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة بيان
تحريم الغيبة بالقلب اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي
الغير فليس لك ان تحدث نفسك بذلك وان تسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على

عزم بالسوء واما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهى عنه
ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك
سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته
وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه
فانه افسق الفساق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثمة مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به
وان كان الفاسق يتصور ان يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد
منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل ذلك
دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال عم ان الله حرم من المسلم دمه وماله
وعرضه وان يظن به سوء الظن فلا يستباح سوء الظن الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او
بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك
مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد سوء الظن والشكوك تختلج
والنفس تحدث فاقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا لم يعهد و
يستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد سوء الظن وتحقيقه
وقد قال عم ثلث في المؤمن لا يستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه
بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل
بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة
تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك
به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت
به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بالواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل
بينهما عداوة ومحاسدة ومقت فيتطرق التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة العدو على عدوه للتهمة فلك عند ذلك
ان تتوقف في اخباره وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني
وكان امره محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي من امره شيء وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة
بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل

فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة
ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير
فان ذلك يغيظ الناس ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة
ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته
فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار
وترتفع عليه بدلالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل
عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك
كنت جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان
القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا
فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنها في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله
فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك لكان اسلم لقلبك و
لدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته بيان الاعذار
المرخصة اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع
ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان
مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه
استيفاء حقه الا به وقد قال عم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه
وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح
فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما الثالث الاستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي
فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن
التعيين مباح بهذا العذر ولما روي عن هند انها قالت للنبي عم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما
يكفيني اياي وولدي افاخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها
ولم يزجرها رسول الله اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها
يتردد الى اهل الشر او مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه
مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث
ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة

وبالفسق ويعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وفي ذكرك ضررا على البائع
المشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن ان علم مطعنا وكذلك له
المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة
وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله
ان يصرح به قال رسول الله اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمتفسق بالفسق **الخامس** ان يكون الانسان معروفا بلقب
يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان الاعمش
وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه
بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال
للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس** ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور و
المجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكل من يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان
يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم عليه قال رسول الله من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له
وذلك لانه ربما يتفاخر به فكيف يكره ذلك وهو يقصد اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم **اقول** قال
السيد العلامة فضل الله بن علي الحسني في شرح الشهاب في تفسير قوله عليه السلام ليس للفاسق غيبة ان
الغيبة ذكر الغائب بما فيه من عيب من غير حاجة الى ذكره ثم قال فاما اذا كان من يغتاب فاسقا فانه ليس مما
يذكر به غيبة وانما سمي ما يذكر في غيبته غيبة اذا كان تائبا نادما فاما اذا كان مصرا عليه فليس بغيبة كيف
وهو يرتكب ما يغتاب به جهارا انتهى كلامه ويؤيده الاخبار وكلام اهل اللغة قال الجوهري الغيبة ان
يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمي غيبة وان كان كذبا سمي بهتانا وعن الصادق
عليه السلام الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا و
البهتان ان تقول فيه ما ليس فيه وعن ابي الحسن عليه السلام من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما يعرفه الناس
لم يغتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته **بيان**
كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج عن حق الله تعالى
ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على ما فعله اذ المرائي
قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقيل يكفيه
الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال كفارة من اغتبته ان تستغفر له

وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل بعضهم عن التوبة عن الغيبة فقال تمشي
الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا
هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب
في العرض حد القذف وثبتت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال من كان عنده لاخيه
مظلمة في عرض او مال فليستحلها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته
فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته **اقول** الكلام الصحيح الجامع بين الاخبار
والاقوال الواردة في هذا الباب ما قال الصادق عليه السلام انه ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه
وان لم يلحقه فليستغفر الله وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه اثارة للفتنة وجلب الضغائن
وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت او غيبة **قال** ابو حامد فان كان غائبا او ميتا
فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه
نوع تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه و
التودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له
يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل
من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله
ابدا فان قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله
غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل
قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول رسول الله ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق
بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه
اني لا اطلب مظلمة في القيمة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل
الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان قياسه قياس سائر الحقوق
ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة
الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل فقد ورد اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان
اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمته في الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وقال رسول الله يا جبرئيل ما هذا العفو فقال ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل

من قطعك وتعطي من حرمك وروي عن بعضهم ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا
من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا
اقدر ان اكافيك على التمام الافة السادسة عشر النميمة قال الله تعالى همّاز مشّاء بنميم مناع للخير معتد اثيم
عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك هو ولد الزنا لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه
ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل
الهمزة النمام واللمزة المغتاب وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح تخبر انه مجنون وقد قال النبي صلى الله عليه وآله
لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وعنه عليه السلام احبكم الى الله
احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الملتمسون للبراء العثرات وقال عليه السلام الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال
المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله
عليه وآله من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال
رسول الله ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله تعالى
ان يذيبه يوم القيمة في النار وعنه عليه السلام ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني
قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا
مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول
على عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به اقول ومن طريق الخاصة ما رويناه عن الصادق عليه السلام
قال قال امير المؤمنين عليه السلام شراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة المبتغون للبراء المعايب
وعن الباقر عليه السلام قال الجنة محرمة على المغتابين والمشائين بالنميمة قال ابو حامد وروي كعب انه
اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك
لمن معك وفيهم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم
عن النميمة واكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما سبع كلمات
قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم فاخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع
منها وعن الحجر وما اقسى منها وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى عنه
وعن اليتيم وما اذل قال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى

من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى
من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة بيان بيان حد النميمة
وما يجب في ردها اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما يقال
فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة بالمقول فيه بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء
كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث كما يقال فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مخصوصة
وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من
الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر و
هتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما راه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه
الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى من يتناول مال الغير فعليه ان يشهد به مراعاة
لحق المشهود عليه فاما اذا كان راه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم
به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء
بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه
النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل فيك كذا وكذا او هو يدبر في افساد امرك او
في موالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه
لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن
المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى الرابع
ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس ان لا يحملك ما حكي لك
على التجسس والبحث لتتحقق قال الله تعالى ولا تجسسوا السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه
النمام فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت بما
عنه نهيت وقد روي عن علي عليه السلام ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان
كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك فان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المؤمنين
وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال الحكيم قد ابطات عن الزيارة واتيتني
بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان
ابن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت

كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سلمان ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا
يكون النمام صادقا فقال سلمان صدقت اذهب بسلام وقال بعضهم من نم اليك نم عنك هذا
اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب
الغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن
سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل قال الله تعالى ويفسدون في الارض ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
وقال عز وجل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال
ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع بين الناس بالنميمة
وهو النمام يقطع بين الناس وقيل قاطع الرحم وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم
بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من
يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس وليد
حلال وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بها لم تزل سيدا ابسط خلقك
للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول
قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم
تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال
بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم
يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم فينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا فقال للمشتري
ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك
وهو يريد ان يتسرى عليك وانا اسحر لك في شعره فقالت كيف اقدر على اخذ شعره فقال اذا نام فخذي
الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا
وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء
اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر بينهم **الافة السابعة عشر** كلام ذي اللسانين
وهو الذي ياتي هؤلاء بوجه ويتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه
من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه واله من له
وجهان في الدنيا كان له لسانين من نار يوم القيمة وعنه عليه السلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة
ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه

تنبيه لقمان

وقال مالك بن دينار قرات في التورية بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله
يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى الله عليه واله ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون
والمتكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله
كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان كانوا اسرعها **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه الصدوق باسناده
الى علي عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله يجيء يوم القيمة ذو الوجهين والعا لسانه من قفاه
واخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلتهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين
يعرف بذلك يوم القيمة وبالاسناد الى الباقر عليه السلم قال بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين
يطري اخاه شاهدا ويأكله غائبا ان اعطي حسده وان ابتلي خذله وبالاسناد عنه عليه السلم قال
بئس العبد عبد همزة لمزة يقبل بوجه ويدبر باخر وبالاسناد قال قال الله لعيسى بن مريم عليه السلم ليكن
لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك قلبك اني احذرك نفسك وكفى بك خبيرا لا
يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد وكذا الاذهان **قال** ابو حامد واتفقوا ان ملاقاة
الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله
مات فلم يصل عليه حذيفة فقال عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين
انه منهم فقال ونشدتك الله انا منهم ام لا فقال اللهم لا ولا اومن احدا بعدك فان قلت فبماذا يصير الرجل
ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم
يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد
الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب اداب الصحبة والاخوة نعم
لو نقل كل كلام واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين
فقط فان نقل من الجانبين فهو شر من النميمة وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه
من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما ان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل
واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت
او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لبعض الصحابة انا ندخل
على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله وهذا نفاق
مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم
يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه

فدخل الضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء ومراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلى اليه لضرورة وخاف ان لم يثن
فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل اقبل
عليه والان له القول فلما خرج قالت عائشة قد قلت بئس رجل العشيرة ثم النت له القول فقال ان شر
الناس الذي يكرم اتقاء لشره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم واما الثناء فهو كذب صريح
فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب لمثلها كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق
وتحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر بلسانه
وبقلبه فان لم يقدر فليسكت بلسانه ولينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشر** المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما
الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمهما والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنتان في
الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الافراط الى الكذب الثانية انه قد يدخله الرياء فانه
بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة
انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله
عليه وآله فقال له ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا
اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق
الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق ورع وزاهد وخير وما يجري مجراه
اما اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي
فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم
او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وقيل
من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في الارض فالظالم الفاسق فينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح
ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان الثاني انه اذا
اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى
نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله
قطعت عنق اخيك لو سمعها ما افلح وقال اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى وقال
ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الى نفسي

وقال

وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع
قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلوب العوام واما ما قال مطرف فذلك
قلوب الخواص وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في
وجهه وقيل المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور اولان
المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح ولذلك شبه به فان سلم المدح من هذه الآفات في
حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله على الصحابة
ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل
نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله انا سيد ولد آدم ولا
فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره عليه السلام
كان بالله وبقربه من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما
يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين
ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام وجبت الجنة لما اثنوا على بعض الموتى ثم قال انتم شهداء
الله في الارض وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة
ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ
ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان** ما على الممدوح اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز
من آفة الكبر والعجب وآفة الفتور والرياء ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة
ودقائق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره
وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح واليه
الاشارة بقوله احثوا التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف
نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال آخر لما
اثني عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقال علي عليه السلام لما اثني
عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون **الآفة التاسعة عشر**
الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين
فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه
عن الزلل ولكن الله يعفو عنه لجهالته مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وآله لا يقل

احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان فى العطف المطلق بالواو تشريكا
وتسوية وهو خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله يكلمه
فى بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلم اجعلتنى لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب
رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وعن
ابن عباس انه قال ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وعن النبى صلى الله
عليه واله ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وعنه عليه السلم
لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وعنه عليه السلم لا يقولن احدكم عبدى ولا امتى
كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك
ربى وربتى ولكن سيدى وسيدتى كلكم عبيد الله والرب واحد وعنه عليه السلم لا تقولوا للمنافق
سيدنا فانه ان لم يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال عليه السلم من قال انا برئ من الاسلام فان كان
كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل فى الكلام
ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما ذكرناه اوردناه من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم
وعند ذلك يعرف سر قوله من صمت نجا لان هذه الافات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق
المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع
حافظ ومراقبة لازمة وتقليل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع ذلك لا ينفك من الخطر
فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين الافة
العشرون سؤال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف قديمة هى ام محدثة وحقهم الا
شتغال بالعمل بما فى القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى
يفرح بان يخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه
حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهو اسلم له من ان يتكلم فى العلم لا سيما
فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القران و
التسليم بما جاءت به الرسل من غير بحث وسؤالهم من غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به
المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو يوجب العقوبة
وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك

قال عليه

قال عليه السلم ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فما نهيتكم
عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وروى انه سال الناس رسول الله صلى الله
عليه واله يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فلا تسالونى عن شئ الا
انبئتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابى فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان
فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله
انا فى الجنة او فى النار فقال لا بل فى النار فلما راى الناس غضب رسول الله امسكوا وفى الحديث
نهى رسول الله صلى الله عليه واله عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال عليه السلم
يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا
قل هو الله احد حتى يختموا السورة ثم ليتفل عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم و
قال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلم تنبيه على
المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا
فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من امرى عسرا
فلما لم يصبر حتى سال ثلثا قال هذا فراق بينى وبينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين
من اعظم الافات وهى من المثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنعهم وخوضهم فى حروف القران ونظائر ذلك
من العلوم ونظرهم فى ذلك يضاهى من كتب اليه الملك بكتاب يرسم له فيه امورا فلم يشتغل بشئ
منه وضيع زمانه فى ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة لا محالة فكذا
تضييع العامى حدود القران واشتغاله بالحروف انها قديمة او محدثة وكذا سائر صفات الله

هذا اخر الكلام فى كتاب افات اللسان من ربع المهلكات من المحجة
البيضاء فى احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله كتاب
افات الغضب والحقد والحسد والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا وباطنا
والصلوة على محمد
واهل بيته

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يتكل الا عفوه ورحمته الراجون، ولا يحذر سوى غضبه وسطوته الخاطئون، الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وامرهم ترك ما يشتهون، و ابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون، وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون، وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون، وحذرهم ان يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون، والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون والمتقون، وعلى آله واصحابه الائمة المهديون، والسادة المرضيون، صلوة توازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون، ويحظى ببركتها الاولون والاخرون

اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع على الافئدة وانها مستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شان الطين السكون والوقار ومن شان النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب والاصطلاء ومنه قوله يصهر به ما في بطونهم ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان فيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد في حقيقته واسبابه ومعالجته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني الاعمام والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر

الواجب

الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله عليهم من السكينة وروي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد فقال لا تغضب وعنه عليه السلام ماذا يبعد عن غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وآله ما تعدون الصرعة فيكم قال الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وعنه عليه السلام من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب يستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى بن مريم عليهم السلام لا تغضب قال لا استطيع الا ان اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى ان شاء الله تعالى وقال الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل يا رسول الله اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعد عن غضب الله قال لا تغضب اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وعن ميسر قال ذكر الغضب عند ابي جعفر عليه السلام فقال ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار فايما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه رجز الشيطان وايما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وعن ابي حمزة الثمالي عنه عليه السلام قال ان الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الغضب مفتاح كل شر وعنه عليه السلام قال سمعت ابي يقول اتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال اني اسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقال آمرك ان لا تغضب فاعاد الاعرابي عليه المسألة ثلث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال لا اسأل عن شيء بعد هذا ما امرني رسول الله الا بالخير قال وكان ابي يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وعنه عليه السلام قال من كف غضبه ستر الله عورته وعنه عليه السلام قال ان في التورية مكتوبا يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك وعنه عليه السلام قال

الغضب محلة لقلب الحكيم وقال من لم يملك غضبه لم يملك عقله وعنه عليه السلام قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله
علمني قال اذهب ولا تغضب فقال الرجل قد اكتفيت بذلك فمضى الى اهله فاذا بين قومه حرب قد
قاموا صفوفا ولبسوا السلاح فلما راى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا تغضب
فرمى السلاح ثم جاء يمشي الى القوم الذين هم عدو قومه فقال يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل
او ضرب ليس فيه اثر فعلي في مالي او فيكم فقال القوم فما كان فهو لكم نحن اولى بذلك منكم قال
فاصطلح القوم وذهب الغضب وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كف نفسه عن اعراض الناس
اقال الله نفسه يوم القيمة وعنه عليه السلام قال مكتوب في التورية فيما ناجى الله به موسى عليه السلام يا موسى
امسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف عنك غضبي قال ابو حامد الاثار روي عن ذي القرنين انه
لقي ملكا من الملئكة وقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما
يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت
اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا
سال الشيطان اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما
يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في
قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد عليهما السلام الغضب مفتاح كل شر وقال
بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة
والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم
فلم يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا
واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ويبخل بما في يديه ويمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك
فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوات ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك و
الغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه
وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وقال بعضهم لابنه
يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم
فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب
غول العقل وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من
الانبياء لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من

القوم

القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به
لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان حقيقة الغضب اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل بدنه
واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه
اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة
فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل
بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان
شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك
بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي
يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار
وغرزه في الانسان وعجنه في طينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل
نار الغضب وثارت ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع النار
وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ولذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها
تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من
دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من هو فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد
منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب
على نظير يشك فيه تولد منه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب
ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموذيات
قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه
لذتها ولا تسكن الا ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط
والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية
له ولذلك قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا
وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء وقال تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط

فهوان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة
ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب
انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك
حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وبرودة المزاج تطفيه
وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهي ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب
ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا
ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه يرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه
بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرابها اعمى صاحبه واصمه عن كل
موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل يزيده الموعظة غضبا وان اراد ان يستضيئ بنور عقله وراجع نفسه
لم يقدر على ذلك اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ و
يتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر
وربما يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينه حتى لا يرى بعينه ويسود عليه الدنيا باسرها ويكون
دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه
سراج ضعيف فانطفي وانمحي نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر
على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك
يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى الغضب فيفني الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت
صاحبه غيظا كما يموت بقوة النار في الكهف فيتشقق اعاليه وتنهد على اسافله وذلك لابطال النار
ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة
في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا
اذ في السفينة من يحتال الى تسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة
وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة
في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق
ويحمر الاحداق وتنقلب المناخر ويستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن
غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان
الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن

نفس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام
الذي يستحيي منه ذووا العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب
اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة
فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب او عجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه
ويلطم وجهه وقد يضرب يده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وسقط صريعا
لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب
القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها وقد يتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة
والجماد ويخاطبه ويقول الى متى منك ويا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسه دابة فيرفسها
ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة
والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الاستار والاستهزاء وغير ذلك من القبائح
فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم
والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته
عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال عليه السلام ان سعدا لغيور واني لاغير من سعد والله اغير مني و
انما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بها لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة
وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعفها الخور والسكوت عند مشاهدة
المنكرات وقد قال عم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد
الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند
الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين
فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله
تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال خير الامور اوسطها فمن مال غضبه
الى الفتور حتى احس من نفسه ضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان
يعالج النفس ليقوى من غضبه ومن مال من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهذا هو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير
كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض هذه حقيقة الغضب

ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه قد ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلثة اقسام **الاول** ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه واريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما بالقوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كان له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب بالضرورة على اخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه يكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري القسم **الثاني** ما يكون ضروريا في بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذا ادوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار

الى

اليه رسول الله صلى الله عليه وآله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلثة يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان بان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك فهو عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة وهي قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان لا يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم ولا على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال مختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله وانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله

اكتب عنك كلما قلت فى الغضب والرضا فقال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا الحق واشار الى
لسانه فلم يقل انى لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق اى لا اعمل بموجب الغضب وغضبت
عائشة مرة فقال عليه السلم مالك جاءك شيطانك فقالت ما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله
فاعاننى عليه فاسلم فلا يامرنى الا بالخير فلم يقل لا شيطان لى واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملنى على
الشر وقال على عليه السلم وكان رسول الله صلى الله عليه واله لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم
يعرفه احد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات
الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورته وقوته وحاجته التى لا بد له فى دينه منها
فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا
بضرورى اهم منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض
المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازينى فانا شر مما تقول
وان ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم وكذلك
شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى
ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل بعضهم فقال ان كنت صادقا غفر الله لى و
ان كنت كاذبا غفر الله لك فهذه الاقاويل دالة فى الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات
دينهم ويحتمل ان يكون ذلك قد اثر فى قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على
قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذا
يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد وبسبب ثالث وهو ان يعلم ان
الله يحب منه ان لا يغتاظ فتطفى شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال فى احوال نادرة وقد عرفت
بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها
كما سنذكره فى كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص عن اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن
محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه بيان الاسباب المهيجة للغضب
قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى
لعيسى بن مريم عليهما السلم اى شئ اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال
وما يبدى الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والحرص والاسباب المهيجة
للغضب هى الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير والممارات والمضادات والغدر وشدة الحرص على

فضول

فضول المال والجاه وهى باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء
هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغى ان يميت الزهو بالتواضع ويميت العجب بالمعرفة
بنفسك كما سنذكره فى كتاب العجب والكبر وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم فى الانتساب
اب واحد وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل
وهما راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلا تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث
البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى
تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والاخلاق الحسنة
والعلوم الدينية التى تبلغك الى سعادة الاخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة
النفس عن ان يستهزى بك فاما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة
الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل
خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر فى علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل
رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها
مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت
عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذى يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر
الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة و
جهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر فى معرض
المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب فى القلب بسببه وتسمية هذا
عزة نفس وشجاعة جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية
انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبى اسرع غضبا
من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السئ والرذائل القبيحة اسرع غضبا من
صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله
وولده واصحابه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال عليه السلم ليس الشديد بالصرعة انما
الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب بل ينبغى ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل
الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر
الملوك والفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا

فصل بيان علاج الغضب بعد هيجانه اعلم ان ماذكرناه حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا
جرى لسبب هيجانه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج
الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها
في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن
التشفي والانتقام وينطفي غيظه غضب بعضهم على رجل فقال الرجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين فخلى عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله على اعظم من
قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم امن ان يمضي الله غضبه على يوم القيمة احوج ما
اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا
امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه واله وصيفا له على حاجة فابطا عليه فلما جاء قال
لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي القصاص في يوم القيمة وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه
حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقراها حتى
يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي
في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا
ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب
عليه لانه متردد على حظوظ العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في
الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة فيكون حينئذ مثابا عليه الرابع ان يتفكر في قبح صورته
عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه
بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب بالانبياء والعلماء وتخيير نفسه
بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالعلماء والانبياء في عادتهم لتميل نفسه
الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من العقل الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه
الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون سبب له مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على
العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تانفين
من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين
من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فمهما
كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله تعالى فما له وللناس وذل من ظلمه يوم
القيمة اشد من ذله لو انتقم الان افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا

فلا يقوم الا من عفا عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم
ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله اعظم من
غضبه واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله
عليه واله ان يقال عند الغيظ وكان اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم
رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن ويستحب ان يقول ذلك
فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت
لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب
الحرارة الحركة اذ قال عليه السلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه
فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا
بالماء البارد وليغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا وليغتسل
فان الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفي
النار الماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه واله اذا غضبت
فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب
غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه واله الا ان الغضب جمرة في قلب ابن
ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض
وكان هذا اشارة الى السجود وهو تمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب ليستشعر
به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وقيل كان رجل ممن كان قبلكم
يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلثة صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت
فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك
لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا
فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ثم اعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانهم لا يصلحهم
الا ذلك اي لا تعطل الحدود فضيلة كظم الغيظ قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في
معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه واله من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر
الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب
واحلمكم من عفا عند القدرة وقال من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة

رضا وفى رواية اخرى امنا وايمانا وفى اخرى عنه عليه السلام ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة
غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وعنه عليه السلام ان لجهنم بابا لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية
الله تعالى وقال عليه السلام ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما يكظمها الا ملأ
الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وآله من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس
الخلائق يخيره فى اى الحور شاء وقال لقمان لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف
غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب عليه السلام حلم ساعة يدفع شرا كثيرا
اقول ومن طريق الخاصة ما رواه فى الكافى عن على بن الحسين عليهما السلام قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله من احب السبيل الى الله جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر و
عن ابى عبد الله عليه السلام قال كان على بن الحسين عليهما السلام يقول ما احب لى بذل نفسى حمر النعم وما تجرعت
جرعة احب الى من جرعة غيظ لا اكافى بها صاحبها وعن ابى جعفر عليه السلام قال من كظم غيظا وهو يقدر
على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وعن ابى عبد الله عليه السلام قال نعم الجرعة الغيظ لمن صبر
عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم وعنه عليه السلام ما من عبد كظم
غيظا الا زاده الله عزا فى الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك وعنه عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه
ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاه وعن ابى الحسن الاول عليه السلام قال اصبر على اعداء النعم فانك لن تكافى من عصى
الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه **فضيلة الحلم** ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة
عن التحلم اى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج الى مجاهدة شديدة ولكن
اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى
وهو دلالة على كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم و
كظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وآله انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير
يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم
طريقه التعلم وعنه عليه السلام اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ولينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون
ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والتكبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع
من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجملنى با
لعافية وعنه عليه السلام قال ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطى

من حرمك وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك وقال خمس من سنن النبيين الحياء والحلم والحجامة والسواك
والتعطر وقال على عليه السلام قال النبى صلى الله عليه وآله ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم
القائم وانى لاكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وروى ان رجلا قال يا رسول الله ان لى قرابة
اصلهم ويقطعون واحسن اليهم ويسيئون الى ويجهلون على واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما
تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعنى الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم
ليس عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى
الى النبى صلى الله عليه وآله انى قد غفرت له وقيل فى قوله تعالى ربانيين اى حلماء علماء وفى قوله يمشون
على الارض هونا اى حلما واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل فى
قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا وفى قوله وكهلا قيل الكهل منتهى الحلم و
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف ويبغض الفاحش البذى
السائل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشئ من عمله تقوى يحجزه
عن معاصى الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس وقال رسول الله صلى الله عليه و
آله اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسرعون فينطلقون سراعا الى
الجنة فتلقاهم الملئكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان
فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
فنعم اجر العاملين وقال على عليه السلام ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم
حلمك وان لا تباهى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وعن على بن
الحسين عليهما السلام انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع
له خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله وحمله على الندم والتوبة و
رجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد عليهما السلام
انه وقع بينى وبين قوم منازعة فى امر وانى اريد ان اتركه فقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما
الذليل الظالم ومر المسيح بن مريم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا
وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا
عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا تعرف اخاك الا عند حاجتك اليه **اقول** ومن طريق الخاصة
ما رواه فى الكافى عن ابى جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يحب الحيى الحليم العفيف

المتعفف وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اعز الله بجهل قط ولا اذل الله
بحلم قط وعن ابي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند
غضبه وعن ابي عبد الله عليه السلام قال كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن حليما فتحلم وعن حفص بن ابي عائشة
قال بعث ابو عبد الله عليه السلام يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار
وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت
وانت اهل لما قلت ستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك
قال فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان وعن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال لا يكون الرجل عابدا حتى يكون
حليما وان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابدا حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين قال ابو
حامد ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امرأة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت
المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم
فسقطت دجاجة على المائدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم فقال احسب ان هذه مثل
تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وصدق الحكيم الحليم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه
فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجرة تعثرت بها فوقعت وذبحت الغضب وقال محمود
الوراق سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب، وان كثرت منه علي الجرائم، وما الناس الا واحد من ثلثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم، فاما الذي فوقي فاعرف فضله، واتبع فيه الحق والحق لازم،
واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لائم، واما الذي مثلي فان ذل او هفى،
تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم **بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام** اعلم ان كل
ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب
بالسب وكذا سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وفصلناه في كتاب الفقه
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان
يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا لينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك
وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه
عليه السلام عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي بفعله والذي يرخص فيه ان يقول
من انت هل انت الا من بني ادم ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه

الا ان

الا ان بعض الناس اقل حماقة وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك
قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق
الوجه يا ثلاب للاعراض وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله
وانتقم منك فالنميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين حرام بالاتفاق والدليل على ما ليس بكذب ولا حرام
كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما قال النبي صلى الله عليه وآله المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يتعدى المظلوم
اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان قال البادي منهما
اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم قال ابو حامد فاثبت للمظلوم انتصارا
الى ان يتعدى فهذا القدر هو الذي اباحه وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد
الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه لانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار الى مقدار
الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه
ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه في
الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع
الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد
ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر
المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وآله الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع
الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم
السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويثور في كل انسان وجب على السلطان
ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متغيظا عليه فيكون شافيا
لغيظه مريحا نفسه صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راى بعض الولاة
سكرانا فاراد ان يعزره فشتمه السكران فرجع وقال اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم
احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي **القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق** اعلم ان الغضب
اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه
استثقاله والبغضة له والنفار عنه وان يدوم على ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وآله المؤمن ليس بحقود والحقد
ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه

فتعتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه الثاني
ان تزيد على احتمال الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع
عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه
بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية
منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة
وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد
الى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به
من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة
له او بترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين
ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب والاولى ان تبقى على ما كان
فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو
من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير
زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يظلمه
بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى
درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان فضيلة العفو اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه
وتبرا عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر
بالعرف الاية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التواضع لا يزيد
العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال
الا كثرة فتصدقوا يغنكم الله وقالت عائشة ما رايت رسول الله ص منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك
حرمة من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة بن عامر رايت رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فابتدرته فاخذت بيده
او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله ص قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي
اذا قدر عفا وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله يشكو مظلمة فامره النبي ص ان يجلس واراد ان ياخذ له
بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع

الحديث

الحديث وعنه عليه السلام من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعنه عليه السلام اذا بعث الله الخلايق يوم القيمة نادى
مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي
الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال رسول الله ص اقول
كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور
فدخلوا في الاسلام وعنه عليه السلام اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل
من الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا فليعفوا
وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله ص ثلث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من
الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله
قيل او احدهن يا رسول الله قال او احدهن اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله ع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته الا اخبركم بخير خلايق الدنيا والاخرة العفو عمن ظلمك
وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء اليك واعطاء من حرمك وعنه عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا فتعافوا يعزكم الله وعن ابي حمزة الثمالي
عن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الاولين والاخرين في
صعيد واحد ثم ينادي مناد اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون و
ما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا
الجنة وعن ابي جعفر عليه السلام قال الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وعنه عليه السلام
قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي ص فقال لها ما حملك
على ما صنعت فقالت قلت ان كان نبيا لم يضره وان كان ملكا ارحت الناس منه قال فعفى رسول الله ص
عنها وعن ابي عبد الله عليه السلام ثلث من مكارم الدنيا والاخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم
اذا جهل عليك وعن ابي الحسن عليه السلام قال ما التقت فئتان قط الا نصر اعظمهما عفوا وعن معتب قال
كان ابو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت الى غلام له قد اخذ كارة من تمر فرمى بها وراء
الحائط فاتيته واخذته فقلت له جعلت فداك اني وجدت هذا وهذه الكارة فقال للغلام فلان قال
لبيك قال اتجوع قال لا يا سيدي قال فتعرى قال لا يا سيدي قال فلاي شيء اخذت هذه قال اشتهيت

ذلك قال اذهب فهو لك وقال خلوا عنه قال ابو حامد الآثار وقيل لو اصاب ذا القرنين كان نبيا
قال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق
ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقيل
الغضب تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب وروي ان سارقا دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين
فقيل اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في
السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها وقد حلت فقال لقد جلست
وانها لمعي فجعلوا يدعون على السارق اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان
حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله على الذنب جرأة فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل
ما رأيت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه
فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض
حجته فبكائي رحمة له وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق**
اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة
حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث
يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط
قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وآله
على الرفق وبالغ فيه فقال انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه
من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة وقال اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام
ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون
الرفق الا حرموا حظهم من خير الدنيا والآخرة وقال عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا
يعطي على العنف وقال من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال الا ادلكم على من يحرم على النار كل لين سهل قريب
وقال الرفق يمن والخرق شوم وقال التاني من الله والعجلة من الشيطان **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه
في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان الرفق خلقا يرى ما كان مما
خلق الله شيء احسن منه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرفق لم يوضع على
شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وعنه عليه السلام ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وعنه
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول

اسم

رسول الله صلى الله عليه وآله الرفق يمن والخرق شوم وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله ما اصطحب اثنان الا كان اعظمهما اجرا واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه وعنه عليه السلام
من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وعنه عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق فمن رفقه بعباده
تسليله اضغانهم ومضادته لهواهم وقلوبهم ومن رفقه بهم انه يدعهم على الامر يريد ازالتهم عنه
رفقا بهم لكيلا يلقي عليهم عرى الايمان ومثاقلته جملة واحدة فيضعفوا فاذا اراد ذلك نسخ الامر
بالآخر فصار منسوخا وعن ابي الحسن موسى عليه السلام قال الرفق نصف العيش وعنه عليه السلام قال لمن جرى
بينه وبين قوم كلام ارفق بهم فان كفر احدهم في غضبه ولا خير فيمن كان كفره في غضبه وعن عمرو بن
ابي المقدام رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال ان في الرفق الزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم
الخير وعنه رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله ما زوي الرفق عن اهل بيت الا زوي عنهم الخير قال
ابو حامد بعد ذكر الآثار فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال
واغلب الامور والحاجة الى العنف قد يقع لكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن
مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة واشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن
ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول** في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته
وغاية الواجب في ازالته **بيان** ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب
فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم
الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب و
قال رسول الله صلى الله عليه وآله في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا
تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وروي انه عليه السلام شهد لرجل من الانصار بانه من اهل الجنة
فلما فتشوا عن حاله ما راوه يعمل عملا كبيرا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلوة
الفجر فقيل له في ذلك فقال ما هو الا ما رأيتم غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد
على خير اعطاه الله اياه وقال عليه السلام ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك
اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من
ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء
والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون
الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال

كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب على القدر وقال انه سيصيب امتى داء الامم قالوا
وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى
ثم يكون الهرج وقال لا تظهر الشماتة باخيك فيرحمه الله ويبتليك وروى ان موسى عليه السلم لما تعجل
الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه
قال احدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى
بالنميمة وقال زكريا قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض لقسمتى التى قسمت بين
عبادى وقال عليه السلم اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال عليه السلم
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك
قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال عليه السلم ستة يدخلون النار قبل الحساب
بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة
واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابى جعفر
عليه السلم قال ان الرجل ليأتى باى بادرة فيكفر وان الحسد لياكل الايمان كما تاكل النار الحطب وعن ابى
عبد الله عليه السلم قال افة الدين الحسد والعجب والفخر وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما اتاهم الله من فضله ولا تمدن
عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمى صاد لقسمى الذى قسمت بين عبادى ومن
يك كذلك فلست منه وليس منى وعنه عليه السلم قال اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا ان عيسى بن مريم
كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى
فلما انتهى عيسى عليه السلم الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى فدخله العجب
بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وانا امشى على الماء فما فضله على قال فرمس في الماء
فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما قلت يا قصير قال قلت هذا روح الله يمشى
على الماء وانا امشى فدخلنى من ذلك عجب فقال له عيسى عليه السلم لقد وضعت نفسك في غير الموضع
الذى وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت قال فتاب الرجل فعاد الى مرتبته
التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضا وعنه عليه السلم قال ان المؤمن يغبط ولا يحسد
والمنافق يحسد ولا يغبط وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلم قال الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود
كابليس اورث بحسده اللعنة لنفسه ولادم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والا

والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق
مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود فضل الله
وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن ادم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد
لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان
عولج قال ابو حامد الاثار قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هى الحسد حسد ابليس ادم اذ
امر ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وقال بكر بن عبد الله المزنى كان رجل يغشى بعض الملوك
فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن باحسانه والمسئ سيكفيكه مساويه فحسده رجل على
ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذى يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم
ان الملك ابخر فقال له الملك فكيف يصح ذلك عندى قال تدعوه غدا اليك فاذا دنا منك وضع
يده على انفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله
فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه و
المسئ سيكفيكه مساويه فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك
منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا
جائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابى هذا فاذبحه واسلخه و
احش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذى سعى به فقال ما هذا الكتاب
فقال خط الملك امر لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك
ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله في امرى حتى اراجع الملك قال ليس لكتاب
الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله
فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى فوهبته له فقال الملك انه
ذكر لى انك تزعم انى ابخر قال ما فعلت قال فلما وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما فيه ثوم
فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسئ مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على
شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على امر الدنيا وهى حقيرة في الجنة وان كان من
اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وسال بعضهم هل يحسد المؤمن قال ما انساك
بنى يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك وانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر
عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقيل كان الناس اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه

الا زوالها ولذلك قيل كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك من حسد وقال بعض الحكما
الحسد جرح لا يبرئ وحسب المحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى
النعمة عليك نقمة عليه وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملئكة
الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند
الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه** اعلم انه لا حسد الا على نعمة
فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه
الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها
ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة
وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين بدل الاخر ولا حجر في الاسامي
بعد فهم المعاني وقد قال عليه السلم ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا
نعمة اصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك
لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو امنت
فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة سخط لقضاء
الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك
لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيها مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبهم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان
حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد اخوة يوسف وعبر عما في
قلوبهم فقال قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه
غيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اي لا يضيق
به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار ام يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم
ويؤلف بينهم على طاعته وامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد

بالرياسة

بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله
عليه واله اذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما
نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية
بنت حيي للنبي صلى الله عليه واله جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه
النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما
المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد و
الحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه واله فيسألانه ان يؤمرهما
على الصدقة قالا لعلي عليه السلم حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له هذا منك
الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك
فاطمة والمنافسة مشتقة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو
كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة
لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه واله بذلك فقال لا حسد الا في اثنين
رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم
فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل اتاه الله
مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت
اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة
عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال فلان
كنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه واله من جهة تمنيه للمعصية
لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها
مهما لم يحب زوالها عنه ويكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة
والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية
وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها
مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة

مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم
عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب
مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل و
يناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة
غامضة وهو انه اذا ايس عن ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان
وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثلها او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احدى الطريقين فيكاد القلب
لا ينفك عن شهوة للطريقة الاخرى حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ
بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد
الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى عن ازالة ذلك
فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله
ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا
حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه
في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من
المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق
نفسه من معارفه واقاربه من يحب ان يساويه ويكاد يجره الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان
رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره يجره ذلك الى الحسد المذموم
والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته
بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا
ولكن يعفى عنه ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة
الحسد واحكامه اما مراتبه فاربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه هذا
وهذا في غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة عنه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة
او امرأة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها
عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها
احب زوالها عنه كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب
زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة

مراتب الحسد

منها مذموم وبعضها غير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا
فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لذلك
غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم بيان اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة فسببها حب ما فيه
المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات
الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها اسباب سبعة
العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس و
بخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس
الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون
بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب
الاول العداوة والبغضاء وهو اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في
غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي
والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه بالزمان وربما يحيل ذلك
على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بذلك وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه
وانها اصابته لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة
له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة
ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وكذلك
قال ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي الى التنازع والتقاتل
واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو
ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه
وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه
ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه
ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة له في اغراضه فاذا نال
نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه
فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا

كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطا له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم **السبب الرابع** التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وسبب اخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملئكة فقال تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم **السبب الخامس** الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كان واحد منهما يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاد واحد فى نيل المنزلة فى قلب الاستاد وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل الى اغراض لهم **السبب السادس** حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذى يريد ان يكون عديم النظير فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التى بها يشاركه فى المنزلة فى شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ولا يؤمنون به خيفة من ان يبطل به رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم **السبب السابع** خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فيما انعم به عليهم فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له

اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بماله والشحيح الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى ازالتها وهذا خبث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته ويستحيل فى العادة ازالته فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها فى شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب **بيان** السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب وتاكده وقلته وضعفه فى غيرهم اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التى ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع لهم جملة من هذه الاسباب ويتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه فى غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التى توصله الى اغراضه ويترادف جملة هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين متنائيتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك فى محلتين نعم اذا تجاورا فى مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد يتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر والاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض ولذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان

التزاحم بينهما على مقصود واحد خاصة واصل هذه المحاسدة العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض
واحد فالغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه
على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه
في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة
فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه
وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم
الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة
العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان
مقصدهم معرفة الله وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله
تعالى لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على
بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان و
اجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم
عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح
بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل
في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل
عن قلبه وان المال اعيان واجسام ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال
يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود في قلبه حسد لاحد من خلق الله لان غيره
ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته لمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب
الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف
وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه متغذ بفاكهة
علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه
ابدا يرتاح في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا
كما قال رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا
فما يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذا لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة
ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا

فصل

فاهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة
العليين الى مضيق السجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما
خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا
للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى يتحاسدون على النظر الى زينة السماء و
يتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى
السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد اصلا فعليك
ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك
في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال
ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها فقد فتر عنه
رايك وضعف فيه رغبتك فانت فيه معذور فالمخنث والعنين لا يشتاق الى لذة الملك فان
هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين وكذلك لذة المعرفة ايضا يختص بادراكها
الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق
بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك
ومن لم يدرك بقي من المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين **بيان** الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة
للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان
الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا
والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما
كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة
التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا
من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس و
سائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب
كما تاكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم
بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال

تعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محزونا متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة على المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله من ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال نعمة فلا بد وان يدوم الى اجل معلوم قدره الله فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكى نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق بالاذى فاوحى الله تعالى اليه ان فر من قدامها حتى تنقضي من ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء لدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه فانك ايضا لا تخلو عن حاسد فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اذ ما يريده الحاسد لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد يشتهي ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي اليه بذلك حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة وكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم

مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حيوتك ولكن في عذاب الحسد والغم لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد ولا خلاك الدهر من حاسد فانما الفاضل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه مما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت او ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدائك لانه لما راك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عليك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وآله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال النبي صلى الله عليه وآله المرء مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وآله يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثرة صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وآله انت مع من احببت قال الراوي فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وآله المرء مع من احب وقيل ان لم تكن عالما ولا متعلما فكن محبا لهم فان لم تحبهم فلا تبغضهم فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغضه اليك وحملك على الكراهة حتى اثمت فكيف لا وعساك ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به واغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدخل بها البتة فقد نفذ عليك حسد

في احوال ابليس

ابليس وما تقدر تحسده في عدوك بل في نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك
ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى
فيقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود فيرميها اشد من الاول فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيضه
فيعود ثالثا ويرميها على راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه
حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا بل حالك في الحسد اقبح
من هذا لان الحجر العائد الى راميه لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود
بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه في الدنيا
خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال
النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة والكمد نعمة وقد
زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما
يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت
له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان
واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية
فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه
ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه الحسد
من قول او فعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له
والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف
الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه
وتولد بينهما الموافقة التي يقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة
يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود
الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت
واثنيت عليه حملك العدو على العجز او على النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع
الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقلل مرغوبها
وتعود القلب الى التالف والتحاب وبه تستريح القلب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد
وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا لكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء

وانما يهون مرارة الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي
ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وحب ما احبه الله وعزة النفس وترفعها عن ان يكون
في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك تريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل
وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون و
الاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة
ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي واما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر
وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا
المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم ترفع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال
يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد ان يحسد من استاثر
بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهره
بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب اعلم ان المؤذي
ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا واذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى
يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان
ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث
يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت اذا حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية
الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد
صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر
عن الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو
معصية بينك وبين الله وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح واما اذا كففت ظاهرك
والزمت مع ذلك قلبك كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على
ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك
ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المحسن والمؤذي ويكون
فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او يصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا
الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه

الی تفاصیل احوال العباد بل ینظر الی الکل بعین واحدة وهو عین الرحمة ویری الکل عباد الله واعمالهم
افعال الله ویراهم مسخرین وذلک ان کان فهو کالبرق الخاطف لا یدوم ویرجع القلب بعد ذلک الی
طبعه ویعود العدو الی منازعته اعنی الشیطان فانه ینازع بالوسوسة فمهما قابل ذلک بکراهیته الزم
قلبه فقد ادی ما کلفه وذهب ذاهبون الی انه لا یاثم اذا لم یظهر الحسد علی جوارحه وروی مرفوعا انه
ثلثة فی المؤمن فهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا یبغی والاولی ان یحمل هذا علی ما ذکرنا من ان یکون
فیه کراهة من جهة الدین والعقل فی مقابلة حب الطبع لزوال النعمة عن العدو وتلک الکراهة تمنعه من
البغی ومن الایذاء فان جمیع ما ورد من الاخبار فی ذم الحسد یدل ظاهرها علی ان کل حاسد اثم والحسد
عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فکل من یحب مساءة المسلمین فهو حاسد فاذا کونه اثما بمجرد حسد
القلب من غیر فعل هو محل الاجتهاد وقد عرفت من هذا ان لک فی اعدائک ثلثة احوال احدها ان تحب
مساءتهم بطبعک وتکره حبک لذلک ومیل قلبک الیه بعقلک وتمقت نفسک علیه وتود لو
کانت لک حیلة فی ازالة ذلک المیل منک وهذا معفو عنه قطعا لانه لا یدخل تحت الاختیار اکثر
منه الثانیة ان تحب ذلک وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانک او بجوارحک فهذا هو الحسد المحظور
قطعا الثالثة وهی بین الطرفین ان تحسد بالقلب من غیر مقتک لنفسک علی حسدک ومن غیر
انکارک علی قلبک ولکن تحفظ جوارحک عن طاعة الحسد فی مقتضاها وهذا محل الخلاف و
الظاهر انه لا یخلو عن اثم بقدر قوة ذلک الحب وضعفه ٥ هذا اخر

کتاب ذم الغضب والحقد والحسد من ربع المهلکات
من المحجة البیضاء فی احیاء الاحیاء
ویتلوه کتاب ذم الدنیا
والحمد لله

کتاب ذم الدنیا

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الذی عرف اولیاءه غوائل الدنیا وافاتها، وکشف لهم عن عیوبها وعوراتها، حتی نظروا
فی شواهدها وایاتها، ووزنوا بحسناتها سیئاتها، فعلموا انه یزید منکرها علی معروفها، ولا یفی مرجوها
بمخوفها، ولا یسلم طلوعها من کسوفها، ولکنها فی صورة امراة ملیحة تستمیل الناس بجمالها، ولها

سو

سوء بنات تهلک الراغبین فی وصالها ثم هی فرارة عن طلابها شحیحة باقبالها واذا اقبلت لا تؤمن
من شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها علی
التفاوت دائرة وتجارة بنیها خاسرة بائرة وافاتها علی التوالی لصدور طلابها راشقة ومجاری
احوالها بذل طالبیها ناطقة فکل مغرور بها الی الذل مصیره وکل متکبر بها الی التحسر مسیره شانها
الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا یخلو صفوها عن شوائب
الکدورات ولا ینفک سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها لا یسوق الا الی الهرم
ونعیمها لا یثمر الا الحسرة والندم فهی خداعة مکارة طیارة فرارة لا تزال تتزین لطلابها حتی اذا
صاروا من احبابها کشرت لهم عن انیابها وشوشت علیهم مناظم اسبابها وکشفت لهم عن مکنون
عجائبها فاذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم بصوائب سهمها فبینا اصحابها منها فی سرور وانعام اذ
ولت عنهم کانها اضغاث احلام ثم عکرت علیهم بدواهیها وطحنتهم طحن الحصید ووارتهم فی اکفانهم
تحت الصعید ان ملکت واحدا جمیع ما طلعت علیه الشمس جعلته حصیدا کان لم تغن
بالامس تمنی اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتی یاملون کثیرا ویبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا
وجمعهم بورا وسعیهم هباء منثورا وکان امر الله قدرا مقدورا والصلوة علی محمد عبده ورسوله
المرسل الی العالمین بشیرا ونذیرا وعلی من کان من اله واصحابه له فی الدین ظهیرا وعلی الکافرین
نصیرا وسلم کثیرا اما بعد فان الدنیا عدوة لله وعدوة لاولیاء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها
لله فانها قطعت الطریق علی عباد الله ولذلک لم ینظر الله الیها منذ خلقها واما عداوتها لاولیاء الله
تعالی فانها تزینت لهم بزینتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتی تجرعوا مرارة الصبر فی مقاطعتها واما
عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمکرها وکیدها واقتنصتهم بشباکها حتی وثقوا بها وعولوا
علیها فخذلتهم احوج ما کانوا الیها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاکباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد
الاباد فهم علی فراقها یتحسرون ومن مکائدها یستغیثون ولا یغاثون بل یقال لهم اخسؤوا فیها ولا تکلمون
اولئک الذین اشتروا الحیوة الدنیا بالاخرة فلا یخفف عنهم العذاب ولا هم ینصرون واذا عظمت غوائل
الدنیا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقیقة الدنیا ما هی وما الحکمة فی خلقها مع عداوتها وما مدخل
غرورها وشرورها فان من لا یعرف الشر لا یتقیه ویوشک ان یقع فیه ونحن نذکر ذم الدنیا وامثلتها
وحقیقتها وتفصیل معانیها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الی اصولها وسبب انصراف
الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله بیان ذم الدنیا الایات الواردة فی ذم الدنیا و

با

اخبار النبي في ذم الدنيا

وامثالها كثيرة واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود بعث
الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار
الواردة فيها فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه واله مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة
الميتة هينة على صاحبها قالوا نعم من هوانها القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله تعالى
من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال
عليه السلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ع الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها و
عنه عليه السلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال ع
حب الدنيا راس كل خطيئة وقال ع يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور و
روى ان رسول الله صلى الله عليه واله وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت
على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل
تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال ع ان الدنيا حلوة خضرة وان
الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية

اخبار عيسى

والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلم لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا
كنزكم عند من لا يضيعه لكم فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وقال ايضا يا معشر الحواريين
اني قد اكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله تعالى قد عصي
فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا
ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم الدنيا
وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم في الدنيا فانهم
لم يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا
طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا لا تطلبه الاخرة

تكلم سليمان مع العابد

حتى يجيء الموت فياخذ بعنقه وعن النبي صلى الله عليه واله ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا
وانه لم ينظر اليها منذ خلقها وان سليمان بن داود عليهما السلم مر في موكبه والطير تظله والجن والانس
عن يمينه وعن شماله قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا
عظيما قال فسمع سليمان فقال التسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود
يذهب والتسبيحة يبقى وقال الحكيم الكاشي يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت

فاصبت

فامضيت او اكلت فافنيت ولبست فابليت وقال عليه السلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين
له وقال عليه السلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا
ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال
رسول الله صلى الله عليه واله الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله لا ينظر اليها و
يقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك
لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروى ان الله تعالى لما اهبط ادم من الجنة الى الارض قال له ابن للخراب
ولد للفناء وروى في اخبار ادم انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا
في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله
تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اي شيء تريد قال اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له
فاي مكان تريد ان تضعه ام على الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى
ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال عليه السلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال
تهامة فيؤمر بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصومون ويصلون وياخذون
هنة من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال ع في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين
بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا قد خلقت لكم
وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او
النار وقال عيسى عليه السلم لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء
واحد وروى ان جبرئيل ع قال لنوح يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت
من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلم لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال
نبينا احذروا الدنيا فانها اسحر من هروت وماروت وروى انه خرج ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم
من يريد ان يذهب الله عنه العمى وطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا و
قصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى من غير هداية الا انه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك
الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان
منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر

على العن لا يريد بذلك الا وجهه اعطاه الله بذلك ثواب خمسين صديقا وروى ان عيسى عليه السلم اشتد به
المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب بيتا يلجا اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة
فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده على راسه وقال الهي جعلت لكل شيء ماوى
فاوحى الله اليه ماواك في مستقر من الرحمة لازوجنك يوم القيمة الف حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن
في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا
عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى ع ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويثق بها وتخذله
ويل المغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا
عمله كيف غدا يفتضح بذنبه وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلم يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني
مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله بعث ابا عبيدة بن الجراح
فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله
فلما انصرف رسول الله ص تعرضوا له فتبسم رسول الله ص حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة
قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني
اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم
كما اهلكتهم قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه واله ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج
ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض فقال زهرة الدنيا وقال ع لا تشغلوا
قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام
بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة
ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله اليه
اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فا
فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في هاوية
قال وكيف ذلك قالوا لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي
لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام
من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم
فلما نزل بهم العذاب فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكب فيها فقال المسيح للحواريين لا كل

لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وروى
ان ناقة رسول الله صلى الله عليه واله العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقتها فشق ذلك على
المسلمين فقال رسول الله ص انه حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلم
من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى بن مريم ع علمنا علما واحدا
يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه واله لو
تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدرداء من
قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات ولبكيتم على انفسكم ولتركتم اموالكم بلا حارس لها ولا
راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك
باعمالكم فصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم
لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على
البر لتحاببتم ما لكم تتناصحون في امر الدنيا ولا تتناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة
لمن يحبه ويعينه على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها
كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون
العاجلة من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراق في طلب امر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم به محمد صلى
الله عليه واله فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تتبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه
وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب و
تقيمون عليها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينكم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالكم
اني لا ارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة
ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل وبنت مراعيكم على الدين وتصافيتم على رفض الاجل
لوددت ان الله اراحني منكم فالحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد
اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلم
يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا
وفي معناه قيل ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين

عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا البر تركك
للدنيا ابر وقال عليه السلم لتاتينكم بعدى دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى
موسى يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتينى بكبيرة هى اشد عليك منها ومر موسى برجل وهو
يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه
مع دموع عينيه حتى تسقط لم اغفر له وهو يحب الدنيا وقال على عليه السلم من جمع ست خصال لم
يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اوطامن عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق
فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال رجل لعلى عليه السلم
يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف لك من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر
فيها حزن ومن استغنى فيها فتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العذاب وقيل له عليه السلم ذلك مرة فقال
اطول او اقصر فقال قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال عليه السلم انما هى ستة اشياء مطعوم
ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات
الماء يستوى فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه
يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهى مبال فى مبال والله ان المراة ليزين احسن شىء منها ويراد
اقبح شىء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان فصل اول ومن طريق الخاصة عن اهل
البيت عليهم السلم فى ذم الدنيا ما فيه بلاغ لقوم عابدين وسيما عن مولانا امير المؤمنين عليه السلم وما
من كتاب نهج البلاغة من كلماته عليه السلم فى هذا الباب وقد اسلفنا كلاما له عليه السلم منه فى كتاب العلم من
ربع العبادات عند ذكر علامات علماء الاخرة وفى الكافى عن ابى عبد الله عليه السلم قال خرج النبى صلى الله عليه و
اله وهو محزون فاتاه ملك ومعه مفاتيح خزاين الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزاين الارض يقول لك
ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان ينقص شيئا عندى فقال رسول الله صلى الله عليه واله
الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل فقال له الملك والذى بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام
يقوله فى السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه عليه السلم قال مر رسول الله صلى الله عليه واله بجدى اسك
ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوى هذا فقالوا لعله لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبى
والذى نفسى بيده الدنيا اهون على الله من هذا الجدى على اهله وعنه عليه السلم قال قال رسول الله
ان فى طلب الدنيا اضرارا بالاخرة وفى طلب الاخرة اضرارا بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها احق بالاضرار
وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما لى وللدنيا وما انا والدنيا انما مثلى ومثلها

كمثل

كمثل راكب رفعت له شجرة فى يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلم قال ما اعجب رسول
الله صلى الله عليه واله شىء من الدنيا الا ان يكون جائعا خائفا وعنه عليه السلم قال ان فى كتاب
على عليه السلم انما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفى جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل
ويهوى اليها الصبى الجاهل وعنه عليه السلم قال كتب امير المؤمنين عليه السلم الى بعض اصحابه يعظه
اوصيك ونفسى بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فانه من اتقى الله تعالى
عز وقوى وشبع وروى ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين
الاخرة فاطفا بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها وجانب شبهاتها واضر والله
بالحلال الصافى الا ما لا بد منه من كسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته من اغلظ ما يجد و
اخشنه ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء فجد واجتهد
واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله له من ذلك قوة فى بدنه وشدة فى عقله
وما ذخر له فى الاخرة اكثر فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمى ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك
ما بقى من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلكم باقامتهم على الامانى والتسويف حتى
اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد
والاهلون فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال اعاننا الله
واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وعن ابى جعفر عليه السلم قال قال على بن الحسين عليهما السلم
ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة
ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة الا ان الزاهدين
فى الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق
الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه
المصايب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة فى الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار فى النار معذبين
شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى
راحة طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون فى فكاك
رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر
فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن عبيد الله
ابن شهاب قال سئل على بن الحسين عليهما السلم اى الاعمال افضل عند الله فقال ما من عمل بعد معرفة الله

ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصى الله به
الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحوا حين قال
تعالى لهما كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل
ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة به اليه ثم الحسد وهي معصية
ابن ادم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب
الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة
ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنيان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن جابر قال دخلت على ابي
جعفر عليه السلم فقال يا جابر والله اني لمحزون واني لمشغول القلب قلت جعلت فداك وما شغلك
وما حزن قلبك فقال يا جابر انه من دخل قلبه ما في خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا
وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم
يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال
ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل الفكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله تعالى
ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك
واعلم يا جابر ان اهل التقوى ايسر اهل الدنيا مؤنة واكثرهم لك معونة تذكر فيعينونك وان نسيت
ذكروك قوالون بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم
ونظروا الى الله تعالى والى محبته بقلوبهم وعلموا ان ذلك هو المنظور اليه لعظيم شانه فانزل الدنيا
كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء اني انما
ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله من
دينه وحكمته ولا تسالك عما لك عنده الا ما له عند نفسك فان تكن الدنيا على غير ما وصفت لك
فتحول الى دار المستعتب فلعمري لرب حريص قد شقي بحرصه اتاه ولرب كاره لامر قد سعد به حين اتاه
وذلك قوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين وعنه عليه السلم قال مثل الحريص على الدنيا
كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وعنه عن عبد الله بن
القسم عن ابي عبد الله عليه السلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره
عيوبها ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والاخرة وقال ما طلب احد الحق بباب افضل من الزهد في
الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق قلت جعلت فداك مماذا قال من الرغبة فيها وقال الا من صبار

كريم فانما هي ايام قلائل الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا قال وسمعت
ابا عبد الله عليه السلم يقول اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند اهل الدنيا
كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره قال وسمعته يقول ان القلب اذا
صفا ضاقت به الارض حتى يسمو وعنه عليه السلم قال جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي
من اكل الدنيا وعنه عليه السلم قال من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه
وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالما الى دار السلام وعنه عليه السلم قال
مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد به عطشا حتى يقتله وعن ابي ابرهيم عليه السلم
قال قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى
بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحديهما وارتدي بالاخرى وعن الرضا عليه السلم قال قال عيسى بن مريم
للحواريين يا بني اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم
اذا اصابوا من دنياهم **فصل** قال ابو حامد في الاثار قال لقمان يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق
فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله
لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل
قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة او غداء يوم فلا تهلك نفسك في
اكله وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان
كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله
قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ، فسوف لعمري عن قريب
يلومها ، اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ، وان اقبلت كانت كثيرا همومها ، وقال بعض الحكماء كانت
الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها
منها على وامابنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا
تعطي احدا الا ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص وقال اخر اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت
في غير اهلها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبك ويأخذك
وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى
على ذهب يفنى كيف وقد اخترنا ذهبا يبقى على خزف يفنى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف

في الوديعة

العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس
الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل وما المال والاهلون الا
ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت لهم
اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم ذكرها الا من احب شيئا اكثر ذكره وقيل لابراهيم
ابن ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فطوبى لعبد اثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع وقيل ايضا ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما وقيل ايضا هب الدنيا تساق اليك عفوا
اليس مصير ذاك الى انتقال وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن بالزوال وقال لقمان لابنه
يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير
لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس
ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم وقيل
يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم وقال ابو
الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الله الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل وما الناس
الا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب
صديق وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي
كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سيارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها
فينبغي لك ان لا تامن النار وقال ابو امامة الباهلي لما بعث النبي صلى الله عليه واله اتت ابليس
جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي
ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه و
امساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقيل اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال
وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة
فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار
تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال بعضهم عجبا لمن يعلم ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان

ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر
حق وقدم على معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدتها فقال
سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم بيوم وليلة بليلة يولد مولود ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا
الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له معوية سل ما شئت قال عمر مضى فرده او اجل حضر فتدفعه قال
لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما سأله طول الوقوف بين يديه
وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيئا يسوءك وقال اخر لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا
الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد
قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والاخرة
فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت
فاجرا قد سبقك اليها وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له والاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال
حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال ابرهيم
ابن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان
الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي تحبه في الاخرة كانك تحبه في اليقظة وقال
يحيى بن معاذ العلماء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه
وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقيل من اقبل
على الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع بها ومن اقبل على الله تعالى احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته بيان المواعظ في ذم
الدنيا وصفاتها خطب علي عليه السلم يوما فقال في خطبته اعلموا انكم ميتون ومبعوثون بعد الموت وموقوفون
على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة
فكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها
منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور واحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء
فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور
وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول
منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة وخامدة من بعد طول تقلبها
واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور

تعجب
سؤال معوية رجل من الدنيا
سؤال طول الوقوف
نائب في الدارين
ذاك خير ولكن الدار الاخرة وانا احب
العلماء ثلثة
بيان شوم الدنيا

والاجداد المستبعة في القبور اللاطئة الملحدة محلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين اهل
محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما كان بينهم من قرب
الجوار ودنو الدار بالديار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى واكلتهم الجنادل والثرى
واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب
هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه
من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم
الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لا
شفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنهم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى
كل نفس بما كسبت ان الله يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه جعلنا واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه واحبائه حتى
يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال عليه السلم ايضا في خطبته اوصيكم بتقوى الله
والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسادكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم
ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري
حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا
لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه
غافل وليس بمغفول عنه **اقول** وفي الكافي عن ابي عبد الله عليه السلم قال فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلم
يا موسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك
لتنظر لها اذا لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه
واترك من الدنيا ما بك الغناء عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها موكل الى نفسه واعلم ان كل
فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا
تغبطن احدا برضا الناس حتى تعلم ان الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة
الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه وعنه عليه السلم قال فيما وعظ به لقمان ابنه
يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستاجر
قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف عملك واستوف اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت
في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت

عليها وتركتها ولم ترجع اليها اخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسال غدا اذا
وقفت بين يدي الله تعالى عن اربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما انفقته
فتاهب لذلك واعد له جوابا ولا تاس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها
لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة
في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد وعنه
عليه السلم قال كان ابوذر رحمه الله يقول في خطبته يا مبتغي العلم كان شيئا من الدنيا لم يكن شيئا الا ما ينفع
خيره ويضر شره الا من رحم الله يا مبتغي العلم لا يشغلك اهل ولا مال عن نفسك انت يوم تفارقهم كضيف
بت فيهم ثم غدوت عنهم الى غيرهم والدنيا والاخرة كمنزل تحولت منه الى غيره وما بين الموت والبعث الا
كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا مبتغي العلم قدم لمقامك بين يدي الله تعالى فانك مثاب بعملك كما تدين تدان
يا مبتغي العلم **قال** ابو حامد قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا
تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها و
فتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة
والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها
دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت
وخيرها يفوت واستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل
على الدواء من دليل وهل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان
اوصى وماله قد احصى ثم يقال قد ثقل لسانه ولا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك
وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل
لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك
القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك
فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك
وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته منها لانه يتوقع
آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او يأتي سلطان فيهدمه من القواعد او يدب الى جسمه فيسقمه
او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا
هي تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذا ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء

اذ فبطتها بالاسترداد تعقد التاج براس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب
وبقاء ما بقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وقال وهب بن منبه لما بعث الله
موسى وهرون الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق
ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هى زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين
ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكنى
ارغب بكما عن ذلك فازوى ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائى انى لاذودهم عن نعيمها كما يذود
الراعى الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة وانى لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعى الشفيق عن مبارك الغرة
وما ذلك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى اوليائى بالذل
والخشوع والخوف والتقوى تنبت فى قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى
يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون وبجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم
الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك
واعلم انه من اذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انى ثائر له يوم القيمة وقال بعض الحكماء الايام سهام
والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخرمك بلياليه واياميه حتى يستغرق جميع اجزائك
فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام منك
من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار
وبالسلو عن غوايل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصف
لعيوبها وظاهر افعالها وما ياتى به من العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله ترشدا الى الصواب
وقال بعض الحكماء وقد استوصفا الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك
لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه
ساعته واحداثه يتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل
وتقلب الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب بعضهم فقال يا ايها الناس
انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون فانكم هلكى وقيل لمحمد بن الحسين لما علم
اصل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة
قليلة وان رسول الله زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها وقال كلوا منها قصدا وقدموا افضلها فاخذوا
منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا

الى الدنيا بعين انها فانية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى
الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها
بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم
باب صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء
تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها
قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانها متحرك ساكن متحرك
فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند
بعضهم انشد وقال احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن على عليهما السلام يتمثل بهذا البيت
يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زايل حمق وكان يروى انه له ويقال ان اعرابيا نزل
بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس
فانتبه وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوما ان ظلك زايل ولذلك قيل وان
امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور مثال اخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس
منها بعدها فلا يشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله الدنيا حلم واهلها عليها مجازون
معاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسى والدنيا الا كرجل نام فراى فى منامه ما يكره وما يحب
فبينا هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس فى ايديهم شئ مما ركنوا اليه
وفرحوا به وقيل لحكيم اى شئ اشبه بالدنيا فقال احلام النايم مثال اخر للدنيا فى عداوتها لاهلها
واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهى كامرأة
تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها فى صورة عجوز
هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت
بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا
واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا فى مخالفتها باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة
الظواهر قبيحة السراير وهى تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا
القناع عن وجهها تمثل لهم قبايحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها و
عن ابن عباس قال يؤتى بالدنيا يوم القيمة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها
فيشرف على الخلايق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى

مثل الدنيا في الآخرة باب في احوال جهنم

تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي
يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بن عياض
بلغني ان رجلا عرج بروحه الى السماء فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب وإذا
لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء راه الناس واذا اقبلت كانت اقبح شيء راه الناس
عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا واعاذك الله مني حتى تبغض
الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان لك احوالا ثلثة
حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو بعد موتك
الى وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها و
انسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلعم
ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب في يوم صائف فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها
ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية
بل لا يبني لبنة على لبنة وتوفي رسول الله صلى الله عليه واله وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
وراى بعض اصحابه يبني بيتا من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك الا هذا واشار عيسى عليه السلام
حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فان الحيوة معبر الى الآخرة والمهد هو
الميل الاول على القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة
ومنهم من قطع ثلث القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف
كان فلا بد من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل و
الخذلان مثال آخر للدنيا في لين مأخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة
لينة يظن الخائض فيها ان حلاوة حفظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل و
الخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي عليه السلام الى سلمان الفارسي رحمه الله مثالها فقال مثل
الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها
لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور
اشخصته عنه مكروهة والسلام مثال آخر للدنيا وتعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال
النبي صلى الله عليه واله انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا
يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها

اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم

بيان قصر عمر الدنيا

في انها قنطرة

تشبيهها بالحية

صاحب الدنيا كالماشي في الماء

عن بواطنهم

عن بواطنهم منقطعة وتلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها
فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة
في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض
الى الطعام فلا يلتذ به من شدة المرض كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما
يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم
ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يتخرق او ييبس يوشك ان
يكون وعاء العسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون
اوعية للحكمة وقال نبينا انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه
طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق
عن النبي صلى الله عليه واله مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره
فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال آخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عم
مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال آخر لمخالفة آخر
الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوة الاطعمة
في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة
اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان
رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي
بها عند الموت اشد بل في الدنيا مشاهد فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتكون مصيبته والمه
وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكلما كان عند الوجود اشهى عنده والذ
فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا فقد روي ان النبي صلى الله عليه واله قال
للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب اللبن عليه والماء قال بلى قال
فالى ما يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال فان الله تعالى قد ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن
آدم وقال ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا فانظر الى ما يخرج من ابن
آدم وان قزحه وملحه قيل قد رايتهم يطيبونها بالافاوية والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقيل لبعضهم اذا قضى احدنا حاجته ينظر الى ذلك قال
ان الملك يقول له هذا ما بخلت به انظر الى ما ذا صار مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله

تشبيهات الدنيا

مثال ما بقي من الدنيا

تشبيهها بماء البحر

في نضارة اوائلها وخبث عواقبها

في ان مثال الدنيا لما يصير اليه المطعوم

ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل مثال آخر للدنيا
واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في
غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم
مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف
المقام خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها
وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة فصار يلتقط
من احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش
السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوت السفينة فرجع اليها
فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها
ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة
ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها
فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج في
الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منها حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل
تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من
السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه
وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من
الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا
فبقي على شاطئ البحر حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته
السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات
وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والحجارة المزهرة
فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت
تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار وظهر نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه متاذيا بنتنها
ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن
الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة
المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اول وجد المكان الاوسع

ووصل

ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم
ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي
الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الحياة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا
ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالخوف والحزن عليه وهذا هو حال الخلق كلهم الا من عصمه الله
تعالى مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول استعتى في تحذيرهم اياهم غوائل الدنيا روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء
حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة
لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب
عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم قالوا على
ما ترى قال ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم و
مواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا
فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل فقالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى
رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا
قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم
في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من
بين اسير وقتيل مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من
الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد
فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه فجهل رسمه فظن انه
قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع
به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت
على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ولا يصرفون
اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها اقول
وههنا مثال آخر اورده شيخنا الصدوق في كتاب كمال الدين واتمام النعمة ناقلا عن بعض الحكماء
لا باس بايراده وهو هذا مثال آخر ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده
من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه

تشبيه صاحب الدنيا بمن علق في البئر

وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر
البئر جرذان ابيض واسود لايزال يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولايفتران عن قرضه آنا من الآنات
وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل
قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه
ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله بأجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما
فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار
القارضان للاعمار والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام والزنابير
هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية
والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والغواية **بيان** حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة

حقيقة الدنيا

ذم الدنيا لايكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب وما الذي لا يجتنب
فلابد ان تبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله فنقول دنياك
وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت و
المتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب ولذة وشهوة في
عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم
بل هي ثلثة اقسام القسم **الاول** ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم و

دنيا الممدوح

العمل فقط واعني بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وحكمته وملئكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه
وسماواته والعلم بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير
ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا
عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة
وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه
حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم
ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل
عاجل فاسم الدنيا يطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك و

وجه جعله الصلوة من ملاذ الدنيا

قد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا
وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك

دنيا المذموم

الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض
الا للدنيا المذمومة فنقول هذه من الدنيا القسم **الثاني** وهو المقابل للقسم الاول على الطرف الاقصى
كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة
على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور
والدور المشيدة ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعد
فضولا او في محل الحاجة نظر طويل القسم **الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين
على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للانسان
البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم
الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا
ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني

تفسير قوله الباقيات الصالحات

وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس
الدنيا والانس بذكر الله وحب الله تعالى واعلم ان صفاء القلب وطهارته لا يحصل الا بالكف عن شهوات
الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل
المعرفة الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما
طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الخبر
ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه
جاء الصدقة تدفع عنه الحديث فاما الانس والحب فهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه
السعادة قد تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون
القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة
جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين المحبوب فقدم مسرورا سالما من الموانع آمنا من
الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل
بينه وبينه وسدت طرق الحيلة في الرجوع اليه وقد قيل في ذلك ما حال من كان له واحد يؤخذ منه
ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك طريق الآخرة
هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا و

ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت
والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذ العبد من
الدنيا للاخرة ولم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على قصد التنعم
وبحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى
ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى و
يعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا
عذاب فمن نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله حلالها حساب وحرامها عذاب
وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات
العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب
وقس بحالك في الدنيا اذا نظرت اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات
مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات
لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الازمان والدهور دون غايتها وكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت
من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فهو ينقص من حظه في الاخرة اضعافه والتعرض لجواب
السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ فالدنيا قليلها وكثيرها
حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته
اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ
تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمن عليه السلم في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة
وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة
مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه واله فكان يطوى اياما وكان
يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل
كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه
الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو الدنيا و
ما هو لله فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان
يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعم في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة
فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن

الشهوات

عن الشهوات فهذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله وليست من
الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان
الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا
بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله ومنها ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناه لله و
ذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا
وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال من طلب من
الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه
جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل
الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي الماوى واعلم ان مجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة
سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب فقد عرفت ان كل
ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به وجه الله
والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة
يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب
منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر و
التقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى حد
الضرورة حتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب
دارهم فياتي عليه السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياوي الى منزله
بعد العشاء الاخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب حشفة خباه لافطاره فان اصاب ما
يقوته من الحشف تصدق به بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته
وكان لباسه ما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض
ثم يلبسها وكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترموني فيخضب دمي وقت الصلوة ولا اصيب الماء وهكذا

كانت سيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وآله أمره فقال إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن
اشتاق إليه ولما ولي عمر بن الخطاب قال يا أيها الناس من كان منكم أهل العراق فليقم فقاموا قال
اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فليقم فقاموا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فليقم فقاموا قال اجلسوا
إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت فقال نعم فقال أتعرف أويس بن
عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسأل عن ذلك والله ما فينا أحمق منه ولا أجن منه ولا أحوج منه
ولا أدنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت إلا أني سمعت رسول الله يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة
ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب
أويسا القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه فوجدته جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ
ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية
عليه إزار من صوف ورداء من صوف متغير اللون جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد
علي ونظر إلي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت
رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من
حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى ثم قال وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلك علي
قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه إن كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله
ما رأيته قبل ذلك ورآني فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم
الخبير عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين
ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت
بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله بحديث أسمعه منك قال إني لم أدرك رسول الله
ولكن رأيت رجالا قد صحبوه ولم يكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلغني
من حديثه نحو ما بلغك ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا في
نفسي شغل شاغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك وادع
لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك فإني أحبك في الله حبا شديدا قال فقام وأخذ بيدي على
شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي وأصدق
الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قال وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي

عليه

عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك ويوشك أن تموت أنت فإما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم
وماتت أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الله ومات داود خليفة
الرحمن ومات محمد رسول رب العالمين ومات أبو بكر ومات عمر ثم قال واعمراه قال فقلت رحمك الله إن
عمر لم يمت قال قد نعاه إلي ربي ونعاه إلي نفسي ثم قال أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي
صلى الله عليه ثم دعا لي بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونعي الصالحين
المؤمنين فقد نعيت إلي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر
قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فيفارقك دينك وأنت
لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من
أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان
وضم إليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما
أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال أستودعك الله يا هرم بن حيان والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله لا تطلبني فإني أكره الشهرة والوحدة أحب
إلي إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم أنك مني
على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وأدعو لك انطلق أنت ههنا حتى أنطلق
أنا ههنا فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى علي وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل
بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت
سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان ذم الدنيا ومن سيرة الأنبياء و
الأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله تعالى من ذلك وضد الدنيا
الآخرة وهو كل ما أريد به وجه الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله
فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو أن الحاج في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل تجرد له لو حلف
اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا
بغير الحج فكذلك مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم
والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن الآخرة
ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاويا فسمعت
الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم يقول ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله

عن قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق
حتى انستهم انفسهم وخالقهم وموردهم ومصدرهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان
فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك
اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل
فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا
عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبها الادمي للاقتيات و
التداوي واما المعادن فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب
والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها
للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الانسان ليستخدمهم
ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بغرس فيها التعظيم
والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها
بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس و
القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللالي
واليواقيت والخيل المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هي
اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه وحظه منها وانصراف همه اليها
حتى يصير قلبه كالمحب او العبد المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والبخل والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر
والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية
مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات
والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومابهم ومنقلبهم لهاتين العلاقتين علاقة
القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان
هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله واعني بالدابة البدن فانه
لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في

في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها
وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى يفوته القافلة و
هو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير
لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى
الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الاخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل
بيت الماء الا للضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البدن وبين اخراجه من البطن واكثر ما شغل الناس
عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى
هذه الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية
محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية
حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق
عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال
التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلثة القوت والمسكن و
الملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع ذلك ولدفع اسباب الهلاك عن
الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق
ذلك للبهائم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في ابدانها فيستغني عن البناء و
يقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة
لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والا
قتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
فللمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلق الله من صيد
او معدن او حشيش وحطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل
ما نبت ونتج بنفسه من غير صنعة ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما انخلق فيها من غير صنعة
ادمي ونعني بالاقتناص من غير صنعة الادمي ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات
افتقرت الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والالات انما توخذ اما من النبات و
هو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع

احز من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل على خشب
كيفما كان وبالحداد كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس
فاما احاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات
ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما
حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون
على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل
بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان
يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كبيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة
وحده وهو محتاج الى الالات ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك
كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك
امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماعات ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر و
البرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد اهل كل بيت به وبما معه من الالات والاثاث
والمنازل لدفع الحر والبرد ولدفع اذى الجيران باللصوصية وغيرها ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة
من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل
فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في البلاد والمنازل وتعاملوا تولدت بينهم خصومات
اذ يحدث بينها رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى
القوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة
المخاصمة وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا
فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب
الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد
يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم او تعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا
لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدثت
بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخر فمنها صناعة المساحة التي بها يعرف مقادير
الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم و
منها صناعة الحكم والتوسط بينهم لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي

ان ينضبط

ان ينضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات
وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز
واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل
البلد بالحرب مع الاعداء تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت
تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الخلق فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال
الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل
ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل
البلد باموالهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات
اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي
منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من
يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام
فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي
النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب
الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم
اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال
ثم هؤلاء يحتاجون الى المعيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل
وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون
والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم
العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا
امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية
لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات
الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهو الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت
والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان
كالكلب آلة للصيد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما

فيسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج
الفلاح اليهما ويحتاجان اليه فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك
بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت
فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطر الى حانوت يجمع آلة كل صنعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات
والى ابيات يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منه صاحب الابيات ويترصد به ارباب الحاجات فظهر
لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها
انتظارا لارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد و
القرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون بها فيتعيشون بها لتنتظم
امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا يوجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى
البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل
والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما
سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا
انتظم بالغفلة وخساسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت
المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى
دواب يحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة و
يصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشتري
طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة
كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عادل يتوسط بين المتبايعين
يعدل احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة
اليه تدوم وابقى المال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب
والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال
بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن
مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه مانع
فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان يأكل مما يسعى فيه غيره فتحدث منه حرفتان خسيستان
اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما يأكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون عن اللصوص والمكدين

ويحفظون

ويحفظون منهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدبيرات اما اللصوص فمنهم من
يطلب اعوانا ويكون في يده شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد
واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون
طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما
المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى شيئا
فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة
كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض
واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة
يلتمسون افعالا واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخوا برفع اليد عن قليل
من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة مثل النوارج والنجا وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع
مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تأثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كا
شعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت عليهم السلام او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة
كصنعة الطبالين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشائش التي من
يخيل انها ادوية فيخدع بها الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال والزجر من المنجمين ويدخل في هذا
الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب
العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل
المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجات الى القوت
والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى
عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم
على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود
ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون
ليكسبوا ويكسبون ليأكلوا فهذه مذاهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين
فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت
وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو ان ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا

بل السعادة فان يقضي وطره من شهوات الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء طائفة نسوا
انفسهم وصرفوا همهم الى اتباع الشهوات وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا
نالوا ذلك فقد ادركوا غايات السعادات فيشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر وطائفة يظنون ان السعادة
في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول
الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون الا قدر الضرورة شحا
وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض
او يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها وحسابها ثم ان
الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك في اشباههم وامثالهم ولا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة
في حسن الاسم وانطلاق الالسن بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون
على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة ويزخرفون
ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك
هو السعادة فهمتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في
الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا همتهم الى استجرار الناس الى
الطاعة بطلب الولاية وتقلد الاعمال السلطانية لينفذوا امرهم بها على طائفة من الناس فهؤلاء شغلهم
ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية
المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم
عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوائف يطول حصرها
تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن سواء السبيل انما جرهم الى جميع ذلك حاجة
المطعم والمسكن والملبس فنسوا ما يراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم
اوائل اسبابها الى اواخرها وتداعت لهم الى مهاوي لم يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى
الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وحظه
ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه
سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد
له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية
فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان

الى المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان فلم يتركهم و
اضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة
دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب ان يقتلوا انفسهم للخلاص
من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من عباد الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق
ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من
اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا
على المجاهدة فشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن و
بعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه
الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد والزندقة وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله
لله وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات
وسلكوا مسلك الاباحة فطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا
ان الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها
الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة
وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا
مذاهب باطلة وضلالات هائلة وجهالات فاسدة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما
الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وهو ان لا
يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيؤخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع
منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك
كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده
فيؤخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ به من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة
كذلك حتى اذا فرغ القلب عن شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر و
بقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك
الا بالاقتداء بالفرقة الناجية **اقول** قد عرفت معنى الفرقة الناجية من كتاب قواعد العقائد من
ربع العبادات **قال** وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلنا من قبل فانهم ما كانوا يأخذون
الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط

بل كانوا بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله كما سبق
ذكره فى مواضع والله المستعان لا رب سواه وصلى الله على محمد واله اجمعين هذا اخر كتاب
ذم الدنيا من ربع المهلكات من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء
ويتلوه ان شاء الله كتاب ذم المال والحمد لله اولا
واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله
على محمد واله

كتاب ذم المال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذى خلق الخلق ووسع الرزق وافاض
على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر
والطمع واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح با
لموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل
واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن
الاخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلوة على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى
بشريعته اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان
فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها
واعظم فتنة فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد حصل منه الفقر الذى
يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة هو لا
يخلو من الفوايد والافات وفوائده من المنجيات وافاته من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التى
لا يقوى عليها الا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم
على الانفراد فان ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة والدنيا
يتناول لكل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها
وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل
ما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الان فى هذا الكتاب وحده اذ فيه افات وغوائل وللانسان من فقده
صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنا وهما حالتان بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة

والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع ما فى ايدى الناس او تشمر للحرف والصناعات
مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما
مذموم والاخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة
وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه فى فصول وهى اربعة عشر فصلا وهى بيان ذم المال
ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وافاته ثم بيان ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص ثم فضيلة السخاء ثم حكايات
الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع
الوظايف فى المال ثم ذم الغنا ومدح الفقر **بيان** ذم المال وكراهة حبه قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال الله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية وقال الله تعالى
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر وقال رسول الله صلى الله عليه واله حب المال والشرف ينبتان النفاق
كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلم ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال و
الجاه فى دين الرجل المسلم وقال هلك الاكثرون مالا الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل
ما هم وقيل يا رسول الله اى امتك اشر قال الاغنياء وقال عليه السلام سياتى بعد قوم ياكلون اطايب
الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل و
الوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون
اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن
عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا
يتبع جنايزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلم دعوا الدنيا
لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال ص يقول ابن ادم مالى مالى
وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله
مالى لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع
ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه السلام اخلاء ابن ادم ثلثة واحد
يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فالمال والذى
يتبعه الى قبره فاهله والذى يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلم ما لك
تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما

عندى والمدد سواء وكتب سلمان الى ابى الدرداء يا اخى اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره فانى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه
كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله فىّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكلما
اوردناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنا ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره
وكذا كل ما ذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر
الان ما ورد فى المال خاصة وقال عليه السلام اذا مات العبد قالت الملئكة ما قدم وقال الناس ما خلف
وقال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروى انه وضع على عليه السلام درهما على
كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عنى لا تنفعنى وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعها ابليس
ثم وضعها على جبهته ثم قبلها وقال من احبكما فهو عبدى حقا وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان
لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه
فى حقه وقال ايضا مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما
هما قال يؤخذ منه كله ويسال عنه كله وقيل ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقال العلاء بن زياد
تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان سرك ان يعيذك الله من شرى
فابغض الدينار والدرهم وذلك لان الدرهم هى الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن
صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل انى وجدت فلا تظنوا غيره ان التورع عند هذا الدرهم فاذا
قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم وقال غيره لا يغرنك من المرء قميص رقعه او
ازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا فى مواضع فقال ان
ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما
جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما
رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم
الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه
وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس هو بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب
للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه

عز مذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر
المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر سعادة الاخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم
والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله من اكرم الناس واكيسهم
فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادات لا تنال الا بثلث وسائل فى الدنيا
وهى النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجية
عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية والخارجية اخسها والمال
من جملة الخارجيات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ويرادان لغيرهما ولا يرادان
لذاتهما اذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها
صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن
وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها
وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو
ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف
فائدة الشئ وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع
وكان ما يحصل الغرض محمودا فى حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ
آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة وتسد سبيل العلم و
العمل فهو اذن مذموم ومحمود محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد فى الخبر ولما كانت الطباع
مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على
قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت آل محمد
كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتنى مسكينا واستعاذ ابرهيم
فقال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وفى بعض التفاسير انه عنى به هذين الحجرين الذهب والفضة
اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية فى شئ من الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار
به والركون اليه قال نبينا صلى الله عليه وآله تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس ولا
انتعش واذا شيك فلا انتقش بين ان محبهما عابدهما ومن احب حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله
فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان خفى لا يوجب الخلود فى النار وقلما ينفك عنه المؤمنون

فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار بيان تفصيل آفات المال وفوائده اعلم ان
المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمها فمن عرف غوائلها وفوائدها امكنه
ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة
الى ذكرها لان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فتنحصر
جميعها في ثلثة انواع النوع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في
العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات
والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات
المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم يتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا سبيل
الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية
ولا يدخل فيه التنعم والزيادة من حظوظ فقط النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام
الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب
وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في هدية وضيافة واعانة
وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية
اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف
بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت
اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية
العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع
تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه
فهو له صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة والاحتراز عما يثور من كلامه من
العداوة التي تحمله في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي
يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل
الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة
نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك
ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان
يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير

عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف
المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى
اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة من فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة
من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان و
الاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية
واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية
والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من
المعصية لم يتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة
يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع
القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول
الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة
كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير
التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على
التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر
الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج
الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهي مباشرة
المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد
والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي
ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث وهو الذي
لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران و
لذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير
حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن ذكر الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها
وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في
خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان
في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة

يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشى
وهكذا سائر اصناف المالكين للاموال وابعدها عن كثرة الاشتغال المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر
مترددا فيما يصرف اليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف ممن يعثر عليه وفى دفع اطماع الناس عنه واودية
افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية
سوى ما يقاسيه ارباب الاموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المتاعب
فى حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقى الى الخيرات وما عداه سموم وافات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس عما فى ايدى الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه فى كتاب
الفقر ولكن ينبغى ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى ايديهم ولا حريصا على
اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله
قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوق الى الكثرة
او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق
وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله
لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وعن ابى واقد الليثى كان رسول الله صلى الله عليه واله اذا اوحى اليه اتيناه يعلمنا بما اوحى اليه فجئته
ذات يوم فقال ان الله تعالى يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن ادم واديا من ذهب
لاحب ان يكون اليه الثانى ولو كان له الثانى لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وقال النبى صلى الله عليه واله منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال
عليه السلم يهرم ابن ادم ويشب فيه اثنتان الامل وحب المال وكما قال ولما كانت هذه جبلة للادمى مضلة
وغريزة مهلكة اثنى الله ورسوله على القناعة وقال عليه السلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا
وقنع به وقال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتى قوتا فى الدنيا وقال عليه السلم ليس الغنى عن
كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا فى
الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له فى الدنيا وهى راغمة وروى
وروى ان موسى عليه السلم سأل ربه تعالى فقال اى عبادك اغنى قال اقنعهم لما اعطيته قال فايهم اعدل قال
من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه واله ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا
لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب وعنه عليه السلم اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف

وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وعنه عليه السلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قانعا تكن اشكر الناس واحب
للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه واله عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصارى
ان اعرابيا اتى النبى فقال يا رسول الله عظنى واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن
بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عما فى ايدى الناس وقال عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله
عليه واله تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا او ليس قد بايعناك يا رسول الله
ثم قال الا تبايعون لرسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه وقال قائل منا قد بايعناك على ماذا نبايعك
قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسألوا
الناس شيئا قال ولقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه الاثار قيل
لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادى
يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن
واليأس مما فى ايدى الناس ويروى ان الله تعالى قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وحسابها على غيرك فانا اليك محسن وقيل لبعض الحكماء اى
شئ اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على
دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع
واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد
قيل اروح بال فتى يمسى على ثقة ان الذى قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يورقه وعاتب اعرابى اخاه
على الحرص فقال يا اخى انت طالب ومطلوب يطلبك ما لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكل ما قد
غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا
وقيل اراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت
حسبى قد رضيت وقال الشعبى حكى ان رجلا اصاد قبرة قالت ما تريد ان تصنع بى قال اذبحك واكلك
قالت والله ما اشفى من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هى خير لك من اكلى اما واحدة فاعلمك
وانا فى يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة اما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا
تلهفن على ما فات فخلاها فلما طارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدق بما لا يكون انه يكون ثم
طارت على الجبل وقالت يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى درتين كل واحدة عشرون مثقالا قال

قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة فقال اما انت فقد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة
الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن ما لا يكون الا ان لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا
فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي
فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب
العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب
قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه وشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها
شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء وتمكن
منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم
تعده فلو لم يكن لك حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض
الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على
الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت
له من اين تاكل فقال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحى هو ياتيها بالطحين واومى بيده الى رحى
اضراسه **بيان** علاج الحرص والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة
اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الامر **الاول** وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق
في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه
فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع
باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم
الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد من قصد وقال
عليه السلام ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب
وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين
جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال النبي صلى الله عليه وآله من اقتصد اغناه الله ومن بذر
افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا
والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الا
ضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لابد وان ياتيه

وان لم يشتد

وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو سببا لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله
اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول
ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر
يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعبه في
ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهما لا تياسا من الرزق ما تهززت رؤسكما
فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وآله بابن مسعود
وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتيك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا
في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له وهي من الدنيا
راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل
لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر وقال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا
ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال عليه السلام ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال بعضهم
اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقد الضرورة بل يلقي الله في قلوب المؤمنين ان يوصلوا
اليه رزقه وقال الفضيل قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال
لو لم نعش الا من حيث لا ندري وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا منهما هو لي فان اعجله قبل اجله
لا يصل ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما
بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة
لا بد منه لدفع تخويف الشيطان بالفقر وانذاره **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما
في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق له ذلك انبعث له رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من طمع و
تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه
احد وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والاثم ثم يفوته عز النفس والقدرة
على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه
المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال
النبي صلى الله عليه وآله عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عن

شئت فانت نطرم واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره الرابع ان يكثر تامله
فى تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقاء من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم
ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم
ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق وعلى الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى
يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم
فى الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين فى الملبس والخيل ففى اليهود والنصارى من هو اعلى رتبة منه
وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته الا الانبياء والاولياء الخامس ان يفهم ما فى جمع المال
من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد من الامن
والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا
لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه
فى الدنيا لا الى من هو فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره فى الدنيا الى من هو فوقه فيقول لم تفتر
عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون فى المطاعم والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من هو دونه ويقول
ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس مشغولون كلهم بالتنعم
فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصانى خليلى ان انظر الى من هو دونى لا الى من فوقى اى فى الدنيا
وعنه عليه السلام اذا نظر احدكم الى من فضله الله فى المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل
عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية
صبره فى الدنيا ايام قلائل ليتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه
فى الشفاء بيان فضيلة السخاء اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة
الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من
الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عن النبى صلى الله عليه وآله
حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدليات الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك
الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل قال الله تعالى ان هذا دين
ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما
ما صحبتموه وعنه عليه السلام ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اى
الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وعنه عليه السلام خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى

فاما اللذان

فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل فاذا اراد الله
بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله
دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام و
عنه عليه السلام يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تعيشوا فى اكنافهم فانى جعلت فيهم رحمتى
ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله تجافوا عن ذنب السخى فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وآله الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهى بمطعم الطعام الملائكة
وقال ان الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالى الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله
لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاة كثيرة بين جبلين من شاة الصدقة
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وعنه عليه السلام ان لله عبادا
يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الصادق عليه السلام
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وآله باسارى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على بن
ابى طالب عليه السلام يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال
النبى صلى الله عليه وآله نزل على جبرئيل فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له سخاء فيه
وقال عليه السلام ان لكل شىء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعنه عليه السلام طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء
وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة
عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شىء لا تأكله النار قيل وما هو قال المعروف
وعنه عليه السلام قال الجنة دار الاسخياء وعنه عليه السلام ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل
سخى احب الى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال النبى صلى الله عليه وآله اصنع المعروف الى
من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله
وقال عليه السلام ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام ولكن دخلوها بسلامة الانفس وسلامة
الصدور والنصح للمسلمين وعنه عليه السلام ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب
اليهم فعاله ونشر عليهم اعطاءه كما ينشر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيى بها اهلها وقال عليه السلام
كل معروف صدقة وكلما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى المرء به عرضه فهو صدقة

فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال عليه السلام كل معروف صدقة والدال على
الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه السلام كل معروف جعلته الى غنى او فقير صدقة وروى
ان الله اوحى الى السامري موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله
عليه واله بعثا رئيس عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهد وافتقر فنحر قيس تسع ركايب فحدثوا رسول الله
صلى الله عليه واله بذلك فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت وقال علي عليه السلام اذا اقبلت الدنيا
فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة
فليس ينقصها التبذير والسرف، فان تولت فاحرى ان تجود بها، فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف، وسال
معاوية الحسن بن علي عليهما السلام عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه
وحسن قيامه بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في
المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل
ورفع رجل الى الحسين بن علي عليهما السلام رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت
في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله تعالى عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته
وقال علي بن الحسين عليهما السلام من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا انما السخي من يبتدي بحقوق الله
الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذ كان نفسه بثواب الله تعالى تاما وقال جعفر بن
محمد الصادق عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا
وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللوم والكفر في النار والجود والكرم من الايمان
والايمان في الجنة وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي عليهم السلام يعيب عليه في اعطا
الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى به العرض وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر بهذين البيتين ان
الصنيعة لا تكون صنيعة، حتى يصاب بها طريق المصنع، فاذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله او
لذوي القرابة او دع، فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف
مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا وقال حذيفة رب فاجر في دينه
اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم
قال فقال اما انه ليس لك حتى تخرجه من يدك وفي معناه قيل انت للمال الذي امسكته، فاذا
انفقته فالمال لك، وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة
اعطاها شيئا وقال ابن السماك عجبت لمن اشترى المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض

الاعراب

الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال بعضهم
بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه
عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال بعضهم اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع
معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده حكايات الاسخياء قيل بكى علي عليه السلام يوما فقيل له
ما يبكيك قال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني وسال رجل الحسن بن علي
عليهما السلام حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز
عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت
عني مؤنة الاحتيال والاهتمام بما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية
واعذر على المنع فدعا الحسن عليه السلام وكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات
الفاضل من الثلاثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها
فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهم الحسن
رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله
اجر عظيم وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا
وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة
في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه
الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيات لهم طعاما
فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين
فالمي بنا فانا صانعون لك خيرا ثم ارتحلوا فاقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال
ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم يقولون نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول
المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة
فاذا الحسن بن علي عليهما السلام جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن عليه السلام غلامه
ودعا بالعجوز فقال لها يا امة الله تعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي
انت هو قال نعم ثم امر الحسن عليه السلام فاشتروا لها من شاة الصدقة الف شاة وامر لها بالف دينار وبعث
بها مع غلامه الى الحسين عليه السلام فقال لها الحسين عليه السلام بكم وصلك اخي فقالت بالف شاة والف
دينار فامر لها الحسين عليه السلام ايضا بمثل ذلك ثم بعثها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال بكم وصلك

الحسن والحسين عليهما السلام قالت بالفى شاة والفى دينار فامر لهما عبد الله بن جعفر بالفى شاة والفى دينار
وقال لو بدات بى لاتبعتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار واجتمع
قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا ان لنا جارا صواما قواما يتمنى كل واحد منا وقد زوج
بنته له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم حتى
ادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه
ما يشغله عن قيامه ادخوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا ما يشغل به مؤمنا عن عبادة ربه
وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وكان ابو طالب بن كثير شيعيا وقال له رجل
بحق على بن ابى طالب لما وهبت لى نخلتك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان
ذلك اضعاف ما طلبه الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله
ما عندى ما اعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسنى
فان اهلى لا يتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعنا اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد
من الحبس وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول
على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل اعلمه فكتب
الشاعر بيتا على خشبة والقاها فى الماء الذى يدخل بستان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة
اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب ايا جود معن ناج معنا بحاجتى فمالى الى معن سواك شفيع قال
فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع
الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل فدفع اليه
مائة الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه وخرج فلما كان فى اليوم الثالث
قراها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم
ولا دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف
فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشى وحدك فقلت اقيك
بنفسى واعوذ بالله ان يطير بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا له بالف دينار
فدفعها اليه وقال له استنفق من هذا فنعم ما ادبك اهلك وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض
اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم فى النوم صاحب
القبر فقال له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبى وكان قد خلف الميت نجيبا معروفا وكان لهذا الرجل بعير

سمين فقال نعم فبايع فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد الرجل الى بعيره فنحره فى النوم فانتبه
الرجل من نومه فاذا ينبع الدم من نحر بعيره فقام ونحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا
فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك
الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بنجيبه فى
النوم وذكر القصة فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابى وقد رايته فى النوم وهو يقول ان كنت ابنى فادفع
نجيبى الى فلان وسماه وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق وقد اقعده
الدهر واضر به المرض فقال له يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى من النفقة فادفعه
اليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى اربعة الاف درهم فذهب ينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال
الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكانى
واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابى معيط داره التى فى السوق بتسعين الف درهم فلما كان
الليل سمع بكاء ال خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار
والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث
ابن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من
رعيتى فقال يا امير المؤمنين ان لى فى كل يوم من غلتى الف دينار واستحييت ان اعطى مثله اقل من دخل يوم
وحكى انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروى ان امراة سالت الليث شيئا من عسل
فامر لها بزق فقيل له انها كانت تقنع باقل من هذا فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة
علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت
شاة عندى وكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسالنى هل استوفت علفها و
كيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل
الى فى علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقيل مرض قيس بن سعد بن
عبادة فاستبطا اخوانه فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان
من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه فى حل قال فكسرت درجته بالعشى
لكثرة من عاده وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشى النيسابورى سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت
الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه
وقلت ولد لى مولود وليس معى شئ قال فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح له بشئ فجاء الى قبر رجل

كان يعرفه ويجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني وردت اليوم وكلفت جماعة دفع شي
لمولود فلم يتفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك
الى ان يفتح لك بشي قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به ورايت ذلك المحتسب تلك الليلة
ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي
يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيه خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد
تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا الدار له وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها
بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي فيه حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا
عليه حمل الدنانير وجاء الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين
فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال
ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى واني رجل صدبها ودق عليه الباب فقال له حيثني فقال على
اربعمائة دينار دينا موزن اربعمائة واخرجها وعاد يبكي فقال التام له لم اعطيته اذ شق عليك فقال
انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به بيان ذم البخل قال الله تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل و
يكتمون ما اتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه واله اياكم والشح فانه اهلك من كان
قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب
ولا خائن ولا سيئ الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال ع ثلث مهلكات شح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلام ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل
المنان والمعيل المختال وقال عليه السلام مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن
ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا اتسعت او وفرت على جلده حتى يخفي بنانه واما البخيل
فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت تراقيه فهو يوسعها ولا
يتسع وقال خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من البخل
واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال عليه السلام اياكم والظلم فان الظلم ظلمات
يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم
الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام شر ما في

مثل السخي والبخيل

الرجل

الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه واله فبكته باكية وقالت
واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه واله وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل
بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه واله ومعه الناس مقفله
من حنين علقت برسول الله الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف فقال اعطوني
ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا
ولا جبانا وقال عمر قسم النبي ص قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم يخيروني بين ان
يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه واله
فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما
صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه واله فاخبره بما قالا فقال له رسول الله ص لكن فلان اعطيته
ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم يسالني فينطلق في مسالته متابطها وهي نار فقال
عمر فلم تعطيهم ما هو نار قال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله
الجود من جود الله فجودوا يجد الله تعالى لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل اسه
راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى فمن تعلق ببعض منها ادخله الجنة
الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل اسه راسخا في اصل شجرة
الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق ببعض منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر و
الكفر في النار وقال السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار ولا
يلج النار الا بخيل وعنه عليه السلام انه قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه
رجل فيه بخل فقال النبي ص واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا
سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنتهمه بالبخل فقال عليه السلام
واي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء بن
المعرور وقال علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند
موته وعنه عليه السلام السخي الجهول احب الى الله تعالى من العابد البخيل وعنه عليه السلام لا يجتمع الشح و
الايمان في قلب عبد وقال عليه السلام ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال لا
ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال عليه السلام يقول فانكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم
عند الله من الشح حلف الله بعزته وجلاله وعظمته لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول

البخيل في حيوته والسخي عند موته

كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي
قال رسول الله صلعم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام
الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي قال
فذنبك اعظم ام العرش قال ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى واجل
قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني
فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اليك عني لا تحرقني بنارك فو
الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك
الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر
في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وقال علي عليه السلام في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما
في يده ولم يؤمر بذلك قال تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عليه السلم ما استقصى كريم قط غرف بعضه
والعرض عن بعض الآثار قال ابن عباس لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال
لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت
انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك
وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقال طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي وجلالي
لا اسكنك بخيلا وقيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقيل ورد على
انوشيروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند
الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال
من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة
يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط الله عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قال لاهل البخل امسك الله ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال
كعب ما من صباح الا وقد وكل الله به ملكين يناديان اللهم اجعل لممسك تلفا وللمنفق خلفا وقال
الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما
يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه قال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلثة ذم البخلاء واكل

العقيد

القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وآله ومدحت امرأة عند
النبي صلعم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب
ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ يأبى القلب للاسخياء الا حبا ولو كانوا فجارا و
للبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا
ابليس في صورته فقال يا ابليس اخبرني ما احب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي
المؤمن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اخاف ان يطلع
الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك **حكاية** البخلاء قيل كان با
لبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب
الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يلتوي فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال
لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض الموت والله لا اتقيأ طباهجة ببيض و
قيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل
هل تحسن شيئا من القرآن قال نعم وقرأ والتين والزيتون وطور سينين فقال اين والتين قال هو تحت
كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت
العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن خالد بن برمك
كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان بالفه عنه وقال له صف مائدته فقال فترة في فتر وصحافه
منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افما يأكل معه احد قال بلى الذباب
فقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها فقال الاشعث
منه لو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاء جبرئيل وميكائيل ومعهما يعقوب يضمنون
عنه ابرة ويسألونه ان يعيرهما اياه ليخيط به قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل ويقال كان ابو مروان
ابن ابي حفصة بخيلا لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله
فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الراس اعرف سعره فامن
خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس
ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا اكل عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا
ودماغه لونا ولسانه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي
فقالت له امرأة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي

ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان
دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فاكلت
كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب
اليه كسرة وملحا اذ سال سائل فقال له بورك فيك فاعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سال
الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا
والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه وهو منذ مدة كذا يدعني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار
وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج
والبذل مع الحاجة اليه اشد وكما ان السخاء قد ينتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فا
لبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة وكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك
يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج الى ذلك فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث
يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة وقال عليه السلام ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت
عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه واله ثلثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا
ولكنا نؤثر على انفسنا ونزل برسول الله صلعم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار
فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه
ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلعم لقد عجب الله من صنيعكم الى
ضيفكم البارحة ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تعالى
والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه واله حتى سماه الله تعالى
عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد
وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكني اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك
وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه من انوارها
وقربها من الله تعالى فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار
يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته في جنتي حيث يشاء

وقيل

وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام
بقوته ودخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث
فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي
بارض كلاب وانما جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا
فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الالات
واعتق الغلام ووهبه له وقيل اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله راس شاة
فقال ان اخي كان احوج مني فبعث اليه به فلم يزل يبعث الواحد الى الواحد الاخر حتى تداوله سبعة
ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه واله فاوحى
الله الى جبرئيل وميكائيل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه
بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة واحباها فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اني اخيت
بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه
من عدوه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن
ابي طالب يباهي الله بك الملئكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
رءوف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب
الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما
رفع الطعام فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة
جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة
العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته
ومسحت به وجهه فاذا انا به وبه رمق فقلت اسقيك فاشار الي نعم فاذا انا برجل يقول
آه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال
آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت
الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث
فانه اتاه رجل في مرضه فشكى اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض
الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب
الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم

عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحيه ووقعت الكلاب على
الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقيت العظام ورجعت
الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل ما بقى على العظم قليلا ثم انصرف
وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الانبياء فيه فى كتاب الفقر والزهد فلا نعيد **بيان** حد السخاء
والبخل وحقيقتهما لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير
الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان
فيختلف الناس فيه فيقول قوم هذا بخل ويقول اخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد فى نفسه
حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساكه المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل
واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما معنى البخل الذى يوجب
الهلاك وما حد السخاء الذى يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد
البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب
والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذا من يسلم الى عياله القدر
الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة زادوا عليها او تمرة اكلوا من ماله عد بخيلا ومن كان
بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه واخفاه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذى يستصعب
العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة
كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقها وان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا
يستصعب العطية القليلة كالحبة بعض العطايا فما من جواد الا ويستصعب بعض العطايا وهو ما
يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود فقيل الجود عطاء
بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور
بالسائل والفرح بالعطاء بما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى
فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء و
من بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار
ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال
خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن
بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل

في حد البخل

في الجود

حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط
وهو المحمود وينبغى ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه واله الا بالسخاء
وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان
يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفى ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع له
فيه فان بذل فى محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخى وليس بسخى بل ينبغى ان
لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت صار هذا
موقوفا على معرفة الواجب فما الذى يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة و
العادة والسخى هو الذى لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن
الذى يمنع واجب الشرع ابخل كالذى يمنع اداء الزكوة ويمنع اهله وعياله النفقة او يؤديهما ولكن
يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف والذى يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطى
من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء فى المحقرات
فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف فى الاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من
الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب
ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح فى الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه
فى المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام
او ثوب اذ يستقبح فى الاطعمة ما لا يستقبح فى غيرها ويستقبح فى شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او
شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح فى غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه الضيافة من صديق
واخ وقريب وزوجة وولد واجنبى وبمن منه المضايقة من صبى وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل و
موسر وفقير فالبخيل هو الذى يمنع حيث ينبغى ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن
التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان
صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال والمضايقة
فى الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة بحب المال فهو بخيل ويبقى درجة اخرى و
هو ان يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى
الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب

بخيل بالطبع سخي بالتكلف

ليكون رفع الدرجات في الآخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام
الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما
يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة
وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه
ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة فقد برئ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود
والسخاء ما لم يبذل زيادة على الواجب لطلب الفضيلة ونيل الدرجات واذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث
لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات
ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة هو الجود
لكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع
الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود
هو بذل المال من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله فاما الآدمي فاسم الجود عليه
مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكن اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة واكتساب فضيلة الجود
وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق
او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي
اغراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روى عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال
وهو جالس مع اصحابه فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في
الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله تعالى سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا
قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرا فباى شيء سخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين
متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما شاء الا تستحيون
من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في ابناء الدنيا قبيح وقالت بعض المتعبدات
ايحسب احدكم ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء
في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة
من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك
حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك

بيان علاج البخل اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول
اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر
الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام
الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة
مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوى البخل لا محالة السبب الثاني
ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته وتفضل
آلاف وهو شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند
المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض
وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل منها او يتصدق بحبة
وهذا مرض للقلب عظيم عسر العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه
مثال رجل عاشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول
مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير
الذهب عنده كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا
من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما
علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة
ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب
الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان
يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه
وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته عليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل
في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية
النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح
البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء
في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته
والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله لنفسه فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف من
نور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا

تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان
ابو الحسن البوشنجي ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا
صبرت حتى تخرج قال قد خطر لي الان بذله ولم امن على نفسي ان يتغير ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا
كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة
وتسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في
الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار
بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث
البخل واكتسب له خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيل بعلاجه ويكون طلب الاسم كا
لتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير و
غيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينتقل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة
ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة
ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى
بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في اخرى مثلها
الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان
البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال
دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال من ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان
البعض حتى يقل عددها ويكبر ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان
يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك
هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى
ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت عن
الصفات المذمومة ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت
مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار صفة البذل
طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل
يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا
لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء

والامكان

والامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت ومن عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة
البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزاويته فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله
الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه
او سجادة يفرح بها امره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى
القلوب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان
له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه الم مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به
الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة
بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك
بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال فكيف قال
ان كسر صارت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل
اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق
الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى
النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ يقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها
فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها
الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفات
المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته
فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط دجلة اذ لا يبخل
به احد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة **بيان** مجموع وظائف العبد في ماله اعلم ان المال
كما وصفنا خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق
وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد من سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف
الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته
ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب
عليه الحرام كمال يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر
الواجب ومعيار الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط
واعلى ومادام مائلا الى جهة جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء في جملة المحقين فان

جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة ان يرعى
جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه فان
الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة نيته في الاخذ والترك والانفاق و
الامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا واذا فعل ذلك
لم يضره وجود المال ولذلك قال علي عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو
زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة
على العبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان
على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة في حقك فكذلك ينبغي ان يكون نيتك في كل
ما تحفظه من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة
ينبغي ان يقصد به ان ينتفع عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي
اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن
رسخت في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه
يشبه الاغنياء من الصحابة فشانه شان الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف بها ليخرج ترياقها
فيقتدي به وهو يظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فياخذها اقتداء به
فتقتله في الحال اذ قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية و
قيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في التخطي
قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد
اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب نبين على ان
الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من الالتفات الى تفصيل الاحوال فيه ونقتصر فيه على حكاية
فصل ذكره حارث المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء
الصحابة وبكثرة مال بعضهم وشبه نفسه بهم والمحاسبي لم يقم في علم المعاملة وله السبق على اكثر
الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال
بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون
ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى

وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب
ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك
الآخرة من لا تنقضي من الدنيا ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا
تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا احب اليكم
من صلاح الآخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقومون
في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه
وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم
على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك
الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهؤلاء علماء السوء
شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين
للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فاني رايت
الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر منه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف
والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران
المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان و
اولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير
والحجج يزعمون ان اصحاب محمد كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على
جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون متى زعمت ان جمع المال الحلال
اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت بمحمد والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي
رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت
ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينصح للامة اذ نهاهم
عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عنه كذبت ورب السماء على
رسول الله لقد كان ناصحا للامة وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت ان جمع المال خير لهم فقد زعمت
ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل ولذلك
رغبت في الاستكثار كانك اعلم بمواضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر

ما دهاك بها الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن
ابن عوف فلعل وددت ابن عوف في القيمة انه لم يوت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن
ابن عوف قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب
سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر رحمه الله
فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فاخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج
هاربا حتى انتهى الى عثمان يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى
دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهودية
تزعم ان لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه واله يوما نحو احد وانا
معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا
وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي
قال ما يسرني ان لي مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا
ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهودية لا باس بما ترك
عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك فلم يرد جوابا حتى خرج وبعد فالعجب كل العجب لكل مفتون
يتمرغ في مخالط الشبهات والسحت ويتكالب على اوساخ الناس وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهات
ويتقلب في فتن الدنيا ثم يحتج بالصحابة ولعمري لقد كانت لبعض الصحابة اموال ارادوا بها التعفف و
البذل في سبيل الله فكسبوا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله
باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله تعالى على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت انك لبعيد
التشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين
وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين
وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة
منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت
ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر
مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا
واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم فرحوا
وانت لست كذلك فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه واله اسوة

واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن لي بمحمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا و
اشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا و
استبشروا وقالوا ما لنا وللدنيا وما الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل
اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد التشبه بالقوم وساصف لك احوالك ايها المفتون ضدا
لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر النعماء وتقنط
عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر
المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى
وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما ولعلك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهراتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه واله قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك
تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر
لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو نعم و
عساك المكث عندك في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى وانت تكره لقاء الله والله للقائك
اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
واله قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك
من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح لاقبال الدنيا عليك وترتاح
لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه واله قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة
من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على الحزن على ما فاتك ومحاسب بفرحك من الدنيا
اذا قدرت عليها وانت تفرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف
ما تعنى بامور اخرتك وعساك ان مصيبتك في معاصيك في انتقاص دينك اهون من مصيبتك في
انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل الناس ما جمعت
من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بمساخط الله كيما تكرم وتعظم و
يحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي من المخلوقين مساويك
ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكانت الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس وكان

العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عن ذوي الالباب وهذه المثالب فيك ان
لك تتلوث في الاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما
احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان عندهم من الموبقات وكانوا
للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليت
اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك
في العبادة مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة
انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا
ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق
امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف
والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب
انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال
مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع في نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك
كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال مكيدة من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب
الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من اجترا على الشبهات
يوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك
عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال
لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري
ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال
للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا
المسائلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة
الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن مقامي يوم القيمة
فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلاء المتقين كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود
لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان يقوم خير المال بشره وانت من نهاية الامن والحلال في
دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال في دهرك ويحك واين الحلال
فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان

بعض

بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب
الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك بنفسك لقد احسنت الظن بنفسك
الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة من العيش ولا تجمع المال لاعمال البر
ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال من نوقش في الحساب عذب وقال
عليه السلم يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام فانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال فانفقه في حلال فيقال له قف لعلك اضررت في طلب هذا بشيء مما فرضت
عليك من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب
كسبت من حلال وانفقت منه في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال
في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك ضيعت حق
احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال
وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما افترضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه
قال فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقول يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا
فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر
نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسائلة
التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرائض بحدودها حوسب هذه
المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها
ويحك لاجل هذه المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر
من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بليغ في الورع والتقوى
ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق
ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت
كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع
من الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك للمسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام
يا قوم فاستبقوا السباق مع المخففين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول
الله كما وجل المتقون ويحك فان تخلفت في القيمة عن المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة

والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير
ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال
وفراغ القلب بالذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وآمن
من مروعات يوم القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله واروح لبدنك واقل لتعبك وانعم
لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل من طلب المال
لاعمال البر فغم شغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجمع لك راحة العاجل مع السلامة
والفضل في الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان
تتاسى بنبيك وترضى بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر بما سمعت وكن على يقين
ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وآله قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا
استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع
ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما
ادعيت انك للبر والفضل تجمعه ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والفخر والتكاثر و
العلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله
واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل
في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باسائتك
وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال وقد نصحت لكم ان قبلتم
والقائلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل
الفقر على الغنا ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب
الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن خاطب قال يا رسول الله
ادع الله لي ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل يؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة حسنة اما ترضى ان تكون مثلي اما والذي
نفسي بيده لو شئت ان يسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت
الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وآله

اللهم

اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا
من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوة
في الجماعة الا الجمعة فنمى كما ينمي الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة ويسألهم عن
الاخبار وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ما فعل ثعلبة بن خاطب فقيل يا رسول الله
اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال و
انزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى
فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلعم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا
باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن خاطب وبفلان رجل
من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرءاه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذه انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا
نحو السلمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب
عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك فقال بلى خذوها فان نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما
فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت
الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا رسول الله صلعم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه و
دعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل في ثعلبة ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله
رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله تعالى فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله
فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله
منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال له رسول الله صلعم هذا عملك امرتك
فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء بها
الى ابي بكر فابى ان يقبلها منه وجاء بها عمر فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عمر فهذا طغيان
المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنا آثر رسول الله صلعم الفقر
لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله
منزلة وجاه فقال يا عمران بن حصين ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله

فقلت نعم بابى انت وامى فقال وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب فقال السلام عليكم اادخل
قالت ادخل بابى انت وامى يا رسول الله قال انا ومن معى قالت ومن معك يا رسول الله قال والذى بعثنى
بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف
براسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك
يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى انى لا اقدر على طعام اكله فقد اضر بى
الجوع فبكى رسول الله فقال لا تجزعى يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث وانى لاكرم على الله منك ولو
سالت ربى لاطعمنى ولكنى اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها فقال لها ابشرى فوالله انك
لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران فقال اسية سيدة نساء
عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت
من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا وسيدا
فى الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه واله كيف اثرت الفقر
وتركت المال ومن راى احوال الانبياء عليهم السلام واقوالهم وما ورد من اثارهم لم يشك فى ان فقد المال
افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف
الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ الا مع
اشتغال البال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال اكون معك
واصحبك فانطلقا حتى انتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغف فاكلا رغيفين وبقى رغيف
فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادرى
فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل
هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال للرجل اسالك بالذى اراك هذه
الاية من اخذ الرغيف قال لا ادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على
الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذى اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادرى قال فانتهيا
الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه
ثلثة اثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك و
فارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو
بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ

اقاسم

اقاسم هؤلاء فى هذا لكنى اضع فى هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال اولئك لاى شئ نجعل لهذا
ثلثا ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا وبقى ذلك الذهب
فى المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام فى تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا
فاحذروها وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم
قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى
البهائم وقد قيض الله لهم فى ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له
اجب الملك ذا القرنين فقال ما لى اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتينى
فابيت فها انا ذا قد جئت فقال له لو كانت لى اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لى اراكم
على الحالة التى لم ار احدا قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ افلا اتخذتم الذهب والفضة
فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يوت منهما شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل
منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا
نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا
اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا
لها ورايناه فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن ادم فى العيش من الطعام وان ما جاوز الحلق من الطعام
لم يوجد له طعم كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول
جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا
على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله ذلك حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه
عمله حتى يجزيه فى اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا
قال هذا ملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والتجبر فتواضع لله تعالى
وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى اخرته ثم اهوى الى
جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال
له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتانى الله من هذا المال قال ما
اصلح انا وانت فى مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو
ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يدك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعادينى لرفضى
لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به

فهذه الحكايات تدلك على افات العزلة مع ما قدمناه من قبل والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه

هذا اخر كتاب ذم المال من ربع المهلكات من المحجة البيضاء في احياء

الاحياء ويتلوه انشاء الله كتاب ذم الجاه

والرياء والحمد لله اولا

واخرا

كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا القلوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد واله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس ومواطن مكائدها وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم يقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم يقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء بالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين ... له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب ... تركه

المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حيوته بالله وبعباداته المرضية وانما حيوته بهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة الخفية تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وحسن الحال والاقبال واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال واثبت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرتقي منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي ليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها ينشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب شهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه واله حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي عليه السلم تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق عبد الله الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن طالب بن سعد انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خ... النعال قلما تثبت معه قلوب الحمقى وروى ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه

قال اوصنى قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشى ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسئل فافعل و
خرج ايوب فى سفر فتبعه ناس كثير فقال لولا انى اعلم ان الله يعلم من قلبى انى لهذا كاره لخشيت المقت من
الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهو اليوم فى تشميره
وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الردية اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال
رجل لبشر بن الحارث اوصنى قال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى ويقول بلغ اسمى مسجد
الجامع وقال بشر لا اعرف رجلا احب ان يعرفه الناس الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة
رجل يحب ان يعرفه الناس **بيان** فضيلة الخمول قال رسول الله صلى الله عليه وآله رب اشعث
اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال رسول الله ص
رب ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم انى اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه
من الدنيا شيئا وقال صلى الله عليه وآله الا ادلكم على اهل الجنة قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على
الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وعنه عليه السلام ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه
له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج
احدهم يتجلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال م ان من امتى من لو اتى احدكم
يسأله دينارا لم يعطه اياه او يسأله درهما لم يعطه ولو سأل الله الجنة لاعطاه اياه ولو سأله الدنيا
لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره وعنه عليه السلام ان
اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا
قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل
صالح لا يؤبه به لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فبيناهم فى دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران
خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه وقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة
فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وامطر والح حتى صاح اهل المدينة من خوف
الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع محمد بن سويد صاحب المطر
حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى اتيتك فى حاجة قال ما هى قال تخصنى بدعوة قال
سبحان الله انت انت وتسألنى ان اخصك بدعوة قال ما الذى بلغك ما رأيت قال اطعت الله فيما امرنى
ونهانى فسألت الله فاعطانى قال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل
جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى اهل السماء وتخفون فى اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول

الله

الله صلى الله عليه وآله ان اغبط اوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه و
اطاعه فى السر والعلانية وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك قال ثم نقر رسول
الله بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال الفضيل بلغنى ان الله تعالى يقول فى بعض ما
يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك
من ارفع خلقك واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك فهذه الاخبار
والآثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة
فى القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد فان قلت فاى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والائمة والعلماء
فكيف فاتتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من جهة الله سبحانه من غير
تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان
معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما
القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليهم **بيان** ذم حب الجاه قال الله تعالى
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو
وبين ان الدار الآخرة للخالى عن الارادتين وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل
ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة
من زينتها وقال م حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام
ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال فى دين الرجل المسلم وقال م لعلى
عليه السلام انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه فى الكافى عن
عبد الله بن مسكان قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله
ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك واهلك وعنه عليه السلام قال ملعون من ترأس ملعون من هم بها
ملعون من حدث بها نفسه وعنه عليه السلام من اراد الرياسة هلك وعن ابى الربيع الشامى عن ابى جعفر عليه السلام
قال قال لى ويحك يا ابا الربيع لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا ولا تأكل بنا الناس فيفقرك الله ولا تقل
فينا ما لا نقول فى انفسنا فانك موقوف ومسؤل لا محالة فان كنت صادقا صدقناك وان كنت كاذبا كذبناك
وعن محمد بن مسلم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اترى لا اعرف خياركم من شراركم بلى والله ان شراركم
من احب ان يوطأ عقبه انه لابد من كذاب او عاجز الرأى وفى الصحيح عن معمر بن خلاد عن ابى الحسن الرضا عليه السلام

انه ذكر رجلا فقال انه يحب الرياسة فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها باضر في دين المسلم
من الرياسة **بيان** معنى الجاه وحقيقته اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان
المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها فكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم
والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وساير حظوظ النفس
فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها
في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق
بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه
وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس
بشرط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا
كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال
القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد
فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه
صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلي وراءه انسل عن الطاعة
وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية
والطاعة له فما يطلبه صاحب الجاه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب
الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم
وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا
هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني
عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل بنفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرا له مثل العبد في
اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل و
التقديم في جميع المقاصد فهذه اثار تصدر عن قيام الجاه في القلوب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب
على اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة
او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون
سببا لقيام الجاه **بيان** سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم
ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع المال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا

بل يقتضي

بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار
وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هي
والحصى بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات وكذلك الجاه
لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى ساير
اغراضه فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه
احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال
ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال
تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذي
لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم
يتيسر له فاذا الجاه آلة الى المال ومن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك
الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثاني** هو ان المال معرض للتوى والتلف لانه يسرق ويغصب و
يطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة والخزائن ويتطرق اليه الاخطار الكثيرة
واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق
ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن
المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب و
السرقة فيها نعم انما يغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف
الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو
ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة لان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل
او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا
المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها
الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن
ملك منه شيئا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه
ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت
الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت
فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا فكم ينبغي ان يحب الانسان الجاه والمال نعم القدر الذي يتوصل

به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او عقوبة
اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه المال والجاه معلوم اذ كل ما
لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز
الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب
لابتغى وراءهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد التي
يعلم قطعا انه قط لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بماله او ليعينوه على غرض من
اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن
ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا ينفك عنه
القلوب وله سببان احدهما جلي تدركه الكافة والاخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما
وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة
مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان
الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان
المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه
ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا
لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات
الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة
من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن له
موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال
ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو
عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام
الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني
وصفه الله تعالى اذ قال قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة
في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل
والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء

والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة
يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان
والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها
فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد
بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار قدرته لا قوام له بذاته بل
هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان
في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا
في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء
عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فلا يكون معا فاذا معنى
الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المتفرد بالكمال
ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى
ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك
للنسبة الربانية التي اومأ اليه قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال
لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل
موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال عن ذاته
وانما الكمال بعد ان سلم له التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود
غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع
كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة
على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له
الاستيلاء على الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله و
صفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولى عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات
ونفوس الملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير بقدرة
العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة
للتاثير والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه

كالارضيات والى ما لا يتعدد كذات الله تعالى والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولي على السموات
بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة
والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات
وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق
من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيه كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه يشتهي ان يعرف
اللعب به وانه كيف وضع او كمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل وغيره وهو مستشعر
في نفسه العجز والقصور عنه لكن يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه
واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يتعدد الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة
على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح والاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان
يكون قادرا عليها يفعل ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان قدرة والقدرة كمال والكمال من
صفات الربوبية والربوبية محبوبة ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار
وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم يعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية
ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثالث نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض
فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيها من كمال
الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال
محبوب لان الكمال من صفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان
وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله لانه محل الايمان والمعرفة
وهو الواصل الى لقاء الله والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخير القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة
واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلوب بطبعه الكمال
بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما
دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان
فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته
بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل
التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم
ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى

طلب

طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها **بيان** الكمال الحقيقي
والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن
الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث
كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى
والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة
لله سبحانه باتم انواع الكشف على ما هي عليها فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم في
تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله الثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول
فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير ويزول فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب
كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثالها العلم بكون زيد في الدار
فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون
نقصانا لا كمالا فكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد
ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع
جبل ومساحة ارض وعدد البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك و
الممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها
مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي
المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية
ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة
الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت
السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله
تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما
ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك
النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله
سبحانه لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه

موج من فوقه موج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لا سعادة الا فى معرفة الله تعالى فاما ما عدا ذلك
من المعارف فمنها ما لا فائدة فيه اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرها ومنها ما له منفعة فى الاعانة
على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير
القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما فى القران من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس
ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال الله تعالى
قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى
تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوى فيه جميع المعارف
المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعال الله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها
بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه
والرياء ولكن اوردنا لاستيفاء اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم
وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته
وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وفى كتاب التوكل وفى مواضع شتى من
ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة بالاضافة الى الحال
وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان
هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال
والجاه للتوصل الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله
فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق
كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال
بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه
ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملئكته
وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا
والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملئكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فاذا دفع آثار
الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملئكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة
التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملئكة اشبه
ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال لان

حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كانت وهلاكها
والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير
بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية للشهوات و
ارادات الاسباب الدنيوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا
طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى تسخير
القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى
القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على
طلب كمال القدرة بالمال والجاه وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال
الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس
والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا
وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات وقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه
كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها
الى الكمال الحقيقى **بيان** ما يحمد من حب الجاه وما يذم مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة
عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة
الاخرة فكل ما خلق الله من الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم و
الملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز
ان يحب الطعام والمال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه
وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة
ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم
وحبه لان يكون له فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه
لان يكون له من المحل فى قلب سلطان ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم وحبه لان يكون له
فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل

في قلب سلطان ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه والوسيلة الى الاغراض كالمال
فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين بل ينزل ذلك
منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء
الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد به التوصل الى المحبوب
فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه
يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي
قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي
مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين
الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن
وحاجته مذموم لكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية و
ما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل
الى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين وهو حرام اليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي فان قلت
طلب الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط امره به مباح على الاطلاق
كيفما كان او مباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها
مباحان ووجه منها محظور اما المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة
هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا
حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالفعل واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف
كقول يوسف عليه السلم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا
عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من
معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز
هتك الستر واظهار القبيح فهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي
يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب
لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن
فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو تلبيس اذ يخيل انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله
فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال

بغير فرق

من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز ان يتملك قلبه بتزوير
وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال **بيان** السبب في حب المدح والثنا وارتياح النفس به
وميل الطباع اليه وبغضها الذم ونفرتها منه اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب
الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ
فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف
الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا
كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان كان هذا نوع
كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرت به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث اللذة
وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع
او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا
الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا
ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة
بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول الا عن تحقيق وذلك
كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة فان صدر من
مجازف في الكلام او لا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه
لانه يشعر بنقصان في نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم
اذا صدر الذم من بصير موثوق به في ذلك كما ذكرناه في المدح **الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح
مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ
وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر
ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر
حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر
كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم **الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب من يسمعه
لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع
اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **الرابع** ان المدح يدل على حشمة
الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة

لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه
مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فلذة ثناء القوي
الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد يجتمع في مدح مادح فيعظم بها الالتذاذ وقد
يفترق فتنقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق
في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك
فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال ويبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان
كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم بخلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه
على قلبه ويبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف
بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا يكشف الغطاء
عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة
وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض بيان علاج حب
الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم وبالمراياة
لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل
الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص
القلوب ولذلك شبه رسول الله صلعم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت
كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب
الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه
اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه
مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس
وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفى وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من
على وجه الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال
من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي
لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر
في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق
ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة

الدنيا

الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الى غير ذلك من الآيات فمن
هذا حاله فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف
لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من
ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مرددة بين الاقبال والاعراض
فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب
وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله تعالى وتعرض لمقته في العاجل والآجل
كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما في الآخرة فبهذا
ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج
من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من
اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب
الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا
غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المؤمنين (المسلمين) واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم
على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك
قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك
سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح
لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب
الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم
فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره
وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه
واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد
التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا
لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه
فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار من ذلك و
اماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به
وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة

الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة
اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم
او لم يكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع
عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وان استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته
بالقلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة
في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة وينظر في احوال السلف و
ايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة **بيان** وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم اعلم ان اكثر
الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس
رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب
المدح ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك
وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة
يستحق بها الفرح كالعلم والورع واما صفة لا يستحق بها الفرح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان
من الاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما
تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور يبقى صاحبه انه لا
فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعرض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بل بوجودها والمدح ليس
هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة
غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل
عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن
الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار
الكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا و
ان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل ومثالك مثال من يهزأ به
انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى
حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بها فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح
والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من
غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفاتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان

يغمك

ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخر قلب المادح وكونه سببا لتسخير
قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس
وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله
فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة
عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بها بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك
عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناها في كتاب آفة اللسان قال بعض السلف من فرح
بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في قلبه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من
ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار ما الوصح فهو قاصم للظهر وان رجلا
اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت
فمات على ذلك دخل النار وقال عليه السلام مرة للمادح ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم
القيمة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب ولهذا كان الصحابة على
وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا
بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع
الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل
الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق
بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان**
علاج كراهة الذم قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم منه
والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق وقصد النصح والشفقة
واما ان يكون صادقا ولكن قصد الايذاء والتعنت ويكون كاذبا فان كان صادقا وقصد النصح فلا
ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك
الى المهلك لك حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه
فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصد الايذاء والتعنت فانت
قد انتفعت بقوله اذ ارشدك بعيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك
لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل

بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك
ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة
فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي
الاخلاق مهلكة في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو التعنت
فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل انتفعت انت به وتضرر هو به
الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل
تفكر في ثلثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما ستره الله من
عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه والثاني ان ذلك
كفارة لبقية مساويك وذنوبك وكانه رماك بعيب انت منه بريء وطهرك من ذنوب انت ملوث
بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما لك تفرح بقطع الظهر
وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين
جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب
عليه مع غضب الله عليه فتشمت الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم
تب عليه اللهم ارحمه كما قال عليه السلام اذ قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم
ابن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون
عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين
القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت
فيه غالبا وكان همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان
يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا بيان اختلاف
احوال الناس في المدح والذم اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الاولى ان يفرح
بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق
وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه و
جوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان
الا انه بالاضافة الى الاولى كمال الثالثة وهو اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه
فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته

وعلامة

وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجد في المادح وان
لا يجد لنفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا
يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له
اشد نكاية في قلبه من الذام وان لا يكون غمه لمصيبة المادح وما ينالها من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة
الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف
المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد
فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما
يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد عصى الله بمذمتك
والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض
التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم
انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة
عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا يختلف ان يكون هو المذموم او غيره
فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على
الله بهواه فيزيد على ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته
تعب ضائع تفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره
المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة الظهر مضر له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيوبه
ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال عليه السلام راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد
روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح انه عليه السلام قال ويل للصائم وويل للقائم وويل
لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب
المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام و
لا يظهره بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا
انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد ان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجته وتتثاقل
عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر ان نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في
سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا

الزمان ان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه
الرتب فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل
الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم
بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات
وهذا على شفا جرف هار فانها وبه فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه
ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل له ليتوصل الى نيل الحمد وقريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد
المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة
فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف نفسه الكراهة
وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة يكون عليه
ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به واذا سمع الذم لم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه
بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه
واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان
ذلك عين النفاق فانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من
هذا يتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره
الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيسها الخبيثة
فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر
الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده
اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعسى
ان يكون جبرا للعيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان
يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة
هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل الشطر الثاني من الكتاب في
طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات
الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة
في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان
ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها

وهي

وهي عشر فصول بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات و
الاخبار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون
وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقوله تعالى
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال
تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يطلب الاجر بعباداته و
اعماله وغير ذلك واما الاخبار فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال الا
يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقاري
لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص فان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان
شجاع بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وآله انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وعنه عليه السلام من راءى راءى الله به ومن سمّع
سمّع الله به وفي حديث آخر طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين
وقال عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء
يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم
اعد للقراء المرائين وقال عليه السلام يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء
وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته
ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه
فان الله يقسم الثناء كما يقسم الارزاق وقال عليه السلام لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء وعنه عليه السلام
ان ادنى الرياء شرك وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليك الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا
الرياء ودقائقه وقال عليه السلام ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله
ولذلك ورد ان فضل عمل السر يزيد على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال عليه السلام ان المرائي ينادى يوم القيمة
يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رأيت
رسول الله يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا
قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلق الله الارض مادت باهلها
فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الحديد فقطع الجبال

جب الحزن

فضل عمل السر على الجهر

ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الماء باطفاء النار وامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملئكة
فقالت ثال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيئا اهوان من
ابن ادم حين يتصدق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك
باسناده عن رجل قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا
يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله قال لي يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي
قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم
القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل
لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى
ان امسى له نور كنور الشمس حتى اطلعت به الى السماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني
الى غيري ثم قال ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى يبلغ به الى السماء الثانية
فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا
عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا
ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم
ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون الى السماء
السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا
قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني

الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع
لها كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني
احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند
العلماء وصيتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء
ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق
حسن وصمت وذكر الله وتشيعه ملئكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه
ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص قال فيقول الله انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب
على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملئكة عليه لعنتك ولعنتنا
ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله
انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة
في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك
عليهم ولا تدخل عمل الدنيا من سوء خلقك في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء
خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تخرق الناس
فتمزقك كلاب النار يوم القيمة قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت
وامي يا رسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يطيق هذه
الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت احدا اكثر تلاوة للقران
من معاذ للحذر مما في هذا الحديث وقال علي عليه السلم للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان
الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق
عليه السلم قال قال الله تعالى انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وعنه عليه السلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله سياتي على الناس زمان فيه تخبث سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم
طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه
دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وعنه عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الملك ليصعد بعمل
العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوها في سجين انه ليس اياي اراد به وباسناده قال
قال امير المؤمنين عليه السلم اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله

وكله الله الى عمله وعن ابيه الباقر عليه السلم قال الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على
العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى
فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء وعن الصادق عليه السلم انه قال لعباد بن كثير البصري
في المسجد ويلك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له وعنه عليه السلم
اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد الى الله
وعنه عليه السلم كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله
وعنه عليه السلم في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ثم قال
ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى
يظهر الله له شرا وعنه عليه السلم ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم
ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية
وعنه عليه السلم قال من اراد الله بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير
من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه وعن الرضا عليه السلم
قال لمحمد بن عرفة ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الى عمله ويحك
ما عمل احد عملا الا رداه الله ان خيرا فخير وان شرا فشر قال ابو حامد واما الآثار فروي ان ابا امامة رأى رجلا
في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي
في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء
لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وقال الحسن لقد صحبت اقواما
ان كان احدهم ليعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة
وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي
ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر
لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله
يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله
تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب
المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك
ابن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وقال ابن المبارك ان الرجل ليطوف بالبيت

وهو بخراسان قيل وكيف قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان
يشتهر **بيان** حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتق من السماع وانما
الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة يطلب في القلب
باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب
بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة المنزلة بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس
المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد
اظهار ذلك والمراءى به كثير ويجمعها خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي
والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة ولذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان
طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات **الاول** الرياء في الدين من جهة
البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة
خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الارق في الدين وكذلك
يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت
استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل
تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب
على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته ومن هذا
قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينه وذلك كله لما يخاف عليه
من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين في
البدن واما اهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن
وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فبتشعث شعر الرأس وحلق الشارب
واطراق الرأس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف
وتشميرها الى قريب من نصف الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به
ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على
السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقايق التصوف في الباطن ومنه التقنع
بالازار فوق العمامة ليرائي به انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب
تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه وهو خال من العلم ليوهم انه من اهل العلم ولذا

بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة
القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما
كان السلف يلبسه لكان ذلك عليه عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له في
الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح و
عند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا المخرقة البالية
ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون
الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوطة الرفيعة فيلبسونها ولعل
قيمة ثوب احدهم قيمة ثياب الاغنياء وهيئته ولونه لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين
وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم بمنزلة الذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك
والاغنياء ولو كلفوا لبس ثوب الديبقي والكتان الرقيق الابيض او القصب المعلم وان كانت قيمته
دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة
منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة
من المذمة واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل
في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيل وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر
بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الثياب ما لم
يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ
الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال
السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد
الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس بالمعاصي وتضعيف الصوت
بالكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الحزن والخوف وادعاء حفظ الحديث ولقاء
الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى
ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في
علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الاشعار و
الامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى
الناس لاستمالة القلوب الرابع الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود

واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم
والغزو والحج والصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس
والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه احد من اهل الدين رجع
الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا
رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله تعالى حتى يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان
لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة
لمشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير
ويظن انه تخلص به عن الرياء وقد تضاعف رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن
مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر
والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك
على الجاه والحشمة الخامس المراءاة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من
العلماء ليقال فلان قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون
اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي
يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند
مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم
من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة
جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة
في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل
حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه
في اسبابه فانه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن
اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد
ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل
شفاعته وتتنجز الحوائج على يديه فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع
حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين

الذين يراؤن بالاشيا التى ذكرناها فهذه حقيقته وما يقع به الرياء فصل فان قلت فالرياء حرام او
مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات
او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة فى قلوب
العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما كسب القليل من المال
وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الافات محمود وهو الذى
طلبه يوسف عليه السلام حيث قال انى حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه
وكما ان كثير المال يلهى ويطغى وينسى ذكر الله والدار الاخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد فتنة الجاه
اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام
الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور
كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرهما
واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع
من جاه رسول الله صلى الله عليه واله ومن بعده من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان
فى الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى
الناس مراياة وليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم
والدليل عليه ما روى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد يوما ان يخرج على اصحابه فكان ينظر فى جب
من الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله ليحب من العبد
ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه واله عبادة لانه كان مامورا
بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا فى اتباعه وكان
يجب عليه ان يظهر لهم من محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر
دون السرائر وكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه واله ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه
فى اعينهم فاحذروا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا
اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه
لا انس بهم فاذا المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك
بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض
العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذا مراياة ليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات

كالصدقة

كالصدقة والحج والصلوة والغزو فللرياء فيه حالتان احدهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض
دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط
عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم لما دلت عليه الايات والاخبار
والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه
من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس
انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثانى
يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد
قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بى ومثاله ان يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار
كما هو عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك او غلام من غلمانه فان هذا
استهزاء بالملك اذا لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاى استحقار
يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا
انه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه اولى بالتقرب الله من الله اذ اثره
على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من الكبائر
المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتى
فى درجات الرياء ولا يخلو شئ منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما فيه المراياة ولو لم يكن
الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمرى لو قصد
غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت
تلك العظمة ان يسجد ويركع لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله
بالسجود وبقى تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده
باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل
ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله
ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل
بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم فى الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد
كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا فى الدنيا فكيف فى يوم
لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول الانبياء نفسى نفسى فكيف يستبدل

الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي
ان تشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والعقل جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر
والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص
ويدل على ما نقلناه ههنا على انه لا اجر فيه اصلا بيان درجة الرياء اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد
واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثة المرائي به والمرائي
لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله
والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب
واضعف او مساويا لارادة العباد فيكون الدرجات اربعا الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده
الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع
الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس
وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه من الدرجة العليا من الرياء الدرجة الثانية
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك
القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة
قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الدرجة الثالثة ان يكون قصد الثواب و
قصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة
وكان كل واحد لو انفرد لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس
لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد
تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الدرجة الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن
لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم والذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل
الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى
انا اغنى الاغنياء فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح الركن الثاني المرائى به
وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ
الرياء بالاصول وهو على ثلث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء و
صاحبه مخلد في النار وهو الذي يقول كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر
الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك

لرسول الله

لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم
وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام
واذا تولى سعى في الارض الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام
ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين
باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة او يعتقد طي بساط الشرع والاحكام
ميلا الى اهل الاباحة ويعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في
النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن
ونفاق الظاهر الدرجة الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم
عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا
من ذمه والله يعلم انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع فيصلي معهم وعادته ترك
الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا
خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة في الثواب ولكن خوفا من الناس
او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير
الله او يسجد لغير الله لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته
عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته
في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل
عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي
بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكن يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار
لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة
المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة ونحو ذلك فقد يفعل المرائي جملة ذلك
خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم
ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم
الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف
عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي الرياء باصول

العبادات القسم الثالث الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات الدرجة الاولى
ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة
فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود
من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع ادمي
عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة
كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في
الملاء دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع
عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لاجل
الخلق لا اكمالا لعبادة الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه
دون الرياء باصل التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا
تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه
المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي
خدمة منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك
اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه عوراء
قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من
مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان يكون مراقبته الملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان
احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني
الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم و
غيبتهم واستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت
الثواب وتحصل المذمة وهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية
فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق
الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة للعبادة كالتطويل
في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين
الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في شهر رمضان وطول الصمت
وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي ونفسه

لكان

لكان لا يقدم عليه الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادة خارجة عن نفس النوافل كحضور الجماعة قبل القوم
وقصد الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلي
بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم في الصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه
اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المراءى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك
مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها
ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل
والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولي القضاء والاوقاف او الوصايا او مال
الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع
فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختار بعضها او كلها او يتوصل بها
الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي
التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او
غلام لاجل الفجور وقد يحضرون في مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع
العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة
من غلام او امراة وهؤلاء ابغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه
الة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها
وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة و
اتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب
الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى الدرجة الثانية ان
يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر
الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد
اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم او عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب فيه ويزوجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا
ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ و
ادراك مال ونكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة
والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا فيطلع عليه فيحسن المشي ويترك العجلة

[illegible]

كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول
ما اعظم غفلة الادمي من نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما
يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون النوافل ويتهجدون او يصومون التطوع
او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلى بنفسه لكان لا يفعل شيئا
منه وكالذي يعطش في اليوم الذي يصام فيه تطوعا فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم
فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه
صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرائي انه صائم ثم يرائي انه مخلص ليس يرائي
وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعباداته ثم ان اضطر الى
شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا صريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش
ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن
به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عن صالح ان يقول ان فلانا محب
للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه
ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم
فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا تسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن واما المخلص
فانه لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان
يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة
وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت
مقت الله وغضبه وهي من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة
كما ورد به الخبر تزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهال بافات النفوس وغوائل القلوب بيان
بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل اعلم ان الرياء خفي وجلي والجلي هو الذي يبعث
على العمل ويحمل عليه ولو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا
انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان
نشط له وخف عليه وعلم انه لو لا رجاء ثواب الله لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك

ما لا يؤثر بالعمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في قلبه ومهما لا يؤثر في الدعاء
الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص
في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح
له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولو لا التفات
القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في
الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك
بكراهة فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى
تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى
التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول
والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال
على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع
ذلك اذا راى الناس احب ان يبدؤه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه
وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان وان قصر فيه مقصر
ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه يتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها
مع انه لم يطلع عليها ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما
لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب
خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد
روي عن علي عليه السلام انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا
تبتدءون بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوائج وفي الحديث الاخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال
عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال
والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان تكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على
اهل الاموال في اولادهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له
لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص له لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس
فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني
بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا

هذا قال كيف انت قال كالناس وفى حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه و
قال السابع الحمد لله الذى صرفك عنى وانت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون
لذلك فى مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء
فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله فى القيمة باخلاصهم على ملاء من الخلق واذ علموا
ان الله لا يقبل فى القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم فى القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل الصديقون
بانفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم
يستصحبون مع انفسهم الذهب الخالص المغربى لعلمهم بان ارباب البوادى لا يروج عندهم الزيف والحاجة
تشتد فى البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب
القلوب يوم القيمة والزاد الذى يتزودونه التقوى فاذا شوائب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما ادركت
النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم
لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا ولو كان مخلصا قانعا
بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق
واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه
شوب رياء خفى ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فانرى احدا
ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس
بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة
والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من احواله فيستدل
به على حسن صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله لا بحمد الناس
وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال الله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكانه ظهر له انه عند
الله مقبول ففرح به الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعل
به فى الاخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه واله ما ستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر عليه فى الاخرة
فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان
يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر
اخرا واجر السر بما قصد اولا ومن اقتدى به فى طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من اجورهم

شئ وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة
الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحتهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة
اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزئ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده
عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه
بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه
ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه بيان ما يحبط العمل
من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء
فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور
من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرء بعده فنرجوا
ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمكن ذكره واظهاره ولكن
اتفق ظهوره باظهار الله اياه ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه اقول ويدل
على هذا ما رواه فى الكافى عن ابى جعفر عليه السلم انه سئل عن الرجل يعمل الشئ من الخير فيراه انسان
فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا ويحب ان يظهر الله له فى الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك
وقد روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه واله يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه
احد فيطلع عليه احد فيسرنى قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه ابو حامد فى مواضع اخر من كتابه
منها نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير قصد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار فتحدث به
واظهره فهذا مخوف وفى الاثار والاخبار ما يدل على انه محبط فقد روى عن ابن مسعود انه سمع
رجلا يقول قرات البارحة سورة البقرة قال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله
انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه
اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله ومن ابن
مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصد له لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد
ان يكون ما يطرء بعد العمل مبطلا للثواب بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على
مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ فان ذلك مبطل واما اذا
ورد وارد الرياء قبل الفراغ عن الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد فى اثنائها وارد
الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر فى العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا

ز السيئة ورد الريا بعد العمل لا يحبط العمل

زوال الريا بعد الفراغ لا يحبط

على العمل وختم العمل به حبط اجره ومثاله ان يكون فى تطوع متجردت له نظارة او حضر ملك من الملوك
وهو يشتهى ان ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة
فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان فى فريضة وقد قال عليه السلم
العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اى النظر الى خاتمته وروى من رائى بعمله ساعة حبط عمله الذى
كان قبله وهو منزل على الصلوة فى هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منهما منفرد
فما يطرء يفسد الباقى دون الماضى والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا
يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء
وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر فى العمل و
انتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد
العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى
بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان يطرا ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا
الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والاقيس ان هذا القدر
اذا لم يظهر اثره فى العمل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد
العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام اقول
وقد اسلفنا ما يدل على ذلك من النص قال ابو حامد واما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى
محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا
لقصد الثواب واغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر
الاعمال ولا ينبغى ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذى اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله
والخالصة ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الثواب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا فى كتاب
الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارى بعد عقد العبادة اما قبل
الفراغ او بعده القسم الثالث الذى يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة مع قصد الرياء فان تم عليه
حتى يسلم فلا خلاف فى انه يعصى ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه فى اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل
التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه
اعادة الافعال كالركوع والسجود ويفسد افعاله دون تحريم الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر
فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة

على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداها بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا
ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع
والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن قد اقترن به عارض الرياء ان زال بالندم
والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخرين خارج عن
قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود
ان لم يصح صارت افعالا زائدة فى الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص
صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية واولى الاوقات بمراعاة الاحكام حالة
الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون
طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده فمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما راه الناس
تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه ايضا نجسا كان يصلى لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ
النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا
لكان يصلى الا انه ظهرت له الرغبة فى المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون صدقة
او قراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او فى عقد صلوة وحج فان كان فى صدقة فقد عصى باجابة
باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان
فى صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كانت نفلا
فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع فى قلبه الباعثان واما
اذا كان فى فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد منهما لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما
فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث
مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لا صلوة تطوعا لاجل
الرياء فهذا فى محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد
الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره
به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة فى
الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض
البواعث وفى اصل الصلوة اما اذا كان الرياء فى المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر

بالصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخرها الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدى
صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من
حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا ابعد عن القدح فالنية هذا في
رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ اثره حيث يؤثر
في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث
ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه و
مقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب
الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه
بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه قد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت
عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة — معالجة الرياء بقطع اصوله
وتحمل المشاق فلا شفاء الا في ادوية المرة البشعة وهذه المجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي
يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض
فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد
كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة
لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه
مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال الاول
في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو
حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها
الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال رسول الله فقال يا رسول الله الرجل يقاتل
حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور ومغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو
طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملئكة
فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في
الدنيا وقال عليه السلم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا
يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالمال

القليل

القليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا
من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل
بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر
الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر عن الم الذم وكذلك قد يترك السؤال عن علم
ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل وكل
ذلك حذرا عن الم الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر
الاول من الكتاب على الجملة ولكن نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء
ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه
ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض
عنه وكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ان ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته
من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من
العذاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى به على رؤس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي
اما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بنظر الله وتحببت
الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم
عند الله وطلبت مرضاتهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في
هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاجر وما يحبط عليه من ثواب
الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حول الى كفة
السيئات فيترجح به ويهوى الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في
معرفة ضرره وان كانت مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في
زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا
مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الناس فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله
عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقا
ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع بما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر
للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل

والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم كاذب
قد يصيب ويخطى واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم
شيئا مما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة
ولا يبغضه الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا
يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب
وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه
ان الناس لو علموا ما في بطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه
الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم
وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال
شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذلك الله الذي
لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم
واي شر لك في ذم الناس وانت عند الله محمود وفي زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها
المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنة
والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف
من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطايف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله
ووحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية
الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القاطعة مغارس
الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب
دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به
وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص اظهرت ما كان سبيلك
ان تخفيه لا تجالسنا بعدها فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا بعض دعوى الزهد
فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط
عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن
الله فتح الباب ولا يضيع اجر المحسنين فان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما **المقام**

المقام الخ

الثالث في دفع العارض عنه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس
الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقط نفسه من اعين المخلوقين واستحقر مدح المخلوقين و
ذمهم فان الشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته و
هوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء
ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد يترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق
او رجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول
النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحققه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة
والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه
الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال لنفسه ما لك وللخلق علموا
او لم يعلموا والله عالم بحالك واي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد يذكر ما رسخ
في قلبه من قبل في افة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيمة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله
فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة افة الرياء ايضا تثير كراهة له بل تلك
الشهوة ان يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه
الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقويهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة
والاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا يحضره المعرفة
ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا عليهما وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب المدح
استيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بافات الرياء
وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه
بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان اسباب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى
سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر افة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا
القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه
واله تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا
وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاءة
هكذا تكون او تنسى معرفة مضرتها الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم يظهر الكراهة فان الكراهة
ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر

عليه لشدة شهوته ويغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر
فى ذلك لشدة الشهوة وكم من عالم يحضره كلام يدعوه الى ذكره الى رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه
يتم عليه فتكون عليه الحجة اوكد اذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه
معرفته اذ خلت المعرفة عن الكراهة وقد يحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء او
يعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة
ان يصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا فى اجتماع الثلث وهى المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة
الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب
الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل فى افات الحيوة الدنيا
وعظيم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوة فهو راس
كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغر القلب وتميله وتحول
بينه وبين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف
من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه
ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله وغير مجيب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين فاعلم ان الله تعالى
لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس فى طاقة العبد منع الشيطان من نزغاته ولا قطع الطبع حتى لا يميل الى
الشهوات وانما ينزع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم
الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى اداء ما كلفه ويدل على ذلك
من الاخبار ما روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله شكوا اليه وقالوا تعرض قلوبنا اشياء
لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوى بنا الريح فى مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم بها فقال او
قد وجدتموها قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال
اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان
عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع الاصغر اولى
وكذلك يروى عن النبى صلى الله عليه واله فى حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذى رد كيد الشيطان
الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما
كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا
تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب

المهيجة للرياء وهى من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من نفسك والكراهة من الايمان ومن
اثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه
فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب
لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا
فى منزلته عند الله تعالى والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان يرد على
مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم للقلب و
هو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصراف الى قتال
قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك الثانية ان يعرف ان القتال
والجدال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا
يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الرياء
وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة
الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسد عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما
نزغ الشيطان زاد ما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله تعالى واخفاء الصدقة والعبادة غيظا
للشيطان وذلك هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب ياسه وقنوطه حتى لا يرجع ويروى
عن الفضيل بن عياض انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء قال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال
الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اى لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه
العادة كف عنه خيفة من ان يزيد فى حسناته وقال ابرهيم التيمى ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب
من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان
مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبى لهذه الاربعة مثالا
احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه فائدة وهداية ورشدا
فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد منهم لمنعه وصرفه عنه ودعوته
الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة
وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر التاخر فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه فوقف فى نحر الضال
ولم يشتغل بالقتال واستعجل فرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه
ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية ومر الرابع فلم يتوقف له

فاراد ان يغيظه فزاده فى عجلته وترك الثانى فى المشى فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان
يعادوا الجمع الا هذا الاخير فانه لا يعاد خيفة من ان يزداد فاندم باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا
كان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل
على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على
ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان فانهم انقطعوا
الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان فايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد فى
الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا وان كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم واخلوا منها جميعا
بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان
الحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر
غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله تعالى فهو الضار والنافع
العارف يستحى منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم
لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم
عن حب الدنيا بالكلية وهو وسيلة للشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وساوس
الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى
صفات الله واسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه والقران من اوله
الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن واخذ الحذر منه حيث امر الله تعالى به لا ينافى الاشتغال
بحب الله تعالى فان من الحب له امتثال امره وقد امرنا بالحذر من العدو كما امرنا بالحذر من الكفار فقال
تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم فاذن لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك
ولا تراه اولى ولذلك قيل صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان
يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس فى الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفى اهمال
الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله عنه
وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع
الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما
خوفنا الله به والحذر مما امرنا بالحذر منه وقد ذكرنا فى كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل

النزوع

النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض
امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار النافع والمحيى والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان
ويعتقد ان المضل والهادى هو الله ويرى الاسباب مسخرة كما ذكرناه فى كتاب التوكل وهذا ما اختاره
المحاسبى وهو الصحيح الذى يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر
علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال فى بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام
وهو بعيد ثم اختلف هذه الفرقة على ثلثة اوجه فى كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله العدو
فلا ينبغى ان يكون شئ اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة
فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدى الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان
وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه
فنجمع بين امرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا قد اهملنا ذكر الله
تعالى فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان فاما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى
ذكر الله تعالى ولا يخفى غلطها وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره
الاشياء على قلوبنا وهو منتهى غرض العدو ثم يؤدى ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا
قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به
ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت
الاولى اذ جمعت فى القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص
من ذكر الله تعالى وقد امر الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر
من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فليشتغل بذكر الله
ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم
خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند
نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر فينام على ان
لا ينتبه فى ذلك الوقت فينتبه فى الليل مرات قبل اوانه لما استكن فى قلبه من الحذر مع انه بالنوم
غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذى يقوى على دفع العدو اذا كان
اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى فقد امات منه الهوى واحيا فيه نور القلب العقل والعلم واماط ظلمة الشهوات
فاهل البصيرة استشعروا بقلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله

وطردوا بالذكر شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى ابصروا لخواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد
تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافى فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذى جمع بين
ذكر الشيطان وذكر الله تعالى وقد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب اخر فيطول تعبه
ولا يجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذى جعل لمجرى الماء القذر سدا وملاه بالماء الصافى فاذا اخرج
الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب **بيان** الرخصة فى قصد اظهار الطاعات

فائدة العمل سرا وعلانية

اعلم ان فى الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفى الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس
فى الخير ولكن فيه افة الرياء قال بعض السلف قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن فى الاظهار ايضا
فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما فى نفس العمل والاخر فى التحدث بما عمل **القسم الاول**
اظهار نفس العمل كالصدقة فى الملا لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصارى الذى جاء بالصرة فتتابع
الناس بالعطية لما راوه فقال النبى صلى الله عليه واله من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر
من اتبعه ثم تجرى ساير الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع فى
الصدقة اغلب نعم الغازى اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك
افضل له لان الغزو فى اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو
تحريض مجرد فكذلك الرجل قد يرفع صوته فى صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا
يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون
فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه
ويرغب الناس فى الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس فى ان الافضل
فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان فى العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة
اما العلانية للقدوة فهى افضل من السر ويدل على ذلك ان الله تعالى امر الانبياء باظهار العمل للاقتداء
وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله واجرها واجر من عمل بها
وقد روى فى بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا
استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء
وتم الاخلاص على وجه فى الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت
شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف فى ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان

احدهما

احدهما ان يظهره حيث يعلم ان يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به اهله دون جيرانه وربما
يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى
به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به
فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو فى محل القدوة على من هو فى محل
الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفى فيدعوه الى الاظهار بعذر
الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء
المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغى ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله
مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا
وهلك والغرق بالماء فى الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة
وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء فى الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص
فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف
العمل حتى يقتدى الناس بعابد اخر من اقرانك ويكون لك فى السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى
ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم فى
الخير فانهم قد رغبوا فى الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا
ملاحظة اعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب
الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغى ان يعدل بالسلامة شيئا و
السلامة فى الاخفاء وفى الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا
وبجميع الضعفاء **القسم الثانى** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر فى هذا
اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجرى فى الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة فى اظهار
الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من
هذا الوجه اهون فالحكم فيه ان من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس فى عينه واستوى عنده
مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه
ان صفت النية وسلمت من جميع الافات لانه ترغيب فى الخير والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك
عن جماعة من السلف الاقوياء فلا ينبغى ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بل اظهار المرائى للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم من مخلص
كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو

طريق امتحان النفس

[illegible]

مرائيا عند الله تعالى وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين
بالقران من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا
يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها اعلم ان الاصل في الاخلاص
استواء السريرة والعلانية قيل وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال اخر ما عملت
عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها
كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به
الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه
رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك
فهذا ستر المرائي اما الصادق الذي لا يرائي فيجوز له ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه
باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله
ستره وخاف ان يهتك ستره في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة
الايمان الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من
هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى فهو وان عصى بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه الله وهذا
ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا
ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله
تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ينبغي ايضا ان يكره
الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ
صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته
لذم الناس من حيث يتاذى طبعه به فان الذم مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتالم القلب بالذم
ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز
حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عنه
رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون
وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام

ظهل

من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف
لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة
الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم
بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب
الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم
الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب الطاعة
في الحال فاما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق
على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر
وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا
التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع الخامس ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا
عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن
شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستر ذلك حذرا منه السادس مجرد
الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر والحياء هو خلق كريم يحدث في اول الصبا مهما اشرق
عليه نور العقل فيستحي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم
فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس قد جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو
اشد حالا ممن يفسق ويستره ويستحي الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن
له ويدعي كل مراء انه يستحي وان سبب تحسينه للعبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل
الحياء خلق ينبعث من الكرم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه
ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديقه قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحي
من رده ويعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك
احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحي
اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد
فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء او ينبغي ان تعطي حتى
لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى على هذه الصفة فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان

الحياء الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص و
يقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال السرور على قلب صديق
وذلك محمود عند الله تعالى فيسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء باخلاصه الثالث
ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه
فاعطاه لمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحي منه من
الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح
كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدوء
او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو
صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء
محمود وفي العقلاء غير محمود وقد يشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته ان ينكر عليه لان من
اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان يستحي من الله فلا يضيع الامر
بالمعروف والقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب
التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب السابع ان يخاف من اظهار ذنبه سقوط وقع المعاصي من النفس
وجراءتها عليه فان النفس متى الفت ظهور الذنوب زاد انهماكها في شهواتها الثامن ان يخاف من ظهور
ذنبه ان يجترئ عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة هي الجارية في اظهار الطاعة وهي القدوة
ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله
وولده لانهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا
العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار
الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي عم
دلني على عمل يحبني الله ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك
فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان يحب ذلك لتعرف
به حب الله لك فاذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم على حجك وغزوك وصلوتك
وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات
محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض
كملك الاموال فلا فرق بينهما **بيان** ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات اعلم ان من الناس من

من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال
وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج
والغزو فانها مقاسات ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس
لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق
كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق
وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن
التي لا يتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة احدها ما يدخل
قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية
لا طاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث
الرياء ويقول لها الا تستحي من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث
الرياء وسخت النفس بالعمل لله تعالى عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل الثاني
ان ينبعث لاجل الله ولكن يعرض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا
دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس
كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالث ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد
في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك
اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت دعاك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعته بقي يقول لك هذا العمل
ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل
لخوفه فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة
فيها تراب وقال له خلصها من التراب ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به
لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن القبيل
ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكائد الشيطان لانه اولا
اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة و
ترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا
انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا
من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكائد الشيطان على العباد الجهال ثم

كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك
تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا
تحت الارض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك
فكيف يتخلص بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وانه ضرر في الاخرة والمهم لا نفع فيه في الدنيا
لتلزم الكراهة والاباء من قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان
ذلك ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فادمت تجد باعثا دينيا على العمل
فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد
المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على
ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه لما
تصادف قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهية
ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع الى العمل
لله تعالى فانه لا بد ان لا يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة قلنا
هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل
والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه
وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء
القسم الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير و
التدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل
والاخلاص وقد قال عليه السلام ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة
يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال عليه السلام اول من يدخل الجنة ثلثة الامام المقسط احدهم و
قال ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل منهم وقال اقرب الناس مني يوم القيمة امام عادل اقول لما كانت
الخلافة عندنا ان يكون منصوصة من الله تعالى مخصوصة بالامام المعصوم المطهر من الرجز وشوائب النقص
التي منها خفي الرياء ولا يدعيها احد الا المشرك الذي احبط شركه جميع اعماله راسا فلا حاجة بنا الى
الكلام فيها من حيث تطرق الرياء اليها فلنطوه وقد نقل ابو حامد عن شيخه في هذا المقام ما نقل قال
واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ
والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول

حق

عن الحق وقد قال عليه السلام القضاة ثلثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح بغير سكين
فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين
لا تاخذهم لومة لائم ومهما كانت السلاطين ظلمة ولم يقدر على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق
لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء
وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال بل اذا عزل
سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح به نفسه فهو اذن يقضي لاتباع
الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار ومن طريق
الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام قال اتقوا الحكومة انما هي للامام العالم بالقضاء العادل
في المسلمين لنبي او وصي نبي وعنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام لشريح قد جلست مجلسا لا
يجلسه الا نبي او وصي نبي او شقي وعنه عليه السلام قال القضاة اربعة ثلثة في النار وواحد في الجنة
رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو لا
يعلم فهو في النار ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة قال ابو حامد واما الوعظ والفتوى و
التدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته
ايضا عظيمة مثل آفة الولاية وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا
وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي اقول وقد اسلفنا كلاما
عن مولانا الصادق عليه السلام في الفتوى في كتاب العلم من ربع العبادات قال والواعظ يجد في وعظه وتاثر
قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه
مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج به عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان
كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا
وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل بها ولا ثم
يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا مما
يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر
والتكاثر به فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه ويقوى في الدين منته ويامن على
نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست
وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى

قال عليه السلام انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة
وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين
الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك فاما قول القائل نهيك عن ذلك
يؤدى الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه واله عن القضاء لم يؤد الى تعطل
القضاء بل الرياسة وحبها اضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا تترك العلوم تندرس بل
لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لافلتوا من
الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشتغل
قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم انى اقول مع هذا اذا كان فى البلد جماعة يقومون
بالوعظ مثلا فليس فى النهى عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة
الرياسة فان لم يكن فى البلد سواه احد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته الظاهر
وتخييله الى العوام انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فنقول له اشتغل وجاهد
نفسك فان قال لست امن على نفسى فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس
كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا
من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه واله
ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الاخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه
وبظاهر سيرته واما ما احدثه الوعاظ فى هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة
بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين ولا تخويف المسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصى بطيارات
النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم قاتلهم الله فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا فى واعظ
حسن جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد
فى حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون
وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون
بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا
كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى
صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا ينقطع منها رغبته بحق
اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم

اخرتكم

اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاى الناس اخس منكم لو تعقلون ويلكم حتى متى تصفون الطريق
للمدلجين وتقيمون فى محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت
المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم و
اجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا احرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم
من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم يدفعكم العلم من خلفكم
ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى
هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض
الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الاخرة
هم الخاسرون **فصل** فان قلت فهذه الافات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال
رسول الله صلى الله عليه واله لان يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام
ايما داع دعى الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى
ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلوة لا تترك العمل
ولكن اتم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد
من عباد الله اترك العلم اذ ليس فى نفس العلم افة انما الافة فى اظهاره للتصدى بالوعظ والتدريس ورواية
الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد من نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء واما اذا
لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب
تركها اما اذا خطر له وسواس الرياء فى اثناء الصلوة وهو له كاره فلا يترك الصلوة لان افة الرياء
فى العبادات ضعيفة وانما تعظم فى الولايات وفى التصدى للمناصب الكبيرة كالعلم وبالجملة فالمراتب
ثلثة الاولى الولايات والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلوة
والصوم والحج والصدقة وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الافة وذلك
لضعف الافة الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهى متوسطة
بين الرتبتين وهو التصدى لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والافات فيها اقل مما فى
الولايات فينبغى ان يتركها الضعفاء دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم
علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهى جمع المال
واخذه للتفرقة على المستحقين فان فى الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفى ادخال السرور

على قلوب الناس لذة للنفس ولآفات فيها ايضا كثيرة وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من
الحلال وسلم منها منه وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل لانه خير متعد كا
لنكاح وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن ذكر الله وقد قال
عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا ليبر بها تركك لها ابر وقال قوم اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله
وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من يتعرض لآفات الرياء فتركه لها ابر والاشتغال
بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب
ان يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر
وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر
اضر عليه لان النفس لا تستلذ الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا
في بعض الاحوال وهذه الامور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد
القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال
ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات
افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق والتجرد للذكر او
الكسب من الحلال وانفاقه في الخيرات وذلك لما في الكسب من الآفات واما المال الحاصل الحلال
فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت فباي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في
وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا
واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهي ان يتمنى لنفسه مثل
علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحد
والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول
احصاؤها **بيان** ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد
يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن
يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان معتاده او يصلي
مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط
في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس
كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد

قد تفوته العوائق وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير
سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل
في منزله فيقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته
او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب
اندفعت هذه الشواغل التي تفتر رغبته في الخير وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم و
قد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله
فيتحرك داعيته للدين لا للرياء وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او سبب آخر فيغتنم زوال النوم
وفي منزله ربما يغلبه النوم وينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح به
قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع ساير العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب
الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه الصوم فينبعث داعية الدين للصوم
فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي الباعث فهذا وامثاله
من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما
يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلواتك المعتادة
وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا
يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان تسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند
ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلي كل
ليلة لكثرة العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو
الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة
الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق و
علامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو
في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه بها فليصل فان
باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب من اعينهم فليتركه فان باعثه الرياء وكذلك قد
يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب
حمدهم ويمكن ان يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى
وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين

فلا ينبغي ان يترك العمل لما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة
وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما
بكى لكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة للرياء وتارة مع الصدق
اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون فلا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة
الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة
فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي
ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك
الصيحة والتنفس والانين عند القران او الذكر او بعض مجاري الاحوال تارة يكون من الصدق والحزن
والخوف والندم والتاسف وتارة يكون بمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين
ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت
هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه
وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به وقد يكون اصل
الانين من الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة من الرياء وهو محظور لانها في حكم
الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله
فيدعو الى زيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت
بخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف
فيسقط ثم يستحيي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى
انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد يكون ابتداء السقوط عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق
سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى
دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم يكن غشيته
صحيحة ولو كانت لدامت ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي على غيره حالة المشي يرى انه
ضعيف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة حركة المشي فهذه كلها مكايد
الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا
على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام
معه شيخ فرأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ اذكر الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال

المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب
غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف و
تذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع
تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر
مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي
مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص
فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قال احد الثلثة
النفر الذين حاجوا ايوب اذ قالوا يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها
عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان
من دعاء علي بن الحسين عليهما السلم اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح
لك فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي مضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس
احسن امري واقضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل
بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة نفر لايوب يا ايوب
الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم بالرد
فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه وفي الخبر ان للرياء سبعين وقد عرفت ان بعضه
اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى
من دبيب النمل الا بشدة المراقبة والتفقد وليس يدرك الا بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها **بيان** ما ينبغي للمريد ان يلزم قلبه قبل العمل
وبعده وفيه اعلم ان اول ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع
بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن
احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض
للمقت وليراقب قلبه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي
حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما
في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء
بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظيم عمله ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها

ابد الاباد وعظيم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره يحبب
اليهم وسقوطه عند الله واحباط العمل العظيم فيقول وكيف ابيع هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا
يقدرون لى على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى ان ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص
الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة فى الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج
لان المتقى ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران
بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم
الدارى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا
هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقى فى النار
فياتى المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات
ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته
ما يترجح به على سيئاته فيدخل الجنة فاذن ينبغى ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه ليصح نوافله
ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا فعل ذلك جميع فينبغى ان يكون وجلا
من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده فيجوز ان
يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف
فى دوام عمله وبعده لا فى ابتداء العقد بل ينبغى ان يكون متيقنا فى الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا
حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة
خفية احبطت عمله من الرياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل
بالاخلاص وشك فى انه افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات
فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق
وهو غافل عنه والذى يتقرب الى الله بالسعى فى حوائج الناس وافادة العلم ينبغى ان يلزم نفسه رجاء
الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقطعوا رجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون
شكر مكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل
وخدمة او مرافقة فى المشى فى الطريق ليتكبر باستتباعه او ترددت فى حاجته فقد اخذ اجره فلا ثواب
له غيره نعم ان لم يتوقع نفعه ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه الذى علمه ليكون له مثل اجره ولكن
خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذ كان لا ينتظره ولا يريد منه

يستبعد

ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون بغتة ذلك حتى ان بعضهم وقع فى بئر
فجاء قوم وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه اية من كتاب الله او سمع منه
حديثا خيفة من ان يحبط ذلك اجره فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء
الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم
وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته
غير الله بطاعته خسران فى الحال والعلم ربما يفيد فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك
غير جائز بل ينبغى ان يتعلم لله تعالى ويعبد لله تعالى ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له فى قلبه منزلة ان كان
يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا بان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من
يخدم ابويه لا ينبغى ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله فى رضا الوالدين ولا يجوز
له ان يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله تعالى
عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغى ان يلزم قلبه ذكر
الله تعالى والقناعة بعلمه معرفة الناس زهده واستعظامهم بمحله فان ذلك يغرس الرياء فى صدره تيسير
عليه العبادات فى خلواته وانما شهوته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدرى المخفف
للعمل عليه وقال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت
يا سمعان منذ كم انت فى صومعتك هذه فقال منذ سبعين سنة فقلت فما طعامك فقال يا حنيفى وما
دعاك الى هذا قلت احببت ان اعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج فى قلبك حتى يكفيك
هذه الحمصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال انهم ياتونى فى كل سنة يوما فيزينون صومعتى
ويطوفون حولها ويعظمونى فكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرت تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة
لعز ساعة فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الابد فوقرت فى قلبى المعرفة فقال حسبك او ازيدك فقلت بلى
قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى ادخل الى الدير فقد راوا ما
ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى ادلى اليك الشيخ قلت من قوته
قالوا وما تصنع به ونحن احق به فقالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطونى عشرين دينارا فرجعت الى
الشيخ فقال يا حنيفى ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم
بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون عز من يعبده اقبل على ربك ودع الذهاب
والمجيئة والمقصود استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى

ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغير واله
عن اعتقاده لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهية ضعيفة ان وجدها في قلبه يرد هافي الحال بعقله
وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم
عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى
ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع
والانقباض كيلا يبسطوا اليه فذلك لا باس له ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع
ويتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم
عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح بذلك وسمحت بالعبادة
فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله
تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا بخطرات ضعيفة
لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامات الصدق فيه انه لو كان له
صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان
في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له لذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى
مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طامع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبته الاخرة ويحبب الى
القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما استروح الى الفقير نعم
زيادة اكرام الغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث
لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله
من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا في غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك
ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي كما قال ابن السماك لجارية له
ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني
بما لا ينطلق به عند الفقير ومكايد النفس وخباياها في هذا الفن لا يحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج
ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة
في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنه الشهوات وساعدته اللذات
ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه في الشهوات ود
علم انه لو احتمى وجاهد فيه عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وصارف الصيادلة وعود نفسه

شرب

شرب الادوية المرة فيصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه في كل يوم يزداد
نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لكثرة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر
في توالي الالام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه
ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب للتمتع بملكه ونعمه
في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رضي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات
فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى
منها بالقليل واختار الذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق جميعا خوفا من ان يحل
عليه غضب الله فيهلك ورجاء لا ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة
امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الاباد ثم علم ان الله رحيم لم يزل بعباده المريدين لمرضاته
عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا فلو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف
صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط
عنه الاعباء واسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه به
عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم
لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول
لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني للقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه
واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده
وكرمه ورافته ورحمته ولله الحمد والمنة

هذا اخر كتاب ذم الجاه والرياء من ربع
المهلكات من المحجة البيضاء في احياء
الاحياء ويتلوه كتاب ذم
الكبر والعجب والحمد
لله اولا واخرا
وظاهرا
وباطنا
٥

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الكبير الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع و
الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القاهر الذي
لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار
الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن النبيين
وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترفت بالعجز عن صفة كنه جلاله
ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه
والعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست
اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم و
ارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا اما بعد
فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله يقول الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني
فيهما قصمته وقال عليه السلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان
مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا
الربع من الكتاب شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما
من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ان شاء الله الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه
بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر
ودرجات الكبر وبيان البواعث على الكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج
الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه بيان ذم الكبر قد
ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال رسول الله صلى الله عليه واله لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان وعنه عليه السلم
يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقال عليه السلم لا يزال
الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمن بن داود عليهما السلم

يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع
حتى سمع زجل الملئكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه في البحر فسمع صوتا يقول لو كان في
قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال عليه السلم يخرج من النار عنق له اذنان
يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر
وبالمصورين وقال عليه السلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال عليه السلم تحاجت
الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء
الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال
للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال عم بئس العبد عبد تجبر
واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها
ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا
انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وعنه عليه السلم ان نوحا لما حضرته
الوفاة دعا ابنيه فقال اني امركما باثنتين وانهكما عن اثنتين انهكما عن الشرك والكبر وامركما
بلا اله الا الله فان السموات وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وامركما
بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن علمه
الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال نبينا صلى الله عليه واله اهل النار كل جعظري وكل جواظ مستكبر
جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم
اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا في الاخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول
الله قد علمنا الثرثارين المتشدقين فمن المتفيهقون قال المتكبرون وقال عليه السلم يحشر المتكبرون
يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له
بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وعنه عليه السلم يحشرون
الجبارون المتكبرون في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعنه عليه السلم ان في جهنم واديا
يقال له هبهب حق على الله تعالى ان يسكنه كل جبار وعنه عليه السلم ان في النار قصرا يجعل فيه
المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلم من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة دخل الجنة الكبر
والدين والغلول وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر اقول ومن طريق
الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وعنه

العز رداء الله والكبر رداؤه فمن تناول شيئا منهما اكبه الله في جهنم وعنه وعن ابي عبد الله عليه السلام قال
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وعن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر قال فاسترجعت فقال ما لك تسترجع قلت لما سمعت منك فقال
ليس حيث تذهب انما اعني الجحود انما هو الجحود وعن ابي عبد الله عليه السلام قال الكبر ان تغمص الناس وتسفه
الحق وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق قال
قلت ما غمص الخلق وسفه الحق قال يجهل الحق ويطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه و
عنه عليه السلام قال ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وسأله ان يأذن له ان يتنفس
فتنفس فاحرق جهنم وعنه عليه السلام قال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله
من الحساب وعن عمر بن يزيد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انى اكل الطعام الطيب واشم الريح الطيب و
اركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام فترى في هذا شيئا من التجبر فلا افعله فاطرق ابو عبد الله عليه السلام
ثم قال انما الجبار الملعون من غمص الخلق وجهل الحق قال عمر فقلت اما الحق فلا اجهله والغمص لا ادري
ما هو قال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار وعنه عليه السلام قال لما ان يوسف عليه السلام لما قدم
عليه الشيخ يعقوب دخله عز الملك فلم ينزل اليه فهبط عليه جبرئيل فقال يا يوسف ابسط راحتك فخرج
منها نور ساطع فصار في جو السماء فقال يوسف يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي قال نزعت
النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل الى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي وعنه عليه السلام قال ما من
عبد الا وفي راسه حكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال اعظم الناس في نفسه
في نفسه وهو اصغر الناس في اعين الناس فاذا تواضع رفعها الله ثم قال له انتعش نعشك الله فلا يزال اصغر الناس
في نفسه وارفع الناس في اعين الناس وعنه عليه السلام ما من احد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه وفي
لفظ اخر ما من احد تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى
الله عليه واله ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك جبار
ومقل مختال بيان ذم الاختيال واظهار اثار الكبر في المشي وجر الثياب قال النبي صلى الله عليه واله
لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال بينما رجل يتبختر في برديه وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال عليه السلام من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال عليه السلام
اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها
اختيال وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وروى ان عمر بن

عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال
ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى
تعلمتها وروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال له يا ابا عبد الله
هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة
واخرك جيفة قذرة وتحمل بين جنبيك العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله
ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذا ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع بيان
فضيلة التواضع قال رسول الله صلى الله عليه واله ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد
لله الا رفعه الله وقال عليه السلام ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه
جذباها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في
غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذلة والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه واله عندنا يقبا وكان صائما
فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد فيه حلاوة العسل
فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه في الارض وقال اما انى لا احرمه
ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر
ذكر الله احبه الله وروى ان النبي صلى الله عليه واله كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل
على الباب وبه زمانة تكره فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه واله على فخذه ثم قال
له اطعم وكان رجل من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها و
قال النبي صلى الله عليه واله خيرني ربي بين امرين اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار
وكان صفيي من الملئكة جبرئيل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع
النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال عليه السلام الكرم التقوى والشرف التواضع و
اليقين الغنى وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين
بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون
الى الله تعالى يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه واله قال اذا هدى الله عبدا للاسلام
وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال عليه السلام

اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا
وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عيسى
عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى جنب احد الا قام من جنبه وقال عليه السلام
انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده ويكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال عليه السلام
لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال عليه السلام
اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا واذا رايتم المتكبرين فتكبروا فان ذلك لهم مذلة وصغار اقول
ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال ارسل النجاشي الى جعفر بن ابي طالب
واصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب قال فقال جعفر
فاشفقنا منه حين رايناه على تلك الحال فلما راى ما بنا وتغير وجوهنا قال الحمد لله الذي نصر محمدا واقر
عينه الا ابشركم فقلت بلى ايها الملك فقال انه جاءني الساعة من نحو ارضكم عين من عيوني هناك
فاخبرني ان الله تعالى قد نصر نبيه محمدا واهلك عدوه واسر فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر كثير
الاراك لكاني انظر اليه حيث كنت ارعى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر ايها الملك
مالي اراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان فقال انا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام
ان من حق الله على عباده ان يحدثوا له تواضعا عندما يحدث لهم من نعمة فلما احدث الله لي نعمة بمحمد
احدثت لله هذا التواضع فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال ان الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا
يرحمكم الله وان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان العفو يزيد صاحبه عزا فاعفوا
يعزكم الله وعنه عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعنه
قال افطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا فقال هل من شراب فاتاه اوس بن
خولي الانصاري بعس مخيض بعسل فلما وضعه على فيه نحاه فقال شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه
لا اشربه ولا احرمه اتواضع لله فان من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته
رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وفي رواية من اكثر ذكر الله اظله الله في جنته
وعن ابي جعفر عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان تكون عبدا
رسولا او ملكا نبيا قال فنظر الى جبرئيل فاومى بيده ان تواضع لله فقال عبدا رسولا فقال الرسول
مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئا قال ومعه مفاتيح خزائن الارض وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اوحى

الله

اوحى الله الى موسى عليه السلام ان يا موسى اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك
قال فاوحى الله اليه يا موسى اني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم اجد فيهم احدا اذل لي نفسا منك يا موسى
انك اذا صليت وضعت خدك على التراب او قال على الارض وعنه عليه السلام قال مر علي بن الحسين عليه السلام
على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت
فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعنه
عليه السلام انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله طعاما وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه
فقال له ابو عبد الله عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان
اشتري لعيالي الشيء ثم احمله اليهم وعنه عليه السلام فيما اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود كما ان اقرب الناس
الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وعنه عليه السلام من التواضع ان ترضى
بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا ولا تحب ان تحمد على التقوى
وعنه عليه السلام قال ان من التواضع ان يجلس الرجل دون شرفه وعن ابي بصير قال دخلت على ابي
الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها ابو عبد الله عليه السلام فقلت له جعلت فداك [illegible]
كبشا سمينا ونحر فلان بدنة فقال يا ابا محمد ان نوحا كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت
السفينة مامورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلى سبيلها نوح فاوحى الله تعالى الى الجبال
اني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة
بجؤجؤها الجبل قال فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالسريانية رب اصلح قال فظننت ان
ابا الحسن عليه السلام عرض بنفسه وعن ابي الحسن عليه السلام قال التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه
وفي حديث آخر قال التواضع درجات منها ان يعرف الرجل قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا
ان يأتي الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان راى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس
والله يحب المحسنين وفي كتاب مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام التواضع اصل كل شرف
نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقايق ما في مخفيات العواقب
والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل
التواضع سيماء يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله تعالى وعلى الاعراف
رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله تعالى عبادة
يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين

بوحدانيته قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
وقد امر الله عز وجل خير خلقه وسيد بريته محمدا صلى الله عليه واله بالتواضع فقال تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء والحزن لا يتاتين
الا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله تعالى وفي تفسير الامام ابي عبد الله الحسن بن
علي العسكري عليهما السلام اعرف الناس بحقوق اخوانه واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شانا ومن تواضع
في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام حقا وقيل ورد على
امير المؤمنين عليه السلام اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس
بين ايديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل لييبس وماء ليصب على
يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال
يراني الله وانت تصب على يدي قال اقعد واغسل فان الله تعالى يراك واخوك الذي لا يتميز منك
ولا يتفضل عليك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا وعلى حسب ذلك
في مماليكه فيها فقعد الرجل فقال علي عليه السلام اقسمت بعظيم حقي الذي عرفته وتواضعك لله تعالى
حتى جازاك عنه بان ندبني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئنا كما كنت تفعل لو كان
الصاب عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان هذا
الابن حضر في دون ابيه لصببت على يده ولكن الله تعالى يابى ان يساوي بين ابن وابيه اذا جمعهما مكان
لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية على يد الابن وقال الحسن بن
علي عليهما السلام فمن اتبع عليا عليه السلام فهو الشيعي حقا **فصل** قال ابو حامد الاثار وسئل الفضيل عن
التواضع فقال هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل
الناس قبلته منه وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا
حتى تعلمه ان ليس لك عليه بدنياك فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه
ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان
عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت بنعمة فاستقبلتها بالاستكانة
اتممتها عليك وكان سليمن بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجي الى
المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون
فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وقيل ارفع ما يكون العبد المؤمن عند الله اوضع ما

اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وعن الفتح بن شخرف
قال رايت علي بن ابي طالب عليه السلام في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع
بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة
بالله تعالى منهم وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن
ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا
والتواضع لكل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال عروة بن الورد التواضع
احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف
اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ الكبر على ذي التكبر عليك بماله
تواضع في الخلق ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح
وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف ولا
ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله تعالى وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا
راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت يوما
على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر
الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله
بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وتفاخرت
قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة
ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم **بيان** حقيقة الكبر وافته اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر
وباطن والباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن
احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح
يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح و
الركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن
العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون
معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال
فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى
غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فوق مرتبته غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل فيه خلق

الكبر الا ان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة ينفتح منه فيحصل في قلبه اهتزاز وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال بعض خلفاء النبي صلى الله عليه وآله لمن استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره نفسه بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان كبره اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف مساواته ويتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وينتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف عن القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز لا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق

محمودا الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون انه من يشمخ براسه الى السقف شجه ومن يطاطئ اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس

بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام

الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان لنمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال الله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا

القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة اذ لا يطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى

الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
وقالوا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا
انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملئكة مقترنين وقال
الله تعالى واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له
موسى يا فرعون امن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال له هامان بينما انت رب
تعبد اذ صرت عبدا تعبد واستنكف من عبودية الله عز وجل ومن اتباع موسى عليه السلم وقالت قريش
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفى طلبوا
من هو اعظم رياسة من النبى اذ قالوا غلام يتيم فكيف بعثه الله الينا فقال تعالى ام يقسمون رحمة ربك
وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف
نجلس اليك وعندك هؤلاء واشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل
الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء
وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين وقال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة
الحيوة الدنيا ثم اخبر الله عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار قيل عنوا عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة
فجهل كونه محقا ومنهم من عرف ذلك ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه
ولكنه تكبر عن قبول امر الله والتواضع لرسوله صلى الله عليه واله القسم الثالث التكبر على العباد
وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم
ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثانى فهو ايضا عظيم من وجهين
احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلى لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز
الذى لا يقدر على شىء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله فى صفة لا يليق الا بجلاله
ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت
وما اعظم تهدفه للخزى والنكال وما اشد استجراؤه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة
بقوله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته اى انه خاص صفتى ولا يليق الا بى والمنازع
فيه منازع فى صفة من صفاتى واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه

اذ الذى استرذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم
فهو منازع له فى بعض امره وان لم تبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق
كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله فى حقه
نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون الذى تعظم به ما هو الفرق بين منازعة الملك
فى استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته فى اصل المملكة الوجه الثانى الذى تعظم به
رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى فى اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف
عن قبوله وتشمر بجحده ولذلك ترى المناظرين فى مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين
ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله وتشمر
بجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم
الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر
للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة
من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما
اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال عليه السلم كل بيمينك فقال لا استطيع فقال النبى
لا استطعت فما منعه الا الكبر فقيل ما رفعه بعد ذلك اى اعتلت يده فاذن التكبر على الخلق عظيم لانه
سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا لتعتبر به فانه قال
انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع
من السجود الذى امره الله تعالى به فكان مبدا الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك على التكبر على امر الله
فكان ذلك
سبب هلاكه ابد الاباد فهذه افة من افات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله
عليه واله الكبر بهاتين الافتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله انى امرؤ قد
حبب الى من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال عليه السلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس اى ازدراهم
واستحقرهم وهم عباد الله وامثاله وخير منه وهذه الافة الاولى وقوله سفه الحق هو رده به وهى الافة
الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واستحقر اخاه فازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق
وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن ابى ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسله
فقد تكبر بينه وبين الله ورسله بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها
الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال دينى او دنيوى والدينى هو العلم

والعمل والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول
العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله افة العلم الخيلاء فلا يلبث
العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر
اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبداوه بالسلام فان بدا احدا منهم بالسلام او رد عليه
ببشر او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم
وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغى لهم ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب
انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره
في حوايجه فان قصر فيها استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف عليهم
او استحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الاخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى
وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخافه على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا
اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على
العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سياتى في طريق معالجة العلم بالكبر وهذا العلوم تزيد خوفا وتواضعا و
تخشعا ويقتضى ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله تعالى عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر
نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت فما بال الناس يزدادون
بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقى وانما العلم
الحقيقى ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب عنه وهذا يورث الخشية و
التواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب
والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلا
بها امتلا كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية
وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثانى ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة
ردى النفس سيئ الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه
في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم
يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالماء ينزل من السماء حلوا
صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك
العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممهم واهوائهم فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من

كانت

من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع
جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا فالعلم من اعظم
ما يتكبر به ومن اجل ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله فيما رواه العباس يكون قوم يقراون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد
قرانا القرآن فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم
وقود النار ولذلك قيل لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم وصلى حذيفة بقوم فلما سلم
قال لتلتمسن اماما غيرى او لتصلن وحدانا انى رايت في نفسى انه ليس في القوم افضل منى فاذا كان
مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخرى هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال
انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى ان يفارق بل يكون
النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين
لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته ويسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح اخر الزمان بمثلهم
فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في
نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة
رسول الله صلى الله عليه واله بقوله سياتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان
جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله منه ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن اين
لنا ايضا التمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله
وان يستر علينا قبايح اعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه الثانى العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز
والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدنيا والدين اما الدنيا فهو
انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوايجهم و
توقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على ساير الناس في الحظوظ الى جميع ما
ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين
ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال النبى صلى الله عليه واله اذا سمعتم الرجل
يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر لخلق الله مغتر
بالله امن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه واله كفى

بالمرشد ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له
ما لا يرجو لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يمقت
الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه يترفع من مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله
الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الى حد الاهمال كما روي ان رجلا في
بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل وكانت
على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد
بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرائيل
وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان
مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع
وهذا يعرفك ان الله تعالى يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا
منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني
اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله لك
فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قيل رجي ان صاحب الصوف اشد كبرا
من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى لصاحب الصوف الفضل ولا
يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او
اذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر
ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد
ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان
ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار
يسبون الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء عليهم السلام فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله
امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا ولا في الاخرة ثم ان الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه
وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه
عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح
او عاصفة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لاستراح الناس وما قاله الاخر بعد
انصرافه من عرفة كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا

وباطنا وهو وجل على نفسه مزدري لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الكبر والرياء والحسد والغل
ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله
جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض
وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله
عليه واله فاقبل ذات يوم فقال يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى في وجهه سفعة
من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه واله واصحابه فقال النبي صلى الله عليه واله اسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في
القوم افضل منك فقال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه واله بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة
في وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في افة الكبر على ثلث
درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع
ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخت في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية
الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على
من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه
ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة
حتى يقطبها ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى لا يطاطا ولا في الذيل
حتى يضم انما الورع في القلوب قال عليه السلام التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله
عليه واله اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث
ابن الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه واله يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس
يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه واله و
اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الذين يظهرون اثار الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا
ممن هو في الرتبة الثالثة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة و
المباهات وتزكية النفس وحكاية الاحوال العوالي والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل فانه يقول
في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطيل اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه
ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القران كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري
مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا ويقول قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجري مجراه هذا يدعي
الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا

يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر على الجوع ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في
العبادة خوفا ان يقال غيره اعبد منه واقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن
في العلوم ومطلع على الحقائق ورايت الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت
من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ف
يسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ
وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها
حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح بها اخطا واحد منهم ليرد عليه ويسوءه اذا
اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه احسن منه واعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها
التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه
وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر
كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره وهو يقول رسول الله صلى الله عليه وآله انه من اهل النار وانما العظيم
من خلا عن هذا ومن خلا عنه ولم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال ان لك عندنا قدرا
ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب
ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل **الثالث** التكبر بالنسب والحسب
فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى
ان الناس له موال وعبيد ويانف من مجالستهم ومخالطتهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره
يا نبطي ويا هندي ويا رومي من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان واني لمثلك ان يكلمني وينظر الي ومع
مثلي يتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس ولا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا او عاقلا
الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي
عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ص يا ابا ذر
طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا
على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطا وجهل
فانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل
ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال احدهما للآخر انا فلان بن
فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي ص افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد

تسعة

تسعة فاوحى الله الى موسى قل للذي افتخر كل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال عليه السلام ليدعن قوم
الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر **الرابع**
التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب
الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وآله فلما خرجت
قلت بيدي هكذا اي انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله قد اغتبتها وهذا منشاه خفي الكبر لانها
لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت
الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في
اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي
ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي
اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره
الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو
يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا
وكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك
تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الاية
السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع** التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة
والغلمان والعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة
بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به
حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة قدرته ومعرفته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به
وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان
ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر
من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم
الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه **بيان** البواعث
على التكبر واسبابه المهيجة له اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والاحوال فهي ثمرتها
ونتيجتها وينبغي ان يسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها

فوق قدر الغير وهو الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سبق معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن ويثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن يتكبر عليه بسبب قد سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه ولبغضه او يحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى انه لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسببه يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق التكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه كان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فيتكبر ايضا عند الخلو به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم التكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر الى المتكبرين بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر اعلم ان التكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا

واطراق راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي عليه السلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وعن انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا اذا راوه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه وقال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره من في الدين وهو ضد التواضع ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال انس كانت الوليدة من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ينزع يده منها حتى تذهب حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صم بجنبه ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه ومنها ان لا ياخذ متاعا ويحمله الى بيته وهذا خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك وقال علي عليه السلم لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وقال بعضهم رايت عليا عليه السلم اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البذاذة من الايمان قيل هي الدون من اللباس وعوتب علي عليه السلم في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلاء القلب وقال رسول الله صم من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلم جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صم وهو الذي عرفه رسول الله صم من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال ما ترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب

لا يتكبر على غيره فانه ليس من حزونة ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب
الدون قد يكون من التواضع فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على
ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا انه ليس من الكبر لا يوجبه ويجوز
ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحمود الوسط من
اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال عليه السلام كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في
غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب
الملوك وامتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقال عيسى عليه السلام
ما لكم تاتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم
بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الافضل وقد اوردنا
من ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب ذم الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق و
التواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه واله فيه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن
ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال
يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو
معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل
البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى و
يشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله
يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر
حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان
اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين
المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا
في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما بكل ذي قربى قريبا من كل ذمي ومسلم رقيق القلب
دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده الى طمع قال ابو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بكل
هذا عن ابي سعيد فقالت ما اخطا فيه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله لم يمتل قط شبعا ولم
يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى
يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيؤتى كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من

مشارقها

من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك
الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من
الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة
وما شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى
قبضه الله تعالى فما نقل من اخلاقه عليه السلام يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن
راى نفسه فوق محله ولم يرض لنفسه بما هو رضي به فما اشد جهله فلقد كان رسول الله صلى الله
عليه واله اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدنيا والدين فلا عزة ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك
لما عوتب بعض الصحابة في بذاذة هيئته قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزة في غيره وقال
ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة
ابدل الله تعالى مكانهم قوما من امة محمد لم يفضلوا الناس بكثرة صلوة ولا صوم ولا حسن حلية ولكن
بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر بحلم
وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا
منهم قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه
واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذون من دونهم ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا
ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم
البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر
وهم فيما بينهم وبين ربهم لا يدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى
واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي
فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين
ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك ان ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر رغبتك
للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فاذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد
واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وطلب مرضاته **بيان الطريق في
معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته

مرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان
احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب
الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي
ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر
فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل بذاته وانه لا يليق به الا التواضع
والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده
فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الصديقين واما معرفته نفسه فكذلك ايضا يطول ولكنا نذكر منه
ما ينفعنا في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القران
علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة
خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخر امره
والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا
وقد كان ذلك في كتم العدم وهو ازلي لم يكن لعدمه اول فاي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان
كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظام لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئا
مذكورا فما صار مذكورا الا واخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا
لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا يحس ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته
وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته
قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة
حيوته الى الموت ولذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه
انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد
البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيه من العجايب والايات بعد الفقد
لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره
والى السبيل يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال تعالى اولم ير الانسان

انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى
نعمة الله عليه كيف نقله من تلك القلة والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار
موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد
الجهل ومهتديا بعد الضلالة وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس
من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة
القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم
بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر
منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده
ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على
التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام الوجود باختياره لجاز ان
يطغى وينسى المبدا والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام
العظيمة والافات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه
البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيغفل
عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والافكار باضطرار فلا يملك
قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما يكون حياته فيه يستلذ
الاطعمة فتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان
يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما
يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه
ولا من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامل
واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه
وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه
وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة قذرة
ثم تبلى اعضاؤه وصورته وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميما ورفاتا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدي

يجد فيه بقلبها ويجد به منتطعها وبساير اجزائه فتصير دودا في اجواف الديدان وتكون جيفة تهرب منه الحيوان
ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يصير الى ماكان فيصير ترابا يعمل منه
الكيزان او يعمر بها البنيان ويصير مفقودا بعد ماكان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان اول
مرة امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء
فيخرج من قبره وبعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة
وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملئكة غلاظ شداد
وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له اقرا كتابك فيقول وما
هو فيقال كان قد وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان
يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود وقد نسيت
ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه من هول هذا
الخطاب من قبل ان ينشر الصحف ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فالمرء هذه
حاله والتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه و
لو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا وخنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا
يسمع خطابا ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله
التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راى
اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من
نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقاه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في
العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر ويرى نفسه شيئا حتى يعتقد لها فضلا
واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك
بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء من
الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من معه في السجن وما
من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك
حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر واما العلاج العملي
فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه

من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه واله حتى انه ياكل على الارض ويقول انما
انا عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست
اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين يتكبرون
على الله ورسوله بالايمان والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت
عمادا ومن جملة ما فيها التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء
فكان ربما يسقط من يد احد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس لاصلاحه حتى قال
حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه على ذلك ثم فقه وكمل ايمانه
بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول
كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل
الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كلما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على
نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا يتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك
لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك والملكوت والقلب من عالم
الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب الجاه ان الكمال
الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا
نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **السبب الاول** النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت
باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته
فمن اين يجبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت
انما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التي
خلقت من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة الثاني وهو ان يعرف نسبه
الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله نسبه
فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله
من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينته حتى صارت حماء مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء
ما اليه نسبه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحماء ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه
اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر

نفسه بهائم ان كان ذلك يوجب رفعة بالاب لقربه فالاب الاعلى الاعلى من التراب فمن اين رفعته
فاذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل
له ولا فضل له وهذا غاية خسة النسب والاصل يوطا بالاقدام والفضل يغتسل منه الابدان
فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف
الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل
به نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر
وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل
يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي بخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذه
حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل
التراب ويتعاطى الدم بالحجامة وغيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف
اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني**
الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى
باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه
والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت
بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعتين بيده يتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين ليخرج من
باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا من ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في
حالة توسطه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجاري
الاقذار اذ خرج من صلبه ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر
هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان
والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار
واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن و
كلون الازهار في البوادي فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن
هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه
حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض وجدري وقرحة وسبب من
الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال

لمن اكثر

لمن اكثر تاملها **السبب الثالث** التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض
وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا
لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لا
عجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان
يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او فيل او جمل او
اي افتخار في صفة تسبقك البهائم فيها **السبب الرابع والخامس** الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة
الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان
لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات
فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على
قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر
الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف
يسبقك اليهود به واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب
ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية
الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبها ان ابقاها بقيت
وان استرجعها زالت وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك فلا بد ان يزول كبره ومثاله
ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ
شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك
وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه وينكل به لتفريطه
في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه محبوسا في منزل قد احدقت
به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله
ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل
في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه
واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن
هذه حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة
وهو اهون من التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا

نعم الله

نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب الرابع** الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها
عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو
اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قيل للعلم طغيان
كطغيان المال وقيل العالم اذا زل زل بزلته عالم كثير فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل
لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان
حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن
معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل
النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم
ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء
اليهود وقال تعالى في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته حكمة او لم اوته فلا يدع شهوته فيكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع
شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في
الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك
وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا او
كم عالم في الآخرة يشتهي سلامة الجهال والعياذ بالله فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار
فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني
لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا
كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في
الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور
فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا
فاخبره مخبر ان مولاه قد ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الحر و
الشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به الجهد امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله
قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب اليم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف

من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري في اي فرقة يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه
وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من
شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه
وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وهو على ما هو بصدده من الخطر العظيم
فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار
ممقوتا عند الله تعالى بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك
قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندنا فلا بد ان يكلف نفسه ما يحبه مولاه فهذا
يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء
اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم
فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت كيف يتواضع للفاسق المظاهر الفسق والمبتدع
وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى فكيف يمكنه
ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكبر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في
خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل
هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن
هو عند الله من اهل النار ولا يدري ذلك فالعواقب مطوية على العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة
وجميع الفضائل في الدنيا انما تراد للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى الجاهل قال
انه عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم
فكيف اكون مثله ومن نظر الى من هو اكبر منه سنا قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله وان
نظر الى مبتدع او كافر قال صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او
كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن
ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة
الآخرة والقرب من الله فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه
ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوف عاقبته لا ان يشتغل بخوف
غيره وان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية واوعدوا ان
تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل احد منهم همه نفسه عن الالتفات

الى هم عزم حتى كان كل واحد منهم هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت كيف لا ابغض المبتدع فى الله ولا
ابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه
يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع
فكم من عابد جاهل وعالم مغرور واذا راى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى
نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع كما
كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا
يميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع
الفاسق اذا امرتهما بالمعروف ونهيتهما عن المنكر ثلثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك و
خطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد
الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب
بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم له بالخير ويختم لك
بالسوء حتى يشغلك الخوف عن التكبر فان قلت كيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك و
سيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك وانت فى غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل
يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ولنوضح ذلك
بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فنقول
اذا كان للملك غلام وولد هو فى رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء
ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب
مهما ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره
اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر له عليه بل هو متواضع له يرى
قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر
وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله فى
الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى فى الازل ولما سبق لك من سوء القضاء فى الازل وانت غافل عنه ومع
ذلك تغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ اجرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عند الله اقرب
منك فى الاخرة فهكذا يكون بغض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر

ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله
واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا
فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم
لا ينبغى ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه واله فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى الى غير
ذلك مما ورد فى فضل العالم فان قال العابد ذلك العالم العامل بعلمه وهذا فاجر فيقال له اما علمت ان
الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه و
كل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما
بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا ينبغى ان يكون العالم يرى نفسه فوق العابد بقول رسول
الله فضل العالم على العابد كفضلى على رجل من اصحابى فاعلم ان ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة
الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان
يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم
والعابد خائف على نفسه وقد كلفنا من نفسه لا امر غيره فينبغى ان يكون الغالب عليه فى حق نفسه الخوف
وفى حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون
فى حقه الى مستورين والى مكشوفين فلا ينبغى ان يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة و
اشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما تزيد عليه ذنوبك فى طول عمرك فلا
ينبغى ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو اكثر منى ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك فى طول العمر لا تقدر على
احصائها حتى تعلم الكثرة من القلة نعم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك
فلا ينبغى ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة فى
صفات الله تعالى وتخيل الخطاء فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك فى باطنك من خفايا الذنوب ما
صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حبه لله واخلاص وخوف
وتعظيم لله ما انت خال عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا
ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغى ان يكون قريبا عندك وان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما
هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف فى حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك
فاذا تفكرت فى هذا الخطر كان عندك شغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه

ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده
وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة
هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه سره وتمنى ان يلحق به وان راى
من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يراه شرا منه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن
فذلك خير له ولا ادرى لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال
ويرى ظاهر فذلك شر لي لا امن فيما اظهر من الطاعة ان تكون دخلها الافات فحبطتها ثم قال فحينئذ كمل
عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي
بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال ثم اذا غلبه الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك
هو الفضيلة كما روى ان عابدا اوحى الى جبل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه
فساله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب ويتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو
يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله فاتى في النوم ثانيا فقال له ائت الاسكاف فقل
له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فساله فقال له ما رايت احدا من الناس الا انه وقع لي انه سينجو واهلك
انا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال الذين هم من خشية
ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملئكة مع تقدسهم عن الذنوب
ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية
ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل فينكشف عند خاتمة الاجل
غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع
دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار
اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان النفس بعد هذه
المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت النفس الى
طبعها ونسي وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل المعرفة بالعمل
ويجرب نفسه بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمسة
امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة فالامتحان الاول ان يناظر
في مسئلة واحدة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد

له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق
الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق
الا بالله واما من حيث العمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف فيطلق اللسان بالحمد والثناء
ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه
فجزاك الله خيرا كما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا
واظب على ذلك متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل
عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملاء فليس فيه
كبر وانما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بان منفعته في كماله
في ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه ذلك في الخلوة والملاء
جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الدائين فانهما
جميعا مهلكان الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي
خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه
ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهي ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين
الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ
يوهمون انهم انما تركوا امكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل
ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر
من الباطن الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان
ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها
ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي
يزيل داء الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان
ابت نفسه ذلك فهو كبر ورياء وان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر فان كان لا يثقل الا عند مشاهدة
الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب اقول ليس كل رياء مذموما بل قد يكون مستحبا بل واجبا
اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا يليق بذوي المروات ان يرتكبوا الامور
الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة
والبلاد والاشخاص فلا بد من مراعاة ذلك لما روى في الكافي عن الصادق عليه السلم انه نظر الى رجل من

اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما راه الرجل استحيى منه فقال اشتريته لعيالك وحملته
اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشترى لعيالي الشئ ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة
ان يعيبوا على ذلك مع ان جده امير المؤمنين عليه السلام كان يفعل مثله الا انه لما لم يعيبوا عليه بمثله في
زمانه وفي شانه جاز له ان يرتكبه وكان منقبة له وتعليما قال ابو حامد وقد اهمل الناس طب
القلوب واشتغلوا بطب الاجسام مع ان الاجسام قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة
الا بسلامتها اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب
فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفيك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل
تنكر ذلك فلم يقنع بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة وفي الخبر من
حمل الفاكهة او الشئ فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس من ذلك
في الملا رياء وفي الخلوة كبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله من اعتقل البعير ولبس الصوف
فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي
واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص
بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف ان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك
المرض لا يداويه **بيان** غاية الرياضة في خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان
وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة
والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور
ذميم واحب الامور الى الله تعالى اوسطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اي
انه وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه الاسكاف فتحلل له مجلسه واجلسه فيه
ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى الباب خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله
العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما
تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال
ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا
يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه
التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع
وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل

ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدر حقه احب التملق والتخاسس فقد خرج الى
طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الا ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط
المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو
التملق والهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس
من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومتان واحدهما افحش من الاخر وكذا نهاية التكبر
ونهاية التخسس والتذلل مذمومتان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور في
مواضعها وعلى ما يجب وعلى ما يعرف من ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر
الشطر الثالث من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وافاته اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تعالى
وسنة نبيه محمد صلى الله عليه واله قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار
وقال الله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في
اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل
وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه واله ثلاث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر اخر هذه الامة فقال اذا
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال عليه السلام لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وانما
جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمير والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب
يعتقد انه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة
في اعتقاد المعجب حاصلة ومستحيلة في اعتقاد القانط فلهذا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا
انها بارة وهو معنى العجب وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة
واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا **اقول** ومن طريق الخاصة ما رواه في
الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله علم ان الذنب خير للمؤمن ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا
بذنب ابدا وعنه عليه السلام قال من دخله العجب هلك وعنه عليه السلام قال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم
عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه
قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسال عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال

فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت
مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن احدهما عليهما السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق
فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها
فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وعنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله بينما موسى جالس اذ اقبل ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنا منه
خلع البرنس وقام الى موسى عليه السلام فسلم عليه فقال له موسى من انت قال انا ابليس قال انت فلا قرب الله
دارك قال انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله تعالى قال فقال له موسى عليه السلام فما هذا البرنس قال
اختطف به قلوب بني ادم فقال له موسى عليه السلام فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن ادم استحوذت عليه
فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه وقال قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود
بشر المذنبين وانذر الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين
اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب
الا هلك وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري
بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب
وان خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير ويشهد على
نفسه ليكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها
البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد
بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد من ان يثمر **بيان** آفات العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب
يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن العجب الآفات الكثيرة التي لا
تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها
ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا
يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها
ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ولم
يتفقد آفات الاعمال ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا
لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب
المعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا

آفات العجب

باعماله

باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان
اعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلك عن الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه وبرأيه
ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره
ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال
ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول
العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين و
واظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا واشباهه من
آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى
وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة **بيان** حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون
بوصف هو كمال له لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خائفا
على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله
لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب
وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه ويكون فرحه به من
حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه
صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على انه نعمة من الله
مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها
الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله
كرامة له في الدنيا فاستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده فيما يجري على الفساق
سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وحقا وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن
عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا
عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق
رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل
الا وهو معجب ورب معجب لا مدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه و
الادلال لا يتم الا مع توقع جزاء عليه فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان
مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال

وهو من مقدمات الكبر واسبابه **اصل** وفي الكافي عن علي بن سويد عن ابي الحسن عليه السلام قال سألته
عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا ويحسب انه
يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه فيه المنة **بيان** علاج العجب على الجملة
اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك
الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق
واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالكمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا
يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يعجب من حيث انه فيه
وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقوته وقدرته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو
محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد
والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه من حيث هو منه واليه وباختياره وحصل بقوته وقدرته
ثم فينبغي ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان
كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير سبق حق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون عجبه
بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما
برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا
لخدمة فينبغي ان يتعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا
انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة
هي ايضا من خلعة الملك وهي عطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره
فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك
غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو
الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا
كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان
تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع
المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق
الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق
من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك

اعمالك

اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته والعالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني
بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله
فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال
مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم
ان جوابك من وجهين احدهما وهو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك و
ارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت قال الله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار
العين بل هو خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العلم وخلق لك الارادة
ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من
غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة
وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدرجه
في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية
الثواب على عمل هو من خلق الله تعالى سياتي تقديره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل
اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك
ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود علمك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى
لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك
العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة
ارايت انك لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول
حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك
اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان
اعجابك باعطاء الخازن المفتاح اولى ام بما اليك من مد اليد اليه واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة
من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد اليه لاخذ المال قريب دائما انما الشان كله في تسليم المفتاح فكذلك
مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف
حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة
الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب

بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفاسق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفاسق وصرفها
عنك وسلط اقران السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها
عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر ففعل ذلك كله
بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك
بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذاً لا ينصرف قدرتك
الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلاً الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان
كنت فاعلاً تحقيقاً فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب
والمسببات ما يتبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلاً وافقره
ممن افاض عليه المال من غير علم فيقول كيف يمنعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم
الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلماً ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً
لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الخيال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى
ومنعتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي عليه السلام حيث قيل له ما بال
العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل
الغني احسن حالاً من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضاً من عقلك وفقرك لامتنع منه
فاذاً ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على
الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص به مثل هذا القبح ولا تدري
المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال مع الفقر وبين القبح مع الغنى لآثرت
الجمال فاذاً نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال
كقول من اعطاه الملك فرساً فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب
من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها
نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد
وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك
من الله تعالى ولذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا
فضل الله عليهم قالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم

فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة قال ان ايوب عليه السلام قال
الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة
آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رماداً فوضعه على راسه وقال
منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابداً وقال النبي صلى الله عليه وآله لاصحابه ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب
ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع
قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه اعلم ان ما
قد يعجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله
فما به العجب ثمانية اقسام الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن
صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة
للزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره
وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها
الطباع الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل
عوج على قوته فاعجب بها فاقتلع جبلاً ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من
الجبل حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضاً على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن
الليلة على مائة امراة تلد كل امراة غلاما الحديث ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد ويورث العجب
بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لمن قصده بالسوء
وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم يضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة
يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا و
ثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرجه الى قلة الاصغاء الى
اهل العلم اعراضاً عنهم بالاستغناء بالراي والعقل واستحقاراً لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله على ما رزق
من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك الناس منه ولا يامن
ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستصغر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلاً وان
اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر

الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط
لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان
من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن بجهل نفسه فيزداد عجبا
الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة ابائه
وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق موالي وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباءهم في
افعالهم واخلاقهم فظن انه يلحق بهم فقد جهل وان اقتدى بابائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف
والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة
لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا
عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله
صلى الله عليه واله من اشرف الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الاية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام
وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال
النبي صلى الله عليه واله ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية اي كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب و
قال عليه السلام يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم
تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش و
لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية
بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور
وعلم ان شرفه بقدر تقويه وقد كان من عادة ابائه التواضع فان اقتدى بهم في التقوى والتواضع
والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليه ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف
والاشفاق فان قلت فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله
الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو المطلب وذلك يدل على انه
سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه واله والنسب ايضا
جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يتقي الله ويخاف ان يغضب فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب

منقسمة

منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك
الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة في امر من اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب
ما لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما
تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيه والى ما لا يشفع فيه وجب الخوف
والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذي ذنب يقبل منه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهاهم
عن المعصية فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على الشفاعة يضاهي انهماك المريض
في شهوته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب واخ او غيره وذلك جهل فان سعي الطبيب
وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على
مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج
فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب وانه كذلك قطعا
وذلك لا يزيل الخوف والحذر الخامس العجب بنسب السلاطين والظلمة واعوانهم دون نسب الدين
والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله تعالى
والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لا
لاستنكف منهم ولتبرا من الانتساب اليهم ولانكر من ينسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف
له ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملئكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم
في مظالم العباد لتبرا الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احسن اليه من الانتساب اليهم
فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابائهم ان
كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان
والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال
المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم
وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا
اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا
وهو احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته

وبينه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاى خير بمن يفارقك فى اشد احوالك ويهرب منك كيف تعجب به ولا ينفعك فى القبر والقيمة وعلى الصراط الاعمالك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك السابع العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر فى افات المال وكثرة حقوقه وعظم غوايله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيمة والى ان المال غاد ورايح ولا اصل له والى ان فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى قوله عليه السلم بينما يتبختر فى حلة له مشية وقد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وجميع ما ذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله الثامن العجب بالراى الخطا قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا اليها لعجبهم بارائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراى الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الدا الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن وكيف يطلب الهرب بما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله او سنة او دليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت وجد وتشمير فى الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم ان لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا

لا شريك له وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف اقول بل يتبع سنة ائمة الهدى من اهل بيت النبى صلى الله عليه وآله خاصة دون غيرهم من السلف كما عرفت غير مرة قال ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش وسؤال عن تفصيل بل يقول امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل فى عمره بشئ غير العلم فاما الذى عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى المعرفة واليقين فى اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء والمؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا نسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال هذا

اخر كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات من المحجة

البيضاء فى احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله تعالى

كتاب ذم الغرور والحمد لله اولا واخرا

والصلوة على محمد وآله

الطاهرين

كتاب ذم الغرور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على مر الدهور وكر الساعات والشهور وسلم اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدور بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعى اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها

فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله
تعالى ان يهديهم فيشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغرورون هم الذين اراد ان يضلهم فيجعل صدورهم
ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم ينفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى
فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا
واذا عرفت ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر
وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات و
الفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجارى الغرور واصناف
المغترين من العلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير
الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر من ان يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة
تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى
الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغترون من كل صنف
فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال
الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه
ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذى يكون همته فى الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من المداخل
التى لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا اولا بذكر غرور العلماء ولنذكر قبله ذم الغرور
وبيان حقيقته وامثلته **بيان** ذم الغرور وحقيقته وامثلته اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله
وغركم بالله الغرور كاف فى ذم الغرور وقد قال النبى صلى الله عليه واله حبذا نوم الاكياس وفطرهم
كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من
المغترين وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله الامانى وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض
انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور
لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو
الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو الذى يغره فمهما

كان

كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل و
لا يكون دليلا سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع
عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور
واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم
واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور
الكفار وغرور العصاة فنورد هاهنا امثلة لحقيقة الغرور **المثال الاول** غرور الكفار فمنهم من غرتهم
الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسية
والدنيا نقد والاخرة نسية فاذا هى خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين
ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك هذه اقيسة فاسدة يشبه قياس ابليس حيث قال انا خير
منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى ان الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان
اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى فى قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله وما
عند الله خير وابقى وبقول والاخرة خير وابقى وبقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا
به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق فهذا
ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان حضور المكتب خير من
حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد
هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو الدليل وكل
دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه
بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسية وهذا صحيح
والاخر ان النقد خير من النسية وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية فى
المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسية خير فان كان هذا الكافر المغرور يبذل فى تجارته
درهما ليأخذ عشرة نسية ولا يقول النقد خير من النسية فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ
الاطعمة تركها فى الحال خوفا من الم المرض فى المستقبل وقد ترك النقد ورضى بالنسية والتجار كلهم يركبون
البحار ويتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسية فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى

فاين لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف
الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع
راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط في قوله النقد
خير من النسيئة وهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص
معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير من نسيئة مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان
الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من
الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين و
في ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده
في المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء بالاتفاق و
كل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان
تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة
الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما يخاف من امر الاخرة فان كان ما
قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان وما اتنعم فاحسب اني
بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي عليه السلام
لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت
وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور
واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه
مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين
العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند
اخرهم على ان دواءه النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي او معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم
اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد
كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك
من نظر الى المقرين بالاخرة المخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها
وجدهم خير خلق الله تعالى واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء

واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين الذين غلبت عليهم الشقوة ومالت نفوسهم
الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا
الانبياء وكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب الى ما اتفق الاطباء فكذلك قول هذا
الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة قول الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف
لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة فهو
الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين
تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد
فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف
لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر
فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله و
ليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد
به الامر الذي هو الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم
عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ
الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح
ذلك يستدعي كشف سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق من سماعه كسر القدر الذي
منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه وعرف انه امر رباني بطبعه
وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض
غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن
الجنة التي هي اليق بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وانه رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي
ذاتي الا ان تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه و
مهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها
الفطري وهذه اشارة الى اسرار جمة لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون
فانها تضرهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح
هذا الباب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبها وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء

واخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك
يرفع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقايدهم اذا ضيعوا
اوامر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور
لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم وامرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون
من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا مغرورون فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا
الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم
اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبى صلى الله عليه واله وقال النبى للاعرابى
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فوعد المغفرة فى جميع ما كتب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا
مغرورون اعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة
فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين
غرور العصاة
لنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم
فى انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما
اخبر الله عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن
خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل فى التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار
واشترى خدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت
قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا فى الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا فى الجنة
لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر
ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لى فى الاخرة خير من هذا وكذلك
وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه
فلم يقض فقلت انى اخذه فى الاخرة فقال لى اذا صرت فى الاخرة فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه
فانزل الله تعالى افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الايات وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى الاية وهذا كله من الغرور
بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها

نعمة

غرور الكفار

نعمة الاخرة وينظرون الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال الله تعالى ويقولون بالسنتهم
لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث
غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وترتيب القياس الذى نظمه الشيطان فى قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن
فهو محب وكل محب فانه يحسن فى المستقبل ايضا كما قال الشاعر كما احسن الله فيما مضى، كذلك يحسن فيما
بقى، فانما يقيس المستقبل على الماضى برابطة الكرامة والحب اذ يقول لولا انى كريم عند الله ومحبوب لما
احسن الى والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان
فقد اغتر بالله اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان
ومثاله ان يكون عند الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب و
يلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية
التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن
هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه
فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله
تعالى وان الله يحمى عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه وهكذا
ورد فى الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ان ذلك
امارة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت
الدنيا عليهم ظنوا انها كرامة من الله واذا صرفت عنهم ظنوا انه هوان كما اخبر الله تعالى قال فاما الانسان
اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن
كلا بين ان ذلك غرور وقيل كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتى ولا هذا هوانى ولكن
الكريم من اكرمته بطاعتى غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتى غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور
علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات
الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام فى
منازل العارفين والاولياء وشرحه فى جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به
من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء

عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما
وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن امن به خلص ونجا
من هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يغتر به بامثال
هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا
وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين وقال يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا
وكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يجوز ان
يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجوز ذلك في حق الله مع تحذيره باستدراجه
اولى فاذا من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل
ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب
الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثالث** غرور العصاة
من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم
تمنيهم واغترارهم بالرجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين فان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه
عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند
رجائهم التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى
كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان
من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عم
اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم
عليه السلم استغفر لابيه فلم ينفعه ذلك فهذا ايضا اغترار بالله لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي فكما
انه لا يبغض المطيع ببغضه لولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري
من الاب الى الولد لكان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه
كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي
ابيه والتقوى فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته

وبينه

وبينه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر و
العجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته وما هذا الا كلام
صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا
حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد
شرح الله تعالى الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال
انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استؤجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما
يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم
ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة
فان من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم
يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم
يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد
ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي
مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله
ان يثبته بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على
التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو اذا كيس ومن عدا هؤلاء
فهم المغرورون بالله فسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك
يقول ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع
الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الا
الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سألهم خزنتها
الم يأتكم نذير قالوا بلى قالوا اما سمعتم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة
فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء
وموضعه فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان واني
تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن

عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال واني لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار
فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان
انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان فقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان
استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او بسبب من الا
سباب الذي لا يعرفه فهو مغرور لا محالة والثاني ان تفتر نفسه من فضائل الاعمال وتقتصر على الفرائض
فيرجي نفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل
ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع
من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في
العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك
وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا وجب
على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنوب
وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط
العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه
سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان
على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا
وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعي للاخرة فذاك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه واله وذكر ان
الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد به فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على
العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون
في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الناس امنين
مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين
انا واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وفضله ما
لم يعرفه الانبياء والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ما ذا كان بكاء اولئك

الطمع موضع الخوف

وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء والخوف وقد قال رسول الله صلى الله
عليه واله فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان
يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون
الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب اي علماء ياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما ويقولون سيغفر
لنا وقال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر
الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها
ويتناظرون على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه
والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء و
الغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون
انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة
من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به من اموال
المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال والحرام وما هو
الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يميل الكفة الثقيلة بالكفة
الخفيفة وذلك غاية الجهل نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد
معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم
يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى
عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة
مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبين واوعد الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين
والكذابين والنمامين والمنافقين بما يظهر من الكلام الى غير ذلك من افات اللسان وذلك محض الغرور
ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان
عند ذلك يكف لسانه عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته
حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته في الاجرة على
النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها وقد دفعنا

الى امران شككا فيه كان من الكفرة الجاحدين فان صدقنا بركان من الحمقاء المغرورين فاهذه اعمال من يصدق بما جاء به القران وانا نبرا الى الله ان نكون من اهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه والتدبير مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى ومقاليد الشيطان والهوى بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم العقلية والشرعية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغترون انهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها بالفرار منها فهو علم لا يراد الا للعمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له الا العمل فمثال هؤلاء كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا الحذاق الاطباء فسعى وطلب بعدان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقراها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل يوم وليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلمه ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة ولم يزك نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكيها ولم يقل من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الايات الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في

في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال النبي صلى الله عليه واله ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عليه السلام يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا وقال عليه السلام شر الناس العلماء السوء وقال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا واشاله مما اوردناه في كتاب العلم في بيان علامة علماء الاخرة اكثر من ان يحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضائل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكيد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله كمن اراد خدمة ملك فعرف الملك ويعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به وعرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس بجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملته مع رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا فاذا الفقيه من فقه من الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه فهو العالم بالحقيقة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل وواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما

تاكل النار الحطب والى قوله عليه السلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل
الى غير ذلك من الاخبار التى اوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم
واهملوا بواطنهم ونسوا قوله عليه السلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم و
اعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم و
مثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت
مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره
فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا
فنبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فلخذ يجز رأسه ويقطعه فلا
يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصى هى الاخلاق الذميمة فى القلب فمن لم يطهر القلب منها
لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء
والطلاء ليزيل ما على ظهره والدواء ليقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقى يتناول
ما يزيد فى المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التى فى الباطن وفرقة اخرى علموا
هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون
عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى بها العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فاما هم
فاعظم عند الله من ان يبتليهم بها ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا
كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فانى
لو لبست الدون من الثياب وجلست فى الدون من المجالس شمت بى اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلى ذلا
على الاسلام ونسى المغرور ان عدوه الذى حذره مولاه منه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويحزن به
ونسى ان النبى بماذا نصر الدين وبماذا ارغم انوف الكافرين ونسى ما ورد من السلف من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب بعضهم فى بذاذة زيه فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز
فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب الدبيقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب
ويزعم انه يطلب به عز الدين وشرف العلم وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد فى اقرانه او فيمن رد عليه شيئا
من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل فى عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه
ان ذلك من الحسد حتى يعتقد انه لو طعن فى غيره من اهل العلم او منع من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته
مثل غضبه الان فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن فى عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه

وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائى باعماله واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضى من اظهار
العلم والعمل اقتداء الخلق بى ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح
باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن
كان له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر
هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بى كان الاجر والثواب لى فانما فرحى
بثواب الله تعالى لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبى بان ثوابه فى
الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه فى الاظهار وحبس مع ذلك فى السجن وقيد بالسلاسل لاحتال فى هدم
السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذى يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك
يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثنى عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام
قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع فى مالهم واما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر
وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان
فصار يشفعه فى كل مسلم حتى يدفع الضرر عن جميع المسلمين لثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند
السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهى غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر
له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك
قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس فى ثلثة امور احدها انه مال لا مالك له
والله يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين من اهل السواد والذين اخذ منهم احياء قوام واولادهم وورثتهم احياء
قوام ونهاية الامر وقوع الخلط فى اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف فى
انه مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان يقسمه بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان
كان مال كل واحد قد اختلط بمال الآخر الثانى فى قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل
الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا فى طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض
عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا فى الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين
وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على
الله كالانبياء ومتابعيهم والدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا ولعل موت مثل
هؤلاء انفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله قال عيسى عليه السلم للعالم السوء انه كصخرة وقعت
على فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع والحشائش ومنها اصناف اهل العلم وهذه الآثار

الغافلين عن خفايا العيوب
والقاصرين عن العمل بالعلم

الشاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا
الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الريا
والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية
القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدايع النفس
مادق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش
عن كل حشيش راى فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج بعد راسه من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز
وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قلعها فاذا
هو بها في غفلته قد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع
ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقايق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين
الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه
الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة
عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله
للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على كلامه والبكا
عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية بين ساير
الاقران والاشكال الجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن من اطلاق لسان الطعن في الكافة
المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا
المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر الامارة والعز والانقياد والتوقير وحسن الثناء فلو تغيرت
عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد لما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده
ووظايفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى الكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة
والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عن عرف حد فضله
وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في
الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه و
احرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن انه يتوقر لهم لاخلاصه وصدقه
وقيامه بحق علمه ويحمد الله تعالى على ما تيسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم
يتفقد من نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعظ بمثل ذلك في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب

فيه

فيه لنفسه في العزلة والاخفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من
زعم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبايلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به
وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع ومحى عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه
ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله
في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره
انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام
المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله
بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله
يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها لئلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة
وتحسينها وترتيبها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة و
ستين مصحفا في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك
شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب
وخفاياها ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه
اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع حسده ثم ان تفرقوا
واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل
على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوايجه كما كان
يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى من قبل مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل
التحيز منه الى طايفة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الطايفة وسلامته
منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد
لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين
الله لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه
اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا
وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه عنها الا الاقوياء ولا مطمع فيها
لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص
على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو

مؤمن وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعلمه وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله
من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال وصنف اخر والذين حصلوا العلوم ولكن
قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون
اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات
والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش فخصصوا اسم الفقه بها وسموه
الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا
اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم
عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث
العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وحفظه
وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء و
مثال احوال المشتغلين بالفتاوى
استعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض
ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه
المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما
يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم
والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء
من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه
من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض
كفاية دينية وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو
كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله
معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر
على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة نبيه وربما طعن على المحدثين وقال انهم
نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك
جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا من الله
مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد
ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك

الفقه

الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخيفة ويلازم التقوى اذ قال تعالى ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط
المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب
وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد
وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال
من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر
عليه من الحجاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلاف
ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل
والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات
المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم
لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو
الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق
عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل
في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذاهب وهو كتاب الله وسنة
رسوله وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فهي انما ابدع
لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل فغرور هؤلاء اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة
اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من
معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا
كثيرة واعتقدوا انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة
عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم وقد دعت
كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة والضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي
التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم
فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها
فراى الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم

في ذم الغرور من المتكلمين

الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يتفحص ولم يبحث وان من صدق الله
ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا مقرب عند الله فلهذا النظر الفاسد قطعت
اعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهمل نفسه وقلبه حتى
عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة وهو يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل
ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعزة الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرته ولم
يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وآله شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا اكثر اهل
البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم
وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل
الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة
معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوى الى السنة اذ روى
ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله اذ قال ما ضل قوم قط بعد هدى اوتوا الجدال وخرج
رسول الله صلى الله عليه وآله يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة
من الغضب فقال الهذا بعثتم اهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا
والى ما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم
انهم راوا النبي صلى الله عليه وآله وقد بعث على كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة
ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش
القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الاقيسة ولم يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا
لو نجى اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاككم وليس علينا في المجادلة اكثر
مما كان على الصحابة من اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بمجادلتهم فما لنا نضيع العمر
ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان
المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة
نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله لاتنزه
عما يبغضه الله واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس

ذم الجدل

وصفات

في ذم الوعاظ المغرورين

وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق
ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين
بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرورهم اشد
الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا
على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا
انه مقرب عند الله لما عرف معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله
فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من مكر الله ويرى انه من الراجين وهو من المغترين
المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو
من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف
الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه
مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها
فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله
وهو عنه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف
الناس عن الخلق وهو على الخلق اشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله ضاقت
عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا
على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهؤلاء
اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عن
المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل
فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه نفسه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف
نعم لو ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي
مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي
الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن
مشاهدة الخلق لا بل ترى قلبه يمتلئ بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى
فهل رايت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون

واذا كشف عنهم الغطاء فى الاخرة يفتضحون بل يطرحون فى الاخرة فى النار فتندلق اقتابهم فيدور بها اهدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم كانوا يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء لانهم يصادفون من قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعانى وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك مادرزقهم الله عليه وما نفع الناس كلامهم فيها الا لاتصافهم به وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل زاد اقتدارهم على الوصف بل ربما زاد منه وقل خوفه وظهر الى الخلق منه وضعف فى قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطب وظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور وهذا حالة الوعاظ الذين لا عيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى على الندور فى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم فى الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر فى مجلسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن السبيل ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسد هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر من السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن من عقاب الله من غير ان يحفظ

ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام الزهاد من اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم فى علم الحديث اعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية وهمة احدهم ان يدور فى البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروى عن فلان ولقد رايت فلانا ومعى من الاسانيد ما ليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معانى السنة فعلمهم قاصر ليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم لم يفهموا معانيها لا يعملون بما فيها وقد يفهم بعضهم ايضا فلا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بكثرة الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شئ من ذلك ومنها وهو الذى اكب عليه اهل الزمان ايضا انهم لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التحقيق ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبى يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ نائم والصبى يلعب ثم يكتب اسم الصبى فى السماع فاذا تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط وربما يشتغل بحديث وينسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لم يشعر ولم يعرفه وذلك جهل وغرور اذ الاصل فى الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ان تصغى وتحفظ بالقلب وتديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك فى مجارى الاحوال والثانى ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظ كتابك حتى لا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب بان يكون معك وفى خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغيره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس الذى فارقت فيه ثم رايت نسخة لذلك جوزت ان يكون ما فيه مغيرا وتفارق ما فيه حرفا من النسخة التى سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو فى كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان انا سمعنا ما فى هذا الكتاب اذا

لو وجد الشرط الذى ذكرناه كذب صريح واول شرط السماع ان يجرى الجميع على سمعك مع نوع من الحفظ
يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبى والغافل والنائم الذى ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبى فى
المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبى وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف فى عدم جوازه ولو جاز ذلك
لجاز ان يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان لا يكتب سماع الصبى فى المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ
فالصبى الذى يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ واصل السماع مستندا الى
قول رسول الله صلى الله عليه وآله نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدى
كما سمعها من لا يدرى ما سمعه فهذا هو افحش انواع الغرور وقد بلى به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان
لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا
فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع فى حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التى قد سمعوها
بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك واقتنعوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان
كان لا يدرى ما يجرى وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم اصول الفقه
وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين
فى اقتصارهم على النقل وفى افناء اعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة
معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى
عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روى قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فقام وقال يكفينى هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا كان سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور
وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء
الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فافنى هؤلاء اعمارهم فى دقائق النحو وفى صنعة
الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم
لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث
يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة
الترك والمضيع عمره فى لغة العرب كالمضيع عمره فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لاجل ورود
الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة واما
التعمق فيه الى درجات لا تتناهى ففضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعانى الشرعية
والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو

غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزيل
ما به من الصفراء فضيع اوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك
غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءة والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها
وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو
معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية
وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك هو
القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فيجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة
العمل قلبه وجوارحه وزجر عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا
هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة
اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب او فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت
متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع
فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم وكان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع
لان العلوم الشرعية مشتركة فى انها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه
هو المنتهى والباقى محمود للوصول به الى المقصد الاقصى فمن اتخذه مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به
وفرقة اخرى عظم غرورهم فى فن الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه فى مجلس القضاء
فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق واساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا
من قبيل الخطا فى الفتوى والغرور فيه والخطا فى الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس
منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله
وذلك خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص
فتبرئ الزوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا
وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد ما لا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه
فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما
فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضى فى الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى
الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى

حكم ابراء الزوجة زوجها من الصداق

الاكبر في صعيد القيمة للفقضاء لم يكن هذا محوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان ان يؤخذ
الا بطيبة النفس فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود
ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه
بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة
ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في
مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن
عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب
وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه وشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل ما يؤخذ على هذا الوجه فهو
حرام اذ طيبة القلب لا تكون في الابراء والهبة وعزم الا اذا خلي الانسان واختياره حتى ينبعث الدواعي
من ذات نفسه الا ان يضطر دواعيه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة
في اخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به
ان مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال
وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم
جهله بفقه الدين وسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال
ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن
ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وانه بلغ حرصه على المال ان
استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى
مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول و
الشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة
العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما
عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا فيه مجلدات و
الغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول الصنف الثاني ارباب العبادة
والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج و
منهم في الصوم ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا من
غرور الا الاكياس وقليل ما هم ومنهم فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا

الخبر في اسقاط الزكوة

في الفضايل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي
الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى
الاكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من
الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وهو منهي عنه
وقد يطول الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها فهو ايضا ان لم يكن فاته من فضيلة اول الوقت وان لم
يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له
مندوحة الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم
انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعه
الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم
تكبيره يكون في قلبه تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير
لشدة الاحتياط فيه فيفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم و
يغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا
الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم وفرقة اخرى يغلب عليهم الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج
الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الفهم
الى فهم اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف
الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان فامر ان يؤديها على
وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد اخرى وهو في
ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان يقام عليه السياسة ويرد الى دار
المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القران فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم
والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران لينزجر
بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواعظ الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرنا
في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القران الهمهمة به مع الغفلة
عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه
والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بصوته ونغمته مائة مرة

في الصلوة

في القرآن

في القرآن

فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور بل تلاوته انما تراد لكيلا ينسى ويحفظ
وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويلتذ
به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هو لذته في صوته ولو ردد الحانه
بشعر او كلام اخر لالتذ به فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث نظمه ومعانيه
او بصوته وفرقة منهم اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام بانواع الفضول طول النهار
وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة
اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب
الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرايض و
يعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من
الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وربما انفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب السمعة والرياء
فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر
البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذمايم الصفات لم يقدم تطهير قلبه على حضور بيت ربه وهو مع ذلك
يظن انه على خير من ربه فهو مغرور وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه فاذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز والجاه واذا
باشر هو بنفسه منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده
ومن تاخر عنه اغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل
منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله تعالى ولو جاء غيره فاذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم
اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه ان يقال
انه امام المسجد ولو تقدم غيره ولو كان اورع منه واعلم ثقل عليه وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة
واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى
قول من يعرفهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذكر
ذلك قبيح ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمد عين طمعه الى اوساخ
اموال الناس فاذا جمع من ذلك شيئا شح عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر
فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال
انه من المجاورين الزمه المجاورة ولكن مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال

في الصوم والحج وما يشابهها

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وللاذان وللامامة [illegible]

في من جاور المقدسة

ولا عبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل افاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا
يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء العلوم فيعرف من مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي
الحج والزكوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها وانما الغرض الان الى مجامع ما سبق في الكتب وفرقة
اخرى تزهدت وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو
مع ذلك في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين
فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب وهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد
في الدنيا وهو لم يعرف معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا
وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبايث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة
وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو
لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال
فلا ياخذ خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الباطن لم تسمح به
نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس ومن الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا
وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين
عليه والنفرة من المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد
على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران فيه وهو مع ذلك لا
يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك
مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وربما توهم انه مغفور له بعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب
وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات ذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق
الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه بالرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح فرحا شديدا
وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري ان ذلك لجهل
الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح
بصلوة الليل وساير الرواتب ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى
قوله عليه السلام فيما يرويه عن ربه عز وجل ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين
الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما

في غرور المتزهدين

غرور فرقة حرصت على النوافل

يضيق وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة
وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان
على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قايم به على ما قام به غيره وتقديم ما هو من فروض الاعيان
على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ
سئل رسول الله صلى الله عليه واله فقيل له من ابر قال امك ثم قال من قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك ثم ادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا
فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو
مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان
على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو في نفسه
طاعة وكذلك تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه والنجاسة محذورة وايذاؤهما
محذور فالحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك
الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن
لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف
من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة
بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى
الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة والقهر للاقران والتقدم عليهم يعمي عليهم حتى يغتر به مع نفسه
ويظن انه مشغول بمهم دينه **الصنف الثالث** المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغرورون منهم فرق فرقة
منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية
في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص
والطهارة والصلوة والجلوس على السجادات **اول** واي فضل وكرامة للصادقين من الصوفية حتى يكون
للمتشبهين بهم فضل وغرور فان اكثرهم من اهل البدع من السماع والرقص والجهر من القول في الدعاء وغير
ذلك قال فلما تكلفوا هذه الامور تشبهوا بهم فظنوا انهم صوفية ايضا ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة
والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل
التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا
انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة

ويتحاسدون

ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم و
ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين يثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل
واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا
وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية مشيتهم
في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمايلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات
ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت الى العسكر انفذت الى ديوان العرض
امرت بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر الى ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها
في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها
اجئت للاستهزاء بالملك والاستهزاء باهل حضرته والتلبيس عليه خذوها فالقوها الى قدام الفيل لسخفها
فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على
القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور
اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من
التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة
ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم فظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب
وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا
المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد واما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة
قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم
يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون
المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق
اذ يهلك من يقتدي به ويفسد عقيدته في اهل التصوف كافة اذ يظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول
اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم المعرفة ومشاهدة
الحق ومجاوزة المقامات المحمودة والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه
الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى
من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا
عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك

تلك الكلمات المزخرفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلما
ويقول فى العباد انهم اجراء متعبون وفى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل
الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين ولم يحكم قط
علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى
منهم وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم
يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلفوا الناس تطهير القلوب عن الشهوات
وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا
ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل كلفوا تاديبهما بحيث
ينقاد كل منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب
وقلوبنا والهة الى حب الله تعالى واصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة
فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا
عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم فيها ويرفعون انفسهم
عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين
متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس
خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم الصالح
للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت
بتفقد القلب وصارت تدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه
المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعى الوجد والحب لله ويدعى انه واله بالله ولعله
قد تخيل فى الله تعالى خيالات هى بدعة او كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مفارقة ما يكره الله وعن
ايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء عن الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى
وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير
زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدرى ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل
منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى
لا على زادهم وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب وهو واثق بالله وما من مقام من المقامات
المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الافات فى ربع المنجيات من الكتاب وفرقة اخرى

ضيقت

ضيقت على انفسها فى امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلوب والجوارح فى غير
هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق فى غير ذلك ولم
يدر المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل
لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة
اخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية وغرضهم الارتفاق وهم يظنون
ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من
الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذون اموال السلاطين
وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث
جميعهم الرياء والسمعة واية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق
منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة و
فرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها
فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن
عيوب النفس باستنباط دقيق الكلام فى افاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب
والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول
عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وافاته ولم يسلك طريق
الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة
فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها
والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله
ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال
من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر
اليها حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم
من الانوار فى الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين
فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى وظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله
سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة
بقول ابرهيم عليه السلم اذ قال الله اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه

الاجسام المضيئة فانه كان يراه في الصغر ويعلم انها ليست الهة وهي كثيرة وليست بواحد والجهال يعلمون
ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي
هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب
من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر
فلم يزل ابرهيم عليه السلم لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امر فيترقى اليه
ويقول قد وصلت فينكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده فقال هذا
اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال من الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب
الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وسالك هذا الطريق
قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه
فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع
لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله
على ما هو عليه وهو اول الامر محجوب بمشكاة وهو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف فيه جمال القلب
بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق
لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان
قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في
الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشاكلا فتشابه الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما
قدح ولا خمر وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كمن
يرى كوكبا في مراة او في ماء فيظن ان الكوكب في الماء او في المراة فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع
الغرور في طريق السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا يستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك
مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج
الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورث ذلك دهشة من حيث
لا يفهم ما لا يفهم ولكن في ذكره فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما
يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات

التي

[illegible]

التي اخبر عنها اولياء الله تعالى ومن اعظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الان كما يكذب بما سمعه والله
اعلم **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق كثيرة ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس
والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالاجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت
اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها
من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في انفاقها
وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع
الى الله وردها الى ملاكها اما باعيانها او برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها
الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين
وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالاجر وغرضهم من بنائها الرياء
وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم
الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على
الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا انه كان
يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت الاموال من الحلال وانفقت
على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره او في بلده
فقير وصرف المال اليه اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر ذلك
والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة لقلوب المصلين ومختطفة
لاعينهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك
ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة له الى الله تعالى و
هو بذلك متعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من
المسجد وبما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك
حكاية
كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قيل دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب
وقال مثلي يدخل بيت الله فكتب على المكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان يعظم المسجد وهو ان يرى تلويث
المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال
الحواريون للمسيح عليه السلم انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي بحقا اقول لكم لا يترك الله من هذا
المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم

شيا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال
ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم و
روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل فقال ابنه سبعة
اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه و
فرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن
الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ
منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم
جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم
في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور
الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال عزمت على الحج
فقام بشر فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك نزهة او اشتياقا
الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت رضا الله وانت في منزلك وتنفق
الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله اتفعل ذلك قال نعم قال فاذهب فاعطها عشرة انفس مديون
تقضي دينه وفقير ترم شعثه ومعيل تغني عياله ومربي يتيم تفرحه وان قوي قلبك ان تعطيها واحدا
فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من
مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري
اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان
تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله تعالى على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة
اخرى من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي
لا يحتاج فيها الى النفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك
قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون
عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن
به الصفراء ومن قتلته الحية فمتى يحتاج الى السكنجبين وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا
باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم
ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او

بطلون

او يسلمون ذلك الى من بعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته
وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه يطيع الله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة
الله عوضا من غيره وهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه
على اجناس الغرور وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر
واعتقدوا ان ذلك يكفيهم ويغنيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماعهم الوعظ
دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج
الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لحملها على العمل فان ضعفت عن الحمل فلا خير فيها وما يراد لغيره
اذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة وربما يغتر احدهم بما يسمعه من الواعظ من حضور المجلس و
فضل البكاء وربما دخلته رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه
ويقول يا سلم سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال
المريض الذي يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع الذي يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة
الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل
بها لا يغني بالله شيئا وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض
عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا

فصل فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا
يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء
اظهر الياس منه واستعظم الامر فيه واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط
بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو
السماء مع بعده عنه فانزله واراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحار فاصعده واراد ان يستخرج الذهب
والفضة من تحت الجبال فاخرجه واراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها
واراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث
بها فاخذها واستخرج الترياق واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقوش من ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف
مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرجها بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك
باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور
وهيا الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك

معين على دنياه فلو اهمها امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن تقويم قلبه و تحاول
وقال هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو اصبح وهمه هذا الهم الواحد احتال له
بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان
فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا
ونظم اسبابها فان قلت فقد قرب الامر فيه بعد ان كثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور
فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعنى به
الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة
والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه
فى اصل الفطرة وهذا اذا لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته
بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه واله تبارك الله
الذى قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما
يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين و
عن ابى الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق و
يغزو فى سبيل الله ويعود المرضى ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما نعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة
فقال رسول الله انما يجزى على قدر عقله وقد اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا فيه
خيرا فقال عليه السلم كيف عقله فقالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال وكيف عقله
فان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء
كان رسول الله صلى الله عليه واله اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال
ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ ذلك قال وذكر له شدة عبادة الرجل فقال كيف عقله قالوا
ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون اقول وقد اسلفنا اخبارا من طريق اهل البيت عليهم السلام
فى ذلك فى كتاب العقل من ربع العبادات قالك والذكاء وشدة غريزة العقل نعمة من الله تعالى فى اصل
الفطرة فاذا فاتت ببلادة وحماقة فلا تتدارك لها الثانى المعرفة واعنى به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه
ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم
واجنبيا عن هذه الشهوات البهيمية وهى مضرة له وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه
فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة

وفى كتب

ولان العبد ينجو عن الغرور

فى تفاوت العقول

المعرفة

وفى كتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس ووصف جلال
الله تعالى ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطلب فى هذا
الكتاب الا فى علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا
وفى كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة
ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم
امره ما يوصله الى الله وينفعه فى الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته فى الامور
كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة و
صحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال
فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله
فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادقة عن كمال
عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعنى العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه
من الله وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وعقباته وغوايله وجميع ذلك قد اودعناه كتاب احياء
علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش
وما هو مضطر اليه فياخذه باذن الشرع وما هو مستغنى عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع
العقبات المانعة فى طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق
علاجه ويعلم من ربع المنجيات الصفات المحمودة التى لا بد ان يوضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط
بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التى اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على
القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى يقوى بها الارادة فتصح نيته اليه ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التى
ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذى يخاف عليه فاقول يخاف ان يخدعه الشيطان ويدعوه
الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب
الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى عينه
وتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليه ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره و
مناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه
وياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم بالنصح لهم والدعاء
الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى فى امرهم سكارى فى دينهم صما وعميا قد استولى

فى العلم

عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان
عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعاداتهم وهو يقدر على ذكرها من
غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله
ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا
من غير ثمن ولا تعب ولا امرار في تناوله فاستعمله فبرا وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدا
بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر
الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء
انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اسرع زمان بقدر
فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص
بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم
وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم وانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم
وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة
فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى
دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل
الناس اليه ويعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لادوائهم
بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم
واموالهم فصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين
فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر
معها كل شهوة وكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت
الى قلبه يد فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس اليه
الشيطان انه لو خطا ورد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر
الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله
فوقع في الغرور بما انزجر ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد ترك الكلام
المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والتكبر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات
وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر من بعض الاوراد كره ان النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قوله ايتبع

ذلك

مثال

ذلك بالاستغفار وتنفس صعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد من اجلهم والشيطان يخيل اليه انك
تفعل ذلك كيلا يفتر رايهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركك وانما ذلك خدعة وغرور بل هي جزع
من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تابى نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب
ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق
ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله مثال من يرى
جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجرة كبيرة فعجزوا عن الرقي من البئر بسببها فرق قلبه
لاخوانه فجاء يرفع الحجرة من راس البئر وشق عليه فجاء من اعوانه على ذلك حتى يتيسر عليه او كفاه ذلك
وبخاه بنفسه فيغتظ بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص
اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه فرح بذلك ولم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا جميعهم
بانفسهم لما كان ينبغي ان يثقل عليه ذلك ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا فلم يثقل عليه ومهما وجد
ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب
بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا
لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية
طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذ كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم
اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم
ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم
فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع
الذئب عنها دون نظر الماشية اليه بعين الحمد والثناء فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرها
ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كا
لشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة
خلت الدنيا من الوعظ وخربت القلوب فاقول وقد قال رسول الله حب الدنيا راس كل خطيئة ولولم يحب الناس
الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك
وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر
ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان تترك نفقة بالشهوات التي سلطت على الناس فكذلك
لا تزال الشهوة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما

بيان في وصف الواعظ

لايبيع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وساير المعاصي بقول الله تعالى وبقول رسوله ان ذلك حرام
فانظر الى نفسك وكن فارغ عن حديث النفس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق
لهم في الاخرة فانما يخشى ان ينسد باب طريق الاتعاظ فاما ان يخرس السنة الوعاظ ودواعيهم باعث
الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد بهذه المكيدة من الشيطان فاشتغل
بنفسه وترك النصح ونصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين
يديه من الاخطار وحبايل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمها وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني
وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما
اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه
ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر
فالعجب اعظم من كل ذنب فلذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك
قد وقعت في حبايلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على
دفع الشيطان عنه الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر
على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول
يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في
المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه
الخوف من مكره ومن امن من مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون شاهدا لجملة ذلك من فضل الله ثم
خائفا على نفسه ان يكون قد سد عنه صفة من صفات قلبه من حب الدنيا والرياء والخلق والتفاتا اليه
عز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير امن من مكر الله ولا غافل عن خطر
الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان
لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له فلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل
الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق
الخوف والحذر قلوب الاولياء ابدا نسال الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها اقول ولنختم الكتاب
بكلام الصادق عليه السلم على ما روي عنه في كتاب مصباح الشريعة قال عليه السلم المغرور في الدنيا

وفي الاخرة

في العجب واظهار الشيطان عجزه

بيان في الاخطار ونوحوف الخاتمة

وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك
ان لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك تنجو بهم وربما غررت بجمالك ومنيتك واصابتك
مأمولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في
العبادة ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا والله يريد الاخلاص
وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو
سواه وربما حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت
تمدحها على الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات
له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة
وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة
هذا اخر الكلام في كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات من المحجة البيضاء
في احياء الاحياء ويتلوه ان شاء الله في ربع المنجيات كتاب التوبة
والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا والصلوة
على محمد واله الطاهرين فرغ من كتابته
بعون الله وعنايته العبد الجاني
الفقير الى الله الغني الباقي
حسن الخوانساري
تجاوز الله عنه
بمنه و
كرمه
٥
١٢٥٤

كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة امراض القلب كتاب كسر الشهوتين

كتاب آفات اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال

كتاب ذم الجاه والرياء كتاب ذم الكبر والعجب كتاب ذم الغرور

شماره کتاب ۱۳۱۸۲ المجمع النصابی فی حیاة الاحیاء

ثبت ۲۸۱ شامل ۴۲۳ ص و هر صفحه آن دارای ۲۵ سطر است

دارای خط نسخ عالی و جلد آن تیماج رنگ مشکی

۱۹ لا ۳۰

آغاز الحمد لله الذی تجرد من ادراک جلاله العقول والخواطر وتندهش فی مبادی اشراق انواره الاحداق والنواظر

انجام وان کنت راضیا بما رأیت فیه فما احد اشفق ... عمرا فالحمد لله ... یوم الجمعة